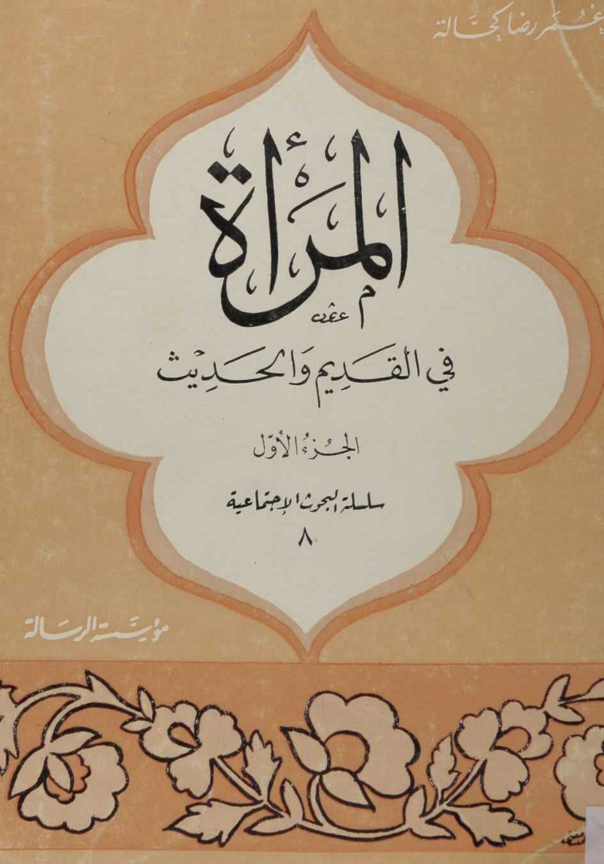


عمر رضا كحالة

المرأة

في القديم والحديث

الجزء الأول

سلسلة البحوث الاجتماعية

٨

مؤسسة الرسالة

المرأة في القديم والحديث

الطبعة الثانية

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م



مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٢٤١٦٩٢ ص.ب: ٧٤٦٠ برقياً: بيوشران

سلسلة البحوث الاجتماعية
- ٨ -

المرأة في القديم والحديث

الجزء الأول

تأليف
عمر رضا كحالة

مؤسسة الرسالة


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يبحث الجزء الأول من كتابنا «المرأة في القديم والحديث» في طبائع المرأة ومقارنتها بطبائع الرجل . وما ورد من أقوال وآراء في المرأة القديمة والحديثة ، والمرأة في الأمم البدائية ، والمرأة ومركزها في مختلف الأمم القديمة ، وهي : المرأة في مصر ، والمرأة البابلية والآشورية ، المرأة في فارس ، المرأة الفينيقية ، المرأة في الهند ، المرأة في الصين ، المرأة التترية التركية ، المرأة الاسترالية ، المرأة اليابانية ، المرأة اليونانية ، المرأة الرومانية ، المرأة في اليهودية ، المرأة في النصرانية ، والمرأة في الإسلام .

وقد بذلنا الجهد في البحث والتنقيب لكي نعطي فكرة موجزة مفيدة عن المرأة ومركزها في تلك الأقوام والدول ، راجين من الله عز وجل أن يرشدنا إلى الطريق السوي انه سميع مجيب .

دمشق : ١٠ صفر ١٣٩٩ هـ — عمر رضا كحالة

٩ كانون الثاني ١٩٧٩ م

طبائع المرأة ومقارنتها بطبائع الرجل

من الفائدة قبل الشروع في بحث كتابنا هذا والدخول في صلب موضوعاته، أن نلم بمباحث موجزة عن الفوارق الطبيعية بين المرأة والرجل ، لنبين ما خصت الطبيعة كلاً منهما بخصائص وطبائع جسمانية ونفسانية ، وإن شذت تلك الخصائص والطبائع أحياناً في بعض الأمم البدائية والمتطورة ، وذلك حسب مناخ أقاليمها وطبائع تلك الأمم واختلاف عناصرها وأفرادها .

الفروق الفسيولوجية بين المرأة والرجل :

يمكن القول : ان معظم الفروق بين الرجل والمرأة يكون في الكهولة . أي عند منتهى النمو ، وأوله في سن الصبوة والشيخوخة ، سواء نظرنا إلى البدن كله أو إلى كل عضو من أعضائه ، فإنه لا يوجد فرق بين الذكر والأنثى في الحياة الجنينية ، ثم يكون الفرق قليلاً عند الولادة ، ويبلغ معظمه في الكهولة ، ثم يتناقص في الشيخوخة .

والاختلافات الفسيولوجية بين الرجل والمرأة ، فهي اختلافات واضحة في جسميهما ، فقد ذكر الباحثون أن المرأة أنقص تكويناً من الرجل ، وأقل جلداً وأضعف مقاومة ، هذه هي الصفة العامة التي تنطبق على كل أجهزتها وأعضائها ، ثم أوردوا تلك الفروق على اختلافها .

ونبدأ بالهيكل العظمي للمرأة ، فإنه في مجموعه أصغر وأرق من هيكل الرجل ، وعظامها أقل سماكة ووزناً من عظام الرجل .

ويعود ضعف الهيكل العظمي عند المرأة عن الهيكل العظمي عند الرجل لأربعة أسباب :

١ ــ ضعف عضلات المرأة عن عضلات الرجل .

٢ ــ الحيض عند النساء .

٣ ــ الحمل والولادة والرضاعة .

٤ ــ الوراثة .

وأما رأس المرأة ، فبينها وبين رأس الرجل ، تباين ، فوزن جمجمة المرأة وحجمها المطلق ، أقل وأصغر من مثلها عند الرجل ، ولو أن هذا الوزن والحجم بالنسبة لمجموع جسمها ، أكبر منهما عند الرجل .

وعظام جمجمتها أرق وأسطحتها أنعم ، وبروزتها ونتوءاتها أقل ظهوراً مما عند المرأة . . . والجزء الأسفل المقدم من العظم الجبهي أكثر بروزاً في المرأةمما عند الرجل،والعلوي مفرطح ،فالجبهة عند المرأة عمودية تقريباً ، قليلة الاستدارة ، والفكان والأسنان أقل حجماً .

ومجموع الوجه أصغر منه في الرجل ، فإذا كسيت هذه العظام اللطيفة بالعضلات القليلة اللحم الكثيرة المواد الحلوية ، يصبح وجه المرأة قليل العظم مستديراً ذا تقاطع في غاية من الرقة والظرف ، ولا عجب إذا ظهر وجه المرأة كذلك ، فإنه ما خلق إلا ليسحر ويأسر القارب .

وقد تبين أن جمجمة المرأة يقل حجم الفراغ داخلها ، عن حجم الفراغ داخل جمجمة الرجل ، ومن هذا يفهم بسهولة ان العضو الذي يملأ هذا الفراغ لا بد وأن يكون أصغر من مثيله عند الرجل ، وهذا العضو المخ .

ودراسة المخ ومقارنة مخ المرأة بمخ الرجل ، لها علاقة كبرى بتقرير حقيقة المرأة ، لأنه هو المركز الأصلي للعقلية الإنسانية ، بل هو المحطة الرئيسية لشعور ونفسية الإنسان .

فمقارنة المخ عند المرأة والرجل ، تساعد كثيراً على فهم عظمة الجهازين الخاصين بكل حركة وعاطفة وشعور وإحساس وتمييز عند المرأة والرجل ، وعلى تقدير تفوق كل منهما على الآخر .

ويرى بورت ومور : وجود فروق دقيقة في صورة المخ عند الرجل البالغ وعند المرأة البالغة ، فبينما تكون قشرة المحيط الخارجي للمخ عند الرجل البالغ أوضح في تكوينها ، نجد السرير الصعبي الذي هو في أسفل جذع المخ عند المرأة البالغة أوضح في تكوينه منه في الرجل ، وبما أن القشرة المخية من بعض وظائفها أمور التمييز الحسي بخلاف جذع المخ الذي هو أدنى من أن يكون متصلاً ببعض وظائف الشعور الحسي والانفعالات ، فمن المحتمل كثيراً أن عقلية المرأة أدنى إلى أن تكون متأثرة بالانفعالات بخلاف عقلية الرجل التي هي أدنى إلى أن تكون متأثرة بالتفكير [١]

وان مخ المرأة ما بين سن العشرين والستين ، يقل عن مخ الرجل في نفس هذه السن بمقدار يختلف ما بين ١٢٦ غراماً إلى ١٦٤ غراماً .

---

(١) مجلة الهلال السنة ٣٨ ، العدد ٤ .

وان مخ المرأة ما بين سن الستين والتسعين يقل عن مخ الرجل في نفس هذه السن بمقدار يختلف ما بين ١٢٣ غراماً إلى ١٥٨ غراماً .

وقد جرت هذه الدراسات في المرأة والرجل اللذين من نوع الإنسان الراقي ، فإذا قورنت أوزان مخ المرأة الراقية بالأوزان التي حصل عليها بعض العلماء في نوع الإنسان المنحط عقلاً وحضارياً وطبعاً ، لوجد أن متوسط وزن المخ أرقى النساء في أرقى الشعوب يعادل متوسط وزن مخ الرجل المنحط ، لأن متوسط مخ الرجل من هذا النوع يختلف ما بين ١١٩ غراماً إلى ٢٦٠ غراماً .

وإذا رجع الباحث إلى المباحث والدراسات التي أجريت على الأطفال والأجنة الذكور والإناث ، لعلم أن مخ الإناث يقل عن مخ الذكور من أول لحظة يبدأ فيها الجنين في النمو .

ذكر ريدنجر وصفاً لمخ الأطفال ، فقال : إن روبرت بويد وجد فرقاً كبيراً بين مخ الطفل ومخ الطفلة بعد الولادة ، ولاحظ أن مخ الطفلة ينقص في وزنه عن مخ الطفل بمقدار ٤٦ غراماً .

ولاحظ ريدنجر أيضاً أن مخ الطفلة لا يختلف في ميزاته فقط عن مخ الطفل بل ان التعاريج التي على سطح مخ الطفلة قليلة وأن هذه التعاريج والارتفاعات والانخفاضات التي على سطح مخ الطفل متعددة وأكثر جداً مما هي عند الطفلة [1] .

وقيل : إن هذه التعاريج علامة مميزة لأنواع المخ الراقي ، فكلما كثرت وتعددت ، كلما كان نوع المخ أرقى .

---

(١) الدكتور فخري : المراة وفلسفة التناسليات .

وقال الدكتور أحمد عيسى : وأما النظام العصبي للمرأة فإنه لا يختلف في الشكل اختلافاً جوهرياً عنه في الرجل لا في الدماغ ولا في النخاع الشوكي ولا في الأعصاب الدائرية ، وإنما يختلف عنه في وزن المخ ، فوزن مخ الرجل يزيد عنه في المرأة بنحو ١٤٩ غراماً ، ومخ الرجل يفوق في أسطحته وفي أطواله مخ المرأة ونمو الفصين الجبهي والجداري ، أسبق في الرجل منه في المرأة والفص الجبهي في مخ الرجل أكبر وزناً وحجماً عن مثله في مخ المرأة ، ويبلغ متوسط وزنه عند الرجل ٤٧١ غراماً ، وعند المرأة ٤٠٨,٥ ، والفص المؤخري أكبر في مخ الرجل عنه في مخ المرأة أيضاً ، ومتوسط وزنه في الرجل ١١٠ غرامات وفي المرأة ٩٥ ، وأما الفص الجداري فهو أكبر في مخ المرأة منه في مخ الرجل ، ولكن هذا جميعه لا يتخذ حجة على انحطاط المرأة وتأخرها عن الرجل في الذكاء والقوى العقلية ، فإن هذه الفروق لم تكن مطلقة ، فإذا قارنا وزن أعضاء المرأة بوزن أعضاء الرجل نجد أن المرأة تقرب من الرجل كثيراً بوزن المخ أكثر من سواه ، وأن الفرق بين المخين يسير بالنسبة لصغر جسم المرأة وقلة وزنها العمومي ، وأن النسيج الذهني فيها وشعورها هي في الحقيقة وزن مفقود ، وإذا قارنا النسبة بين مخ المرأة وجسمها بالنسبة بين مخ الرجل وجسمه نجد أن مخ المرأة أثقل بالنسبة من مخ الرجل ، وكذلك فإن هذه الزيادة في النسبة لا تثبت سمو مدارك المرأة على الرجل ، ولكن بالأحرى احتمال تساوي القوتين فيهما .

ولما كان المخ هو مركز الوظائف النفسانية والحواس المدركة والحركات الإرادية ، فقد أراد بعضهم أن يستنتج من ذلك حجة دامغة على انحطاط المرأة عن الرجل ، ولكن قام بعض المشرحين بنقض تلك الدعوى وأثبت أن الفرق بين المجموعتين العصبيتين في المرأة والرجل يكاد لا يذكر [1] .

---

(١) الدكتور احمد عيسى : صحة المراة في ادوار حياتها .

ولا يغرب عن البال أن الاختلافات والفوارق الشخصية من حيث الدماغ في كل جنس تغاير الجنس الآخر ، فوزن دماغ النساء في بعضهن يختلف بين ١٠٠٠ غرام و١٥٠٠ غرام ، وفي بعض الرجال يختلف دماغهم بين ١١٥٠ غراماً و ١٧٠٠ غرام [١] .

وقال غوستاف لوبون : فمستوى العقل يكاد يكون واحداً عند جميع أفراد الأمم الدنيا ذكوراً وإناثاً ، وتشابههم في ذلك يعطي بمجموعهم قسمة المساواة التامة التي يحلم بها الاشتراكيون في هذا الزمان ، وأما عند الأمم الراقية فالقاعدة هي اختلاف الأفراد وكذا النوع اختلافاً كبيراً .

وينبغي أن نشير إلى أن الفرق الذي تحدثه المدنية بين الأفراد مشاهد أيضاً بين الجنسين ، فالرجل والمرأة متساويان على التقريب من جهة العقل عند الأمم المنحطة وفي الطبقات الدنيا من الأمم الراقية ، ويظهر ذلك الفرق وينمو كلما ارتقت الأمة في المدنية [٢]

وقال فورل : والظاهر من اختلاف العلماء أنه لم تقم حتى الآن أدلة كافية على تقرير منزلة المرأة من حيث نسبة قواها العقلية إلى قوى الرجل العقلية [٣] .

وأما جسم المرأة فيكون عادة أقصر من الرجل ، فمتوسط طول الرجل يختلف بين ١٧٠ و ١٧٢ سنتيمتراً في أوربة .

وأما وزن جسمي الرجل والمرأة ، فإن معدل وزن الطفل المولود حديثاً ٣٢٥٠ غراماً ، والطفلة ٢٩٠٠ غرام ، وقلما يفرقان بعد ذلك إلى ما بعد

---

(١) G. Dumas : Traité de Psychologie .

(٢) غوستاف لوبون : سر تطور الامم .

(٣) مجلة المقتطف ٤٩/٥٥٢ ــ ٥٥٦ .

السنة الثانية عشرة ، ثم يزيد هذا الفرق جداً برجحان الذكر ، فيبلغ حسب تعديل كواتلت من أربعة إلى خمسة كيلوغرامات ، ثم يتناقص في الشيخوخة .

وأمّا من وجهة الفوارق الفسيولوجية فذكر مايم : ان الكريات الحمراء أكثر عدداً في الرجال منها عند النساء ، ومتوسطها بنسبة ٥ للرجال إلى ٤,٧ للنساء .

وقد وجد أن الحرارة الّتي تتولد من جسم الرجل خلال الراحة ، تزيد من ٥ إلى ٨ في المئة عنها في المرأة الّتي في نفس السن والمساوية للرجل في الوزن وطول القامة ، غير أن المرأة عندها استعداد للسمن ، أكثر من الرجل . وعضلات المرأة على العموم أضعف من عضلات الرجل ، وقوة المرأة من سن الخامسة والعشرين إلى الثلاثين ، ثلثا قوة الرجل في هذه السن ، ولوحظ أن عضلات المرأة تحتوي سائلاً مائياً أكثر من عضلات الرجل ، ويظهر الدهن في جسم المرأة في صدرها وعجزيها وفخذيها ، وعلى كل فإن جسم المرأة يحوي كمية من الدهن أكبر نسبياً من الكمية الدهنية الموجودة في جسم الرجل .

وحنجرة المرأة أصغر من حنجرة الرجل ، وأقل تصلباً منها .

وأما أوتار الصوت الموجودة في حنجرة المرأة فتختلف عما عند الرجل ولذا فإن صوت المرأة أرفع وأرق من صوت الرجل عادة ، ويظهر ذلك بالأخص عند البلوغ .

والحوض عند المرأة أوسع في فتحته من حوض الرجل وان حوض الرجل أضيق وأعمق من حوض المرأة ، وتوجد اختلافات أخرى بين حوضي المرأة والرجل .

وينحصر الفرق بين المرأة والرجل فيما يتعلق بقفص الصدر والذراعين والساقين واليدين الخ . . . في أن عظام المرأة أضعف وأقصر في طولها نسبياً عن عظام الرجل إلاّ في بعض أجزاء قليلة .

وأما العمود الفقري فإنه أقل طولاً في المرأة عن الرجل وفقراته قليلة الوزن والقسم القطني منه (الخاصرة) أطول من مثله عند الرجل وأكثر انحناء .

وأما القفص الصدري فيختلف عن صدر الرجل اختلافاً واضحاً ، فصدر المرأة على العموم أقصر وأكثر استدارة وبروزاً للأمام من صدر الرجل، ويأخذ في الضيق من أسفل حتى نهاية الصدر ، وهو ما يجعل للمرأة خصراً رفيعاً ، وأما العضلات بين الأضلاع فإنها قليلة النمو ، ويزيد عنها النسيج الحلوي والدهني ، فإنه كثير النمو في صدر المرأة مما يجعله لين الملمس والغدد الثديية تنمو كثيراً عندها لأنه يطلب منها تأدية وظيفة من أعظم الوظائف الحيوية ألا وهي الرضاعة .

وجذع المرأة أطول من جذع الرجل بالنسبة إلى اليدين والرجلين ، وقامة المرأة أقل انتصاباً من قامة الرجل ، وقدمها أقل ثبوتاً من قدمه .

وأوتار الصوت أقصر في المرأة منها في الرجل ، ولذلك فصوت المرأة أعلى وأحدّ ، وحنجرتها أصغر وأعلى في حلقها وغدتها الدرقية أكبر من غدته ، ورئتا المرأة أصغر من رئتي الرجل بالنسبة إلى جسمها ، وهي تزفر من الحامض الكربونيك أكثر مما يزفر الرجل .

ويختلف معدل دم المرأة عن دم الرجل ، لأن الكريات الدموية عند المرأة أقل من عدد الكريات عند الرجل .

والماء في دم المرأة أكثر من الماء في دم الرجل ، وثقل دمها النوعي أخف

من ثقل دمه النوعي ، ونبضها أسرع من نبضه من ثماني نبضات إلى اثنتي عشرة نبضة في الدقيقة .

وقلب الرجل أكبر من قلب المرأة حجماً وأثقل وزناً ، وشرايين الرجل وأوردته أوسع من شرايين المرأة ، وحوائطها أسمك من حوائط الأوعية الدموية عند المرأة ونبض الرجل ينقص في دقاته عن نبض المرأة .

وتنفس المرأة صدري ، وأكثر اتساع الصدر عند الشهيق يحصل في الأضلاع العليا .

والدورة الدموية عند المرأة لا تختلف عنها عند الرجل إلا في الحمل ، غير أن قوة الدورة الدموية عند المرأة أقل منها في الرجل ، والتبادل الغازي يختلف بين الذكر والأنثى ، فالمرأة يتصاعد فيها قليل من حمض الكربونيك وتمتص من الأوكسجين أقل من الرجل وتزداد حركة التنفس في الفتاة حتى البلوغ ، ثم تقف عن الزيادة إلى اليأس ، ثم تزيد بعده ، وفي الحمل تزيد حركة التنفس والتبادل الغازي .

وجلد المرأة يختلف عن جلد الرجل ، ولوحظ أن جلد المرأة أكثر نعومة وأقل سماكة من جلد الرجل ، وأن جلد المرأة أفتح لوناً من جلد الرجل . وهذا ينطبق طبعاً على الأمم البيضاء والصفراء ، ولوحظ أن جلد المرأة أكثر إحساساً باللمس من جلد الرجل ، وأن جلد المرأة أكثر تأثراً بالمؤثرات الجوية كالحر والبرد من جلد الرجل .

وأما شعر المرأة أطول من شعر الرجل وأن شعر الفتاة الصغيرة الوسطى يكون دائماً أطول من شعر الولد الصغير الذي لا يقص شعره .

ولوحظ أن الشعر يكثر نموه على أجزاء كثيرة من جسم الرجل . ولكن الشعر لا يظهر على جسم المرأة في أكثر الأحوال إلاّ في ثلاثة مواضع :

على رأسها وتحت إبطيها وحول عضوها التناسلي ، ولو أن كثيرات من النساء ينمو عندهن الشعر أحياناً على الأذرع والصدر والساقين وأجزاء أخرى بشكل ظاهر .

الفروق البيسكولوجية بين المرأة والرجل :

يحسن بنا بعد إيراد هذا الملخص الفسيولوجي للمرأة والرجل ، أن نولي وجهنا شطر الاختلافات النفسية والعقلية ، واختلف بعض الباحثين في هذه الفروق والاختلافات فقال شبلي شميل : أما كون حواس المرأة الخمس أدق من حواس الرجل فقول مبني على أدلة تشريحية وفسيولوجية مغلوطة ، وأن بناء هذه الحواس هو بناء جميع المجموع العصبي ، ولا يخفى أن هذا المجموع أرقى في الرجل منه في المرأة ، ولا يعلم سوى أن المرأة أشد انعطافاً من الرجل ، أعني أن عصبها ينفعل أكثر من عصبه لذلك كانت تتأثر أكثر منه وشدة هذا التأثر العصبي ليست دليلاً على شدة العصب ، بل على ضعفه كما لا يخفى على علماء الأمراض ، فكون أعصاب المرأة ألطف تركيباً وأدق بنية هو عليها لا لها [1] .

وقال الدكتور فخري : الأصل في هذه الحياة ، هو بذرة الرجل الذكر وبويضة الأنثى ، والعلم يعلمنا أن بذرة الرجل هي العنصر النشط المتحرك ، ويعلمنا أن بويضة المرأة هي العنصر الهادىء المستسلم ، فبذرة الرجل هي التي تجري وتظفر وتسعى لدخول بويضة المرأة ، وبذا يتم تلقيح البويضة ، وبتتميم عملية التلقيح تبدأ حياة النسل الجديد ، إذن فبذرة الرجل هي مصدر النشاط ،

---

(١) الدكتور شبلي شميل : المجموعة .

مصدر القوة ، مصدر الطمع ، ومصدر الحركة ، وبويضة المرأة هي الدعة ، هي الصبر ، هي الهدوء والسكون [1] .

ويرى شوبنهور : أن المرأة بحكم تكوينها لا تستطيع أن تضطلع بجليل الأعمال ، الجسمي منها والعقلي على السواء ، وأن رسالتها في الحياة تنحصر في الإنسال وتعهد الأطفال مع وجوب طاعتها للرجل وخضوعها له ، فقد شاءت لها الطبيعة أن تسلك في حياتها سبيلاً هادئاً مطمئناً وادعاً لا تصادف فيه ما يصادف الرجل في حياته من التطرف في اللذة والألم كليهما ، وإذا كانت الحياة قد ركنت إلى المرأة في أداء هذه الرسالة الكبرى ، وأرادت بها أن تكون أداة لتربية النشء في الطفولة الباكرة ، فقد أعدتها إعداداً عقلياً يلائم الغرض من وجودها ، فجاءت ضعيفة العقل قصيرة النظر حتى لكأنها طفل كبير لكي يتم بينها وبين أطفالها شيء من التناسق والانسجام ، أو ان شئت فقل انها مرحلة عقلية متوسطة بين الطفولة والرجولة . . . هنا عرفت الطبيعة في المرأة ضعفها فوهبتها الجمال تغزو به أفئدة الرجال . . .

لقد اتخذت الحياة من المرأة وسيلة للتعبير عن إرادتها في البقاء ، وان المرأة لتعلم في أعماقها انها خلقت لحياة النوع قبل أن تخلق لشخصها [2] .

وقال **A. Fouillé** : إن دماغ المرأة هو أقل قابلية في السعي والقوى العقلية ، غير أن لها الدور المشرف في الأسرة التي تستلزم تطوراً وتقدماً في بعض الأنواع غير المحدودة في الحياة التي تتطلب قوة معنوية أدبية ، أكثر مما يلزمها من القوى العقلية .

---

(١) الدكتور فخري : المراة وفلسفة التناسليات .
(٢) مجلة الرسالة بالقاهرة العدد ١٢٨ .

ثم قال : يجب أن يكون الرجل والمرأة شخصين غير متنافرين ، يكمل الواحد الآخر ، وإذا أنجبا طفلاً يكونان قد أنشآ اتحاداً يمكن أن يطلق عليه اسم الثالوث البشري المؤلف من الأب والأم والولد (١) .

والمرأة أكثر انفعالاً من الرجل ، والمرأة وإن تظاهرت بالابتسام ، واتشحت بوشاح الرقة والسلام لا تنسى خصال الحقد ، لأنها مفطورة على ذلك.

وترى المرأة أكثر ثرثرة في كلامها وأكثر تهوراً في عملها ، تندفع تحت أي مؤثر من المؤثرات الخارجية إلى الصخب وإلى التهور . . . ولها أسباب قويمة يمكن الرجوع إليها ، فإن قلب المرأة ضعيف يتأثر بسرعة ، ويتأثر إلى حد الاضطراب ، ويتفاعل ، وهذه نظرية قديمة ترجع إلى عوامل فسيولوجية بحتة ، وهو أكثر نبضاً من قلب الرجل ، عرضة للتأثر ، وهذا النوع من الحاسة القلبية ميزة خاصة قائمة بالمرأة ، والنسوة في مجموعهن يفزعن لأي خطب وينزعجن من الشيء البسيط أكثر من الرجال ، وليس معنى ذلك أنهن يفتقرن إلى الشجاعة في موطن الحاجة إليها ، بل لهن مواقف مشهورة في الأخطار .

وإن النزق عريق في المرأة ، وهو نتيجة لانفعالات الجهاز العصبي ، وتراه في كل كلمة تصدر منها ، ولدى أي اهتياج يصيبها من حادث أو عبارة تصل إلى أسماعها .

أما سبب رغبتها في النزاع وفي أنك تراها حروناً غير طبيعية شكسة تذرف الدمع بسرعة ، وهذه صفات تنفر الرجال من النسوة ، وتدعوهم إلى بغضهن ، إنها غريزة من غرائزها وإلى جانبها تزهر أفانين الحب والشفقة ، وكل هذه

---

(١) **A. Fouillé : Tempérament et Caractère selon les individus . les sexes et les races .**

متأصلة في أعماق نفسها وفي ناحية منها الشكاسة ، وإلى جانبها بساطة الطفولة ، ثم التضحية ، على أن تلك الأخلاق البغيضة إلى الرجال يمكن التحكم فيها والعمل على كبح جماحها ، ومرجع ذلك إلى مقدور المرأة وقوة إرادتها .

ومجال الحب في المرأة أوسع منه في الرجل وتأثيره في عقلها وفي أعصابها ظاهر كل الظهور .

وقيل : إن النساء يتصفن بالعُجب أكثر من الكبر ، وهذا لا يعني أنه لا توجد نساء متكبرات ، يحببن السلطة والنفوذ ، غير أن صفة العجب غالبة عليهن منذ طفولتهن .

وتغلب على المرأة طبيعة العاطفة ، مما يجعلها أقل صلابة وقسوة من الرجل ، وتتجلى عواطفها في حبها للبيت والتدين وزيارة الأموات واحترامهم ، كما أنها أكثر تمسكاً بتقاليد الأسرة وعادات بلادها .

وليس من طبع المرأة التأني والتؤدة في الدراسة والبحث وتنسيقه للوصول إلى الحقيقة والصواب ، بل تريد أن تعرف ذلك بسرعة وتعتقده ، على العكس من الرجل فإنه يحقق ويصر على بحثه حتى يعثر على الحقيقة .

وإذا بحث الذكاء النسائي ، فإنه ذكاء مقتبس ، وأن المرأة لم تكن قائدة للبشرية ، وربما كانت قائدة أحياناً للرجل ، ولكنها لا تقود الفكر البشري ، وأن سلطتها تكون محصورة في عواطف الرجل وسلوكه ، لا في الذكاء العام للجنس البشري .

وأما استقلال المرأة في الرأي ومحاكمة الأشياء فهو نادر فيها ، لأنها تخشى أن تكون وحيدة في ذلك لأن من الصعوبة أن تقيم النفس النسائية الأشياء برأي ثاقب ، حيث هنا يعمل القلب فيقود النفس ، ومن الصعب أن يبنى ذلك الرأي بدافع من العقل والفكر النير .

وإن النساء على العموم أقل إثباتاً للشخصية من الرجال مما يسبب لهن الطيش وقلة الثبات وتلون الطبع .

والفتاة ميالة بالطبع لدخول المطبخ ولأعمال المنزل ، وأغلب ما يتجلى في نفسية المرأة حب من يعولها ويحميها ، حب الرجل ، الزوج أو المعشوق ، حب أطفالها . حب أهلها وصديقاتها ، الغيرة الحسد ، حب الانتقام ، الخيانة ، القناعة . الأمل . الصبر . الاندفاع وراء العواطف والوجدان ، التقلب ، الضعف ، الخوف . الحيلة ،السكون ، الاعتداد بالنفس،ازدراؤها لغيرها، حب الاستطلاع ، الدراسة السطحية ، عزة النفس ، العفاف ، الاعتزاز بغيرها ، تعشق الجديد ، تقليد غيرها ، وحب الظهور .

وأغلب الرجال يشعرون بوجود ذاتهم . ويتحلون بحب العلم والثروة والملاذ والشهرة والتعمق في الدراسة ، والابتكار ، والنشاط المستمر ، عبادة الفكر ، التضحية ، المثل الأعلى ، الأمل ، الطمع ، تحكيم العقل ، ، الثبات ، القوة الشجاعة ، الإقدام ، عزة النفس ، الاستقلال،احترام آراء الآخرين، الجبن ، الخيانة ، الحسد ، الكسل ، القسوة ، الاستبداد ، وحب السلطان .

ويجد بورت . ومور : أن الفروق النفسية بين المرأة والرجل هي في التفاوت والكمية دون الكيفية ، وليس أحد الجنسين متجرداً من صفة من صفات الجنس الآخر ، أو من سجية من سجاياه ، وأن للمرأة ميزة على الرجل وتفوقاً من حيث شدة الشعور بالحس المجرد ، وأن الرجال أميز من المرأة وأقدر من حيث شدة الشعور بتمييز الفوارق بين مختلف الإحساسات ، وأن المرأة أحس من الرجل بالروائح والألوان والأصوات ودقة اللمس وهي إحساسات بسيطة ذات صلة بعالم الخيال والعواطف ، وأما الرجل فهو أقوى شعوراً من المرأة بالإحساسات المركبة ذات الأثر في الحياة العملية كحس الحركة والأثقال والسطوح ، وأن المرأة تبز الرجل في القابلية لحفظ الجديد ، بخلاف

الرجل فإنه يتفوق عليها في سرعة التنفيذ ودقة الترتيب عند إظهار ما حفظته نفسه .

وإن المرأة تمتاز على الرجل في شدة أثر الانفعالات وفي تفكيرها وإرادتها والرجل يمتاز عليها في القدرة على شدة الانتباه وحصر قوى العقل وتركيزها للتفكير [1] .

وراح روسو يثبت ويقيم الدليل على أن الجنسين المرأة والرجل يختلفان اختلافاً أساسياً وينادي على رؤوس الأشهاد بعدم تربية الجنسين تربية واحدة بل يجب أن تكون مختلفة لأن تركيب الرجل والمرأة يختلف الواحد عن الآخر سواء كان ذلك من الوجهة الفسيولوجية أو النفسية ، فلكل منهما طبع ومزاج خاص به [2] .

وقيل : إن أكثر ما تظهر الاختلافات الفسيولوجية ما بين الرجل والمرأة ، في سن البلوغ ، فمن الوجهة الباثولوجية ، فالمرأة في هذا الدور معرضة إلى نفس الأمراض التي يتعرض لها الرجل من علل وأمراض وخاصة بما يتعلق بالأعضاء التناسلية .

وأما من الوجهة البيسكولوجية ، فنفسية الفتاة لا تختلف نفسيتها كثيراً عن نفسية الفتى ، وكذلك لا تختلف نفسية المرأة الطاعنة في السن عن الرجل المسن ، بل يتلاقيان في هذه المرحلة من العمر .

وأكثر ما يكون الاختلاف بين المرأة والرجل في سن البلوغ ، حيث تكون نفسيتهما مختلفتين ، وقد تكونان متباينتين ، حيث ينتاب المرأة اضطراب

---

(١) مجلة الهلال ٣٨/٤ : ٤ .

(٢) J. J Rousseau : Œuvres Choisies .

وهيجان واندفاع نحو غريزة الأمومة ، وبما تمتاز به من إخلاص وتضحية وإحساس وغيرة وغضب ، الخ . . . [١] .

وقصارى القول : إن الفروق الجسمانية والنفسية والعقلية ، لا تصدق على كل رجل وكل امرأة ، بل هي نتيجة احتمالية وتقريبية ، يكثر شذوذها ، كما يكثر شذوذ أكثر القواعد الإجمالية [٢] .

---

(١) Larousse de XXe siecle – Femme .

(٢) انظر هذه الفروق وما قيل فيها في كتابنا الزواج ٢/٩٣ ــ ١٩٥ .

المرأة ومركزها في مختلف الأمم القديمة

يختلف مركز المرأة في العالمين القديم والحديث ، باختلاف الأمم والأصقاع والأقاليم ذوات الطبائع المختلفة من معتدلة وحارة وباردة ، وما تعاقب عليها من الزمن قديمه وحديثه ، وما تقلب عليها من عوامل منوعة من دينية واجتماعية وعادات وأخلاق . ومرت عليها أطوار من عوامل الانحطاط والرقي والتقدم في الحضارة والعمران ، مما جعل المرأة يرتفع شأنها وتسود في بلاد وتنحط في بقاع أخرى من العالم .

جاء في مقالة عنوانها : المرأة في مختلف العصور وأحوالها وتأثيرها في البشرية ملخصة عن اللغة الانكليزية بقلم حنا خباز وهذا نصها : [١] .

للنساء شأن كبير في التاريخ منذ ذرّ فجره ، فإنهن نصف البشرية . ولدى الإمعان في حياتهن نجدها مغلقة بحجب الخفاء . اللهم إلاّ بعض شهيرات الملكات من فاضلات وسافلات ، فهؤلاء تركن وراءهن أثراً واضحاً .

إننا نعرف أحوال الإنسان عموماً وشؤونه الاقتصادية والروحية ، أما ما يجري لهن في الخدور فقلما نتوصل إليه إلا من باب الظن والتخمين . فشؤون الذكر خاصة هي سدى التاريخ ولحمته ، أما هن فقد حسبن من متاع الرجل

(١) مجلة الاخاء ٥/٧١ ــ ٧٧ .

لا غير ، فقد ألفنا حسبان الرجل ركن التمدن ، وأن المرأة مختصة بالبيت والنسل ، ولذلك قلما اشتغلت بها أقلام المؤرخين إلا من حيث علاقاتها الزوجية والأدبية .

على أننا نرى فروقات واضحة بين حاليهما في خلال القرون التاريخية ، إذ كان التاريخ محكوماً بعوامل سرية وقد تطور وارتقى بتأثير الفكر الإنساني .

وقد بدأ التفريق بين الجنسين بالتنظيمات وتوسع الحروب والحراثة والسحر ، ورافقت هذه الصفة تاريخ الإنسان في رحلاته ، وإن يكن الجنسان قد عاشا معاً لم يكن تاريخهما واحداً ، بل كان لكل منهما أحوال خاصة ، كأنه يعيش في عالم آخر .

أربعة أمور كونت التمايز بين الجنسين ، هي الفوارق الجنسية ، نظام الجندية ، الاقتصاديات ، والآداب .

١ — الفوارق الجنسية ؛ فقد كان التمايز الطبيعي بين الجنسين أساس كل التاريخ . فلو لم تكن الأنثى أضعف من الذكر جسماً ، وألصق بالنسل علاقة ، لما فُرق بينهما ولا اختصت دونه بعادات وشؤون ، ويتعذر علينا أن نعرف ما إذا كان التاريخ لولا ذلك . . . وكل ما علينا أن نعرفه هو أنهن أخفض قدراً من الرجل لأنهن أضعف جسماً .

٢ — الحروب ؛ فقد كان نظام الجندية والحروب التي خاض الرجل عبابها ، جانية على الجنس اللطيف في كل العصور ، إذ آلت إلى تقيدهن عقلاً وعملاً ، فصرن غنائم حرب يسوقهن الظافر سوق الأغنام ، وكل ما رفع قدر الرجال خفض قدرهن .

على أن هذا الاستقراء غير مطرد في التاريخ بدليل ما انجلت عنه حوادث الحرب الأوربية الأخيرة ، فقد كان اشتراكهن مع الرجال سبب خير عظيم

لهن فشمرن عن ساعد الجد واندفعن للعمل في الحوانيت والمعامل . . . فكان ذلك في مصلحتهن .

٣ ــ الآداب الجنسية ؛من الأمور المتيسرة درس هذا القسم بأكثر تدقيق . إذ يهون علينا أن نتتبع الشرائع والأديان والآداب بما يمكن من الضبط ، على أن دخولهن فيه أمر غير مباشر لقلة النابغات منهن في ميدان الفلسفة والكهانة والاشتراع ، فهن موضوع درس أكثر منهن موضوع عمل ، على أنهن شغلن في ميدان الدين مركزاً مهماً مع كونهن ذليلات خائنات ، وكان بعض الإلهات اناثاً . . . فإلى هذه النقطة يلوي عنان البحث لكثرة ما فيها من النصوص والأحكام،ولدينا ما لا يحصى من القوانين الموجبة فضيلتهن ... فهل كان انحطاط بنيتهن الفزيولوجية نتيجة الأحكام الدينية وتحامل الذكور عليهن، أو نتيجة يأسهن وتراخيهن ؟

وتهمنا كثير علاقتهن بالشرائع ، فماذا كان رأيهن في الزواج الجمهوري الذي كان بموجبه جمهور من النساء لجمهور من الذكور ؟ كيف وجد هذا النظام ، وكيف خضعن له ؟ وهكذا نظام تعدد الزوجات لرجل واحد وتعدد الأزواج لامرأة واحدة . . .

انه ليعسر علينا جداً تحديد عصر الأم والانتساب إليها ، وحصر الإرث فيهن ، فلم يقترن ذلك العصر بالضرورة بسيطرتها على الأسرة والعشيرة ، ومن الممكن أن الأمومة أفضت إلى أمرين نقيضين هي استعبادهن، وفوزهن بامتيازات ذات صفة استقلالية .

كانت المرأة في العراق قبل عهد موسى وحمورابي في حال المساواة التامة بالرجل ، تتمتع بحق التملك نظيره ، تزوجت أم لم تتزوج ، وكانت تعقد العقود التجارية وتتحمل مسؤولية الأعمال الاقتصادية والإدارية ، فبارت الرجل في التجارة والإدارة والقضاء والاشتراع والتعليم .

وكانت تخدم الهياكل نظيره ، وكان لكاهنات بابل قدر عظيم من الاحترام وعلو الشأن ، وبالجملة كانت العراق في ذلك العهد السحيق كأوربة وأميركة اليوم ، بل أرقى .

وكانت النساء في عهد الفراعنة مالكات الأطيان دون منازع ، ولكن ينوارثنها دون الذكور ، على أن المرأة المصرية لم تبلغ شأو أختها الكلدانية ، وعندنا رسوم من عهد الدولة الرابعة والخامسة والسابعة ، ترينا النساء عاملات بالحراثة والتجذيف دون التجارة والتعليم ، ولم يتربعن في دست الأحكام ، إلا أميرات الأسرة المالكة كالملكة حتشبوت زهرة ملوك عصرها ، ولكن ذلك مما يحفظ ولا يقاس .

وكلما ارتقت المدنية واتسع نطاق المدن سهلت مساواتهن بالرجال على أن المؤرخين خفضوا شأن هذه المساواة وسخروا بفكرة ارتقائهن ، ولكن عندنا أساطير وافرة تثبت امتلاكهن الرفعة والاحترام ، لا جزاء صبرهن وخضوعهن ، بل لقيامهن بأعمال الأبطال ، وقد أجمعت الأساطير على وصفهن بالجبابرة .

ولكن المؤرخين يرتأون أن تلك الأساطير قد لفقت ، وقد تضاربت الآراء في تعليلها ، فذهب فريق إلى أنهن بالحقيقة رجال بملابس النساء .

وذهب آخرون إلى أنهن كاهنات كن يرقصن في الهياكل ، ولا دليل على صحة أحد هذه المزاعم ، فالأرجح أنهن رؤساء العشائر ، وقد صحبن الرجال إلى ميادين القتال ، فلم تنشأ تلك الأساطير عنهن إلا أنهن وجدن بالحقيقة ، ولسن أشخاصاً خرافية كاللاتي في الميثولوجيات اليونانية .

ولنا في التاريخ أمثلة على محاربة النساء ففي داهومي كن يؤلفن نصف الجيش عدداً ، وقد نظمن فصائل حربية في بوهيمية في القرن السادس عشر .

الجيش عدداً ، وقد نظمن فصائل حربية في بوهيمية في القرن السادس عشر وفي روسية ١٩١٥ م،ولم تكن بودوسية ولا جان دارك من الأشخاص الخرافية ولكن التمدن البابلي انقلب شر منقلب ، وعصر الفراعنة انقضى ودخلن في الشعوب السامية والهندية ، في حال هي غير ما كان لهن في التمدن البابلي، والتمدن المصري .

وأما استعباد المرأة في اليونان ، فقد نشأت الأسرة اليونانية قبل المسيح بـ ١٠٠٠ سنة فحجزت حريتهن ، ولا تزال أساطيرهن في أشعارهم القصصية بشهادة أنتيفون والوكترا وأحاديث نروجان ويوريبيدس وجمهورية أفلاطون، فقد لزمن المطبخ والخدمة البيتية ، وكان الرجال قوامين عليهن .

وفي العصر اليوناني نشأت النظرية القاسية : إن مملكة المرأة هي بيتها ، فغلب فيهن الجهل والغباوة في عصر يوريبيدس ، إلاّ أن بنات الفن تمتعن بحرية لم تبح لغيرهن .

وقد حسبت الجهالة أم التقوى في عالم النساء ، وكن خاضعات للرجال مطلق الخضوع حتّى في أمر التصرف بأطفالهن ، فكان الرجل مثلاً يحمل طفلته إلى الشارع أو إلى قمة الجبل ويتركها هناك حيث تموت شر ميتة ، ولا تحرك امرأته ساكناً في الدفاع عن طفلتها .

وقد عززت الحروب والغزوات أمر استعبادهن وحملهن الفائزون إلى بيوتهم سراري وخادمات ، فمثلن في تلك البيوت أغرب الأدوار ، وأربابها لا يشعرون إذ حملن إلى صغارهم الخرافات والأساطير ، وكل أنواع الجنون التي نشأن عليها ، فأفسدن عقولهم وقلوبهم وأخّرن عصر الأحياء ، وحافظن على ممارسة عبادة الإلهات ، فأسمج الطقوس الدموية والجهنمية .

وظلت هذه العادات النجسة تمارس حتى بدء العصر المسيحي ، ولو انهن اشتركن في الثقافة لطال أمد العصر الذهبي اليوناني ، ولما تأخر عصر الإحياء في أوربه .

وقيل : إن حياة الشعوب الحضاربة تقاس غالباً بما للنساء من مكانة في وسط تلك الشعوب من تقدم وانحطاط .

واعترض بعضهم على ذلك ، فقالوا : ان هذا لا ينطبق على الشعوب البدائية التي ما زالت في مراحلها الأولى من الحضارة والعمران ، فقد حاول Steinmety [1] أن يثبت ويبرهن على أن سلطة الزوج على امرأته هي على العموم ، أكثر عند الشعوب التي تعد القرابة والنسب من ناحية الأب ، خلافاً للشعوب التي تعتبر القرابة والنسب من ناحية الأم فقط .

غير أن هذه الاستنتاجات والبراهين قد جاءت مبهمة وغير واضحة تمام الوضوح ، بما قدم من أمثلة وبراهين على حقوق الزوج .

فعند زنوج أفريقية الغربية ، فوضع النساء يختلف عن وضع غيرها من القبائل كقبيلة **Abos** ، فإن الإرث عندهم يتبع النسبة عن طريق الذكر ، خلافاً لغيرها من القبائل التي تجعل الإرث عن طريق النسبة للأنثى فقط .

ويمكن عزو خضوع الزوجات إلى أزواجهن في المرتبة الأولى إلى المستلزمات الطبيعية التي يتمتع بها الرجال من صفات جسمانية ونفسية تدعم سلطتهم ونفوذهم الشخصي كالقوة الجسدية والشجاعة وحمايتهم للنساء مما يجعلهم أسياداً لهن .

---

(١) **Edward Westermarck : L'Origine et le développement des idées morales.**

وقيل : إن مبعث تسلط الرجل على المرأة مواد كامنة في نفسه تدفعه وتجذبه نحو التسلط على المرأة ، ويظهر ذلك واضحاً إذا نظرنا وقارنّا بين الإنسان والحيوان ، فنجد الذكر من الحيوان يلعب نفس الدور الذي يلعبه الذكر من الإنسان ، فهو أكثر نشاطاً وحيوية ، وإن الأنثى من الحيوان واقعة تحت تأثير الذكر وسلطانه .

ويظهر أن في الجنس النسائي غريزة تقدير للقوة والشجاعة والفروسية ، وهذه الظاهرة موجودة عند كثير من النساء ، ولا سيما لدى نساء الأمم البدائية كإناث الحيوانات الفقرية اللاتي يفضلن الذكر الأكثر حذاقة وشجاعة ونشاطاً .

ويمكن أن نعتبر العاطفة واحترام الأولاد لأمهاتهم ، تعطي سلطة ونفوذاً لهن ، لا سيما في بلاد الشرق ، فكان الأولاد غالباً يخافون آباءهم ويكنون الحب لأمهاتهم ، ولما يصبحون كباراً يكونون سنداً للدفاع ومقاومة أزواجهن القساة .

كما يمكن القول : ان وضع المرأة الاقتصادي وما تمارسه من أعمال معيشية ، له تأثير في نفوذها وعدمه .

وقد لوحظ أن حالة المرأة الاقتصادية كانت لدى هنود أميركة الشمالية تختلف باختلاف أعمالهن الاقتصادية وما يؤديهن من أعمال وجهود تتناسب مع طبيعتهن الجسدية والنفسية ، وأما في المجالات المعيشية الأخرى التي تحتاج إلى جهود وسواعد الرجال ، فيقل اعتبار النساء ، ويعاملن كأنهن طفيليات على مجتمع القبيلة .

ولوحظ أن وضع النساء الإقتصادي اللاتي تعيش قبائلهن من صيد الأسماك وقلع بعض الجذور النباتية وغيرها من الأعمال التي لا تستطيع النساء القيام بها

خير قيام لما تتطلب من جهد قوي كالصيد في البراري والمناطق الصحراوية ، فيضعف مركز النساء الاجتماعي بسبب هذه العوامل الاقتصادية .

ولاحظ Grosse [1] أنه من علائم انحطاط النسوة الاجتماعي في القبائل التي تمارس رعي المواشي من ابل وغنم وبقر وغيرها ، فكان لا يسمح للمرأة أن تشارك الرجل في رعيها والاعتناء بشأنها ، بسبب عدم أهليتها وعدم استطاعتها الخوض في غمار الحروب والغزوات والدفاع عن القطعان من المواشي كالإبل وغيرها .

وعلى العكس من ذلك فالنساء في القبائل البدائية التي تمارس الزراعة وفلاحة الأرض ، تحتل مكانة رفيعة بسبب ما لهن من أعمال في الزراعة والفلاحة اللاتي يحققن معظمها من عمارة للأرض وحرثها وغير ذلك مما يستوجب الفلاحة .

على أن هذه القواعد أو المشاهدات التي ذكرنا بعضها ، لا يمكن اعتبارها قواعد عامة ، بالرغم من أن فيها كثيراً من الحقائق والوقائع المحسوسة ، بل يعتريها الشذوذ وعدم مطابقتها على جميع الشعوب والقبائل .

فلدى بعض الشعوب والقبائل التي تعيش على الصيد وتربية المواشي ، تكون حالة النساء فيها رفيعة وجيدة ، فقد لاحظ Vambéry [2] أن لدى بلاد Kara-Kirghiz ، فالنساء يعاملن احترام واعتبار ، أكثر مما عند الترك الذين يحيون حياة حضرية ويتعاطون الزراعة والفلاحة .

---

(۱) (۲)-Edward Westermarck : L'Origine et les développement des idées morales .

كما أن النساء يتمثلن للجمهور في نواح عديدة من حياة الجماهير . وهي نابعة من الأفكار والمعتقدات التي تعتبرهن جنساً لطيفاً وضعيف البنية ، يتطلب من الذكور أن يعاملوهن برفق وإحسان .

كما أنه لدى الشعوب الزراعية الأكثر تقدماً وحضارة كانوا ينظرون إلى النسوة انهن مخلوقات أحط وأدنى مرتبة من الرجال عقلياً وأدبياً وخُلقياً .

وهنالك عامل آخر كان يعمل في مركز النساء المتزوجات ، فقد تبين من البحث في الحضارات القديمة ، أن سلطة الأب على أولاده كانت مبسوطة عليهم ، وقد تطورت تلك السلطة . فأصبحت سلطة الزوج مبسوطة على الزوجة ، وذلك بسبب سلطة الأب على ابنته ، ومن ثم تحولت سلطته إلى الزوج ، الذي حل محل الأب في النفوذ والسلطان .

وعلى العكس من ذلك فقد تطورت تلك السلطة ، حيث نشأت عوامل أخرى في الحياة المعاصرة ، فقد أخذت على إضعاف السلطة الأبوية ، وأخذت تسير جنباً إلى جنب ، تتنافس مع سلطة الأم وتسعى لإضعاف سلطة الأب .

مما جعل الحياة لأن تكون أكثر تعقيداً وتداخلاً ، حيث فتحت للنساء مجالات أخرى من الأعمال الاقتصادية والمعيشية ، وهي لا تزال تمتد وتتسع فتهجر المرأة البيت والمطبخ إلى العمل في الحياة العامة في كثير من المجالات الصناعية والتجارية والعلمية والأدبية والفنية ، الخ . . . من مقومات حياتنا العصرية . مما خولها بأن تبتعد عن الحياة الماضية التي كانت تحياها ومسيطرة عليها ، ومن ثم أخذت المرأة المعاصرة تنافس الرجل في أكثر الأعمال التي كان يمارسها .

ولا سيما في رحاب التعلم والتعليم في جميع رحاب العلم والأدب والفن على اختلاف مراحله من ابتدائية وثانوية وجامعية لتشق طريقها إلى بلوغ

أقصى ما تستطيع وتبغيه من الثقافة والمعرفة ، وسنفصل إن شاء الله تلك المباحث في فصول لاحقة من هذا الكتاب .

وصف هنري فورد دور المرأة في المجتمع العصري ، والدور الذي لا يمكن أن تقوم به في المستقبل لترقية شؤونها والنهوض بنظام الأسرة ، فقال : نحن نعيش في عصر الآلةأي في عصر الرفاهية،ولقدكانت المرأة إلى زمن قريب أشبه بحيوان بيتي ترهقها الواجبات المنزلية ، وتحول بينها وبين التمتع بالملاهي البريئة وبمختلف أنواع الفنون والآداب . ولكن الآلة ستبدل هذا النظام شيئاً فشيئاً ، وعندي أن سلطان القوة الكهربائية سيمتد حتى الحقول والمزارع ، فتحل الكهرباء محل المرأة وتقوم الآلات الكهربائية بالأعمال الوضيعة التي كانت تقوم بها المرأة ، وحينئذ تنعكس الآية ويهجر الرجال والنساء المدن الكبيرة وينزحون إلى الريف المتحضر ، وتستطيع المرأة الحياة في جو للطبيعة محتفظة بأنوثتها وبالشعر الوجداني المنبعث من عواطفها والذي تطغى عليه حياة البيوت والمصانع في المدن الكبيرة .

ولقد أسدت الآلات الكهربائية إلى المرأة أجل الخدمات في المدن وعاونتها في أعمالها البيتية ومنحتها أوقات فراغ ثمينة ، ولكن المهم انتشار تلك الآلات في الريف حيث يمكن أن تعيش المرأة في الهواء الطلق وتنتج أبناء أصحاء .

ولقد نظمت بعض الصناعات في بعض المناطق الريفية وأنشأت عدداً من من المزارع الكبيرة ، وزودتها بأسباب للراحة ، وجلبت إليها القوة الكهربائية والآلات الحديثة ، فكانت النتيجة أن المرأة تمتعت بالماء الجاري واستخدمت آلات الغسل والكي والطهي واستعاضت عن الفحم والخشب بالكهربا وازدادت شعوراً بالصحة والنظافة والراحة وتوافر أوقات الفراغ .

وأوقات الفراغ قوة وهذه القوة يجب أن توجه لترقية الجانب الروحي في المرأة ، تلك حقيقة واضحة وقد فكرت فيها طويلاً ، وفي نيتي أن أنشىء

في تلك المزارع ملاعب للرياضة ومكاتب للمطالعة ومسارح للتمثيل وقاعات للمحاضرات ، وأن أخصص فيها أقساماً للعاملات من سيدات وأوانس ، وهكذا أرقى بمستوى المرأة الفكري والنفسي وأشعرها بالفائدة العظيمة التي يمكن أن تجنيها من حسن استخدام أوقات الفراغ .

وليس من العدل والحالة هذه أن نحرم من زيادة رفاهية الأسرة بالإقبال على عمل فيه ربح للمرأة ومعاونة مادية لزوجها ، ولكن إذا كان قد ترتب على استخدام الآلات تخفيض ساعات العمل ، وتخفيف شتى الجهود البيتية عن عاتق المرأة وإمتاعها بأوقات فراغ ثمينة ، فعندي أن معظم أوقات الفراغ هذه يجب أن ينفق في البيت وفي رعاية الأبناء وفي توثيق روابط العلاقات الزوجية ، . وينبغي أن يكون مركز المرأة الحقيقي هو البيت لا المصنع ، وان الصناعة لن تحتاج إلى المرأة في المستقبل القريب . إذ كلما تطورت الصناعة وتطلبت زيادة في الدقة وإنعام النظر ، استغنت عن المرأة ، وذلك لأن الذكاء الميكانيكي الدقيق ينقص المرأة . ولأن المرأة لا صبر لها على صنع الآلات الدقيقة ، ولا قدرة لأعصابها على الاهتمام بتحسين صناعة تلك الآلات وإبلاغها حد الكمال الممكن .

ولقد أنشأت أخيراً مدرسة للتجارة . فتبين لي أن الفتيات لا يصلحن للأعمال التجارية أيضاً ، انهن يعرفن كيف يطعن الأوامر . ولكن أذكاهن عقلاً لا تستطيع مجاراة الشاب في حسن التصرف وفي قوة الابتكار وفي الاعتماد على التفكير المستقل الشخصي .

ومن خصائص المرأة أن تطيع وتحمل الرجل مسؤولية العمل ، وسواء أكانت تشتغل في مصنع أم في مكتب فأقصى آمالها الاحتفاظ بعمل آلي لا يتطلب إنعام فكر أو الاضطلاع بمسؤولية .

على أن المرأة في بيتها أنشط أعصاباً وأحد ذهناً ، منها خارج البيت ، وذلك لأن الرجل يلهب عزيمتها ، وغريزة الأمومة تفتق حيلتها وشعور الأمن والدعة والاستقرار يمكنها من إظهار ما تنطوي عليه نفسها من عطف وحنان ونصيحة .

والعناية بالطعام أولاً وتجهيزه تجهيزاً صحياً ، ثم تربية الأبناء تربية استقلالية ورياضية على حب الصراحة والصدق وعدم إرهابهم أو إيقاع أية عقوبة بدنية عليهم، ثم الاعتقاد بأن الحب وحده لا يجلب السعادة ، بل الحب المقترن بالعمل المتواصل والتضحيات الدائمة هو سر الهناءة (1).

وقال الدكتور فخري : إن زعيمات النهضات النسائية في مختلف الأقطار كن مصابات بثلاثة أمراض عند تكوين نظرياتهن ومبادئهن في تعاليمهن وحركاتهن النسائية : المرض الأول هو تعصبهن الأعمى لجنس المرأة ، والمرض الثاني هو اندفاعهن عند تكوين نظرياتهن وحركاتهن النسائية وراء تأثير ما تعلمنه من العلوم وما لاحظنه من الاختبارات في حياتهن الشخصية العملية ، والمرض الثالث هو مرض الرغبة في الزعامة والغرور بتلك الزعامة إذا تم الحصول عليها صدفة .

وأما الرجال الذين تولوا زعامة النساء بعض الأحيان ليوصلوا المرأة إلى ما كانوا يسمونه حقوق المرأة أو تحرير المرأة فإنهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : هم طبقة من الرجال شعرت في نفسها بضعفها عن الظهور وسط الرجال ، فلجأت إلى طرق استغفال النساء بإبداء نظريات وآراء تبهر عقلية النساء ، فتندفع النساء وراءهم بعواطفهن والمرأة حاملة لواء العواطف

---

(1) مجلة الهلال ١٩٣٩م ، عدد يناير / ٣٤١ .

في هذا الوجود ، فينتفع هؤلاء الرجال بالظهور كقواد عظام للحركات النسائية في العالم .

القسم الثاني : هم طبقة من الرجال المخلصين في أفكارهم واعتقاداتهم ونظرياتهم ، لكنهم قوم تشبعت رؤوسهم بتعاليم مختلفة ، فصاروا يبدودن آراءهم ويجتهدون في إثبات نظرياتهم طبقاً لتأثير هذه التعاليم بإخلاص وحسن نية ، فهم قوم ينظرون للمرأة نظرة سطحية .

والقسم الثالث : هم طبقة من الرجال لا تعرف شيئاً ، وهذه هي طبقة الأفراد الانتفاعيين في هذا الوجود .

لا فائدة عملية من كل الضجة التي نسمعها في هذا العالم عن ما نسميه نهضة نسائية ، وإذا نظرنا لحالة العالم الآن نظرة دقيقة لرأينا أن العالم يسير من سيء إلى أسوأ بسبب ما يسميه العالم نهضة نسائية ، لأن هذه النهضة لم توصلنا إلى تحسين حالة المرأة ، بل أوصلتنا إلى دفع المرأة إلى أحط المواقف ولأن هذه النهضة لم توصلنا إلى تحسين الأخلاق ، بل قادتنا إلى شر أنواع التهتك والفجور والبغاء . . . ولأن هذه النهضة لم توصلنا إلى تخفيف ويلات المرأة ، بل وصلتنا إلى تكليف المرأة بمشاركة الرجال في نشاط الحياة الصناعية بدرجة تعجز معها المرأة بطبيعتها عن القيام بأعباء مشقاتها وجهادها الجسمي . . . ولأن هذه النهضة لم توصلنا إلى تحسين حالة الطفل ، بل أوصلتنا إلى حالة يزداد معها شقاء الطفل وبؤسه بدليل ازدياد عدد الأولاد الذين يلجأون إلى الاشتغال في الأعمال والصناعات لإكتساب معاشهم في البلاد المتمدنة ، وبدليل ازدياد عدد أبناء السبيل والأولاد المنتشرين في الشوارع والأزقة والمواخير في البلاد غير الصناعية . . . ولأن هذه النهضة لم توصلنا إلى تحسين حالة الأرامل ، بل أوصلتنا إلى دفع الأرامل بأطفالهن إلى أسواق البغاء لاكتساب ما يقتّن به وما يغذي أطفالهن ليحفظ لهن ولأطفالهن أنفاس الحياة .

ولأن هذه النهضة لم توصلنا إلى تحسين حالة الخادمات ، بل أوصلتنا إلى أن نقذف بالفتيات والشابات في قصور ومنازل الأغنياء ليملأ هؤلاء الوحوش بطون هذه الشابات بثمار ملذاتهم ، ثم يقذفون بهن وقد امتلأت أحشاؤهن بأطفال آباؤهم أغنياء وأمهاتهم فقيرات ،حكم الزمن بأن يصيروا لقطاء ، يجدهم رجال البوليس (الشرطة) لقيطاً في شارع ... كذا أو يتضح بعد الكشف الطبي أن الموت جنائي . . . ولأن هذه النهضة لم توصلنا لأن تخفف وطأة فتك الأمراض التناسلية بمجموع الأمم لانتشار البغاء ، بل أوصلتنا إلى تضاعف انتشار البغاء العلني والسري بدرجة مريعة مزعجة لكل إنسان ولكل مصلحة صحة في أي قطر من الأقطار ولكل محب لجنس البشر عموماً ، ولأن هذه النهضة لم توصلنا إلى وإلى وإلى ... مما كنا نتطلبه منها ، بل أوصلتنا إلى بضعة قشور من مطالبنا العظيمة التي كنا نحلم بها من وراء نهضة كنا ولا نزال نسميها نهضتنا النسائية .

نعم لقد وصلنا إلى إعطاء النساء حق الانتخاب في بعض البرلمانات ليصرن أعضاء لهن الصوت المسموع وسط نواب الأمة .

لقد وصلنا إلى إعطاء النساء حق أن ينتخبن نواب الأمة في بعض البلاد الأخرى .

لقد وصلنا إلى اكتساب حق انتخاب النساء في المجالس البلدية في بعض البلاد .

لقد وصلنا إلى اكتساب حق جلوس النساء كقضاة محلفين .

لقد وصلنا إلى اكتساب حق دخول الطالبات مع الطلبة في الجامعات ليصرن طبيبات ومحاميات وعالمات في الفلسفة والتاريخ والاقتصاديات .

لقد وصلنا إلى اكتساب حق الدفاع عن الصانعات والعاملات في نقابات كأفراد يشتغلن عاملات ، لهن حقوق العمال مع وجود الفرق الطبيعي بين أجسامهن وأجسام العمال ومع ما يستدعيه ذلك من فرق ظاهر بين أجور العمال والعاملات .

لقد وصلنا إلى إنشاء مجلات للنساء تدرس شؤونهن بعناية وإخلاص .

لقد وصلنا إلى رسم صور النساء الزعيمات في الجرائد والمجلات وفي بعض دور السينما توغراف .

لقد وصلنا في بعض البلاد إلى تأسيس الجمعيات النسائية المختلفة للاجتماع ولاتخاذ القرارات النسائية ولنشر تقارير المؤتمرات والقيام بالمظاهرات

لقد وصلنا في بعض البلاد إلى تأسيس ملجأ أو مشغل أو مدرسة نسائية لخدمة الفتيات الفقيرات .

أليست هذه هي أهم خطوات النجاح العملي الذي وصلنا إليه بما نسميه النهضة النسائية ، فهل هذا نجاح عملي حقيقي للمرأة ؟ كلا ، لأن حالة المرأة تسوء يوماً بعد يوم وتسوء حالة المرأة تسوء حالة العالم بأكمله .

وأعظم الخطط العملية التي وضعتها زعماء وزعيمات الحركة النسائية هي السعي في الحصول على الجلوس في المجالس النيابية جنباً لجنب بجوار الرجل حتى تصل المرأة للتأثير في التشريع في الممالك المختلفة ، فتصل بذلك إلى وضع القوانين التي تراها لازمة لإصلاح حال المرأة .

نعم تراهم يعلنون براجمهم ومشاريعهم بطرق مختلفة ، ولكن هذا الخلاف غير حيوي والشيء الحيوي الوحيد هو الوصول لمشاركة الرجل في الحكم ،

وترى النساء يندفعن بما هو فطري في طبيعتهن وحب التقليد إلى تقليد كل شيء يقع عليهن حسهن .

فإذا أرادت المرأة أن تشارك الرجل في التشريع . فيجب عليها أيضاً أن تتحمل مسؤولية التنفيذ، وعليها أن تشارك الرجل في التنفيذ ، وهذا هو العدل ، لأن مشاركة المرأة للرجل في السلطة التشريعية بدون مشاركته في السلطة التنفيذية لا فائدة فيها ، فلتشارك الرجل في السلطتين التشريعية والتنفيذية حتى تأمن شر استبداده ، والسلطة التنفيذية هي هيئة الحكومة بجيوشها وأساطيلها وقنابلها ومدافعها .

وإذا المرأة لم تتحمل مشاق مسؤولية السلطة التنفيذية ، فلن تفلح في مشاركة الرجل في هذه السلطة ، وما دامت لا تصلح لمشاركته في السلطة التنفيذية فلن تصلح لمشاركته في السلطة التشريعية مهما سعت لذلك .

فلتنظر المرأة إلى نفسها ، فتجد أنها عنوان الرقة واللطف والدعة والحنان وحامية الحب التناسلي وغيرها ، تلك هي أسلحتها الطبيعية ، التي تريد أن تجرد نفسها منها وتتسلح بسلاح القوة بدلاً عن استخدام سهام عيونها وسلطان جمالها وتأثير ابتسامتها ، وتلجأ لحمل سلاح يليق بها ولم توجدها الطبيعة له .

تريد المرأة أن تغتصب من الرجل أسلحته الطبيعية ، وهي القوة المادية والقوة العقلية ، وتهمل عنصر المرأة الهادئة الطيبة ، عنصر الأم الطاهرة النقية وأيام العائلة الهنيئة العيشة الراضية المرضية،عنصر طاعة الأبناء والبنات للآباء والأمهات .

لقد حكم علينا الزمن بأن نرى المرأة شريكة الرجل في كل شيء ، في الحكم ، في الأعمال ، في المتاجر ، في الصناعة ، وفي الزراعة ، وبذلك أصبحت الفتاة في غنى عن منزل أبيها ، وبذلك أصبحت الفتاة في غنى عن

شاب يحبها لأنها تجد عشرات الشبان حولها وتحب يومياً عشرات الشبان الذين يشاركونها في العمل الذي تعمله ، وبذلك أصبحت الأم في غنى عن العناية بأولادها وبناتها فأهملت منزلها وصارت تسلي نفسها بالمجتمعات والجمعيات والانتخابات والبرلمانات .

وإنك لترى الرجل قد تأثر فنفر من المرأة وقاده لتمزيق عقد الزواج ، وأما الرجال غير المتزوجين فصاروا يسمعون بقضايا الطلاق المتوالية وحوادث هروب النساء مع عشاقهم ، فنفرت نفوسهم من رابطة الزواج فتباعدوا عن الزواج .

وتضاعف عدد النساء المطلقات ، وكثر عدد الفتيات العاملات ، وكثر عدد الطالبات في الجامعات ، وتكون من كل هؤلاء جيش كبير من النساء اللواتي لا يردعهن رادع عن الانضمام لجيش البغاء السري ، ولو أن كثيرات منهن تأنف الانضمام لجيش البغاء العلني والرسمي .

فصار الشبان والرجال غير المتزوجين يجدون طريقاً سهلاً للتمتع بشهواتهم التناسلية وسط أفراد هذا الجيش النسائي الحر الحديث ، وصارت عقلية الشبان والرجال غير المتزوجين تشك كثيراً في أخلاق المرأة ، وكلما صاروا يفهمون أن المرأة الحديثة تلجأ للحب لتصل لفساد الأخلاق ، وكلما زاد اعتقاد هؤلاء الشبان والرجال في فساد أخلاق المرأة بهذا الشكل كلما ابتعدوا عن الزواج وتسببت في نشأة أزمة الزواج العصرية .

وأصبحت المرأة مستعبدة لسلطان القوات الاقتصادية، فبدلاً من أن تلجأ إلى الطرق السلمية الودية لتتحرر من استبداد الرجل لتقنعه أو لتمكنه فقط من أن يستخدم عقله فيقتنع بأن مصلحته ومصلحتها تقضيان عليه بأن يمنحها الحرية التامة داخل دائرة حريتها الطبيعية ، تراها لجأت لطرق العنف والقوة ،

وهي أضعف بطبيعتها من أن تصلح لاستخدام العنف والقوة لأن جسم المرأة أضعف من جسم الرجل وعقلها أضعف من عقله ، وهي حاملة لواء العواطف والتقليد .

وبذلك استهدفت المرأة لسهام هذا المعترك وتعرضها لمشاق الجهاد في الحياة ، فبعد أن خرجت من تحت جناح عطف الرجل عليها وقعت بين الوحش الاقتصادي الرابض في الأسواق والمنازل والمدن ، فظنت أن هذا الوحش رقيق الطباع رقيق الفؤاد رحيم القلب ، غير أنها خاب ظنها ووقعت في قنصه.

فما أتعس هذه الحرية التي تريدها المرأة الحديثة! لقد رفضت مساعدة الرجل ومعونته فاضطرت لتعمل بنفسها لتعيش وبذلك قد تسببت المرأة في كل مصائب الاجتماع وأزماته المتوالية على رؤوس الشعوب الآن .

بذلك قد تسببت المرأة في إيجاد أزمة البطالة التي تعانيها البلدان الصناعية لأن العمل لا يكفي العمال الرجال والعاملات النساء . بذلك قد تسببت المرأة في إيجاد أزمة المساكن ، الذي كان كافياً للرجل وعائلته أصبح لا يكفي إلاّ رجلاً غير متزوج أو امرأة غير متزوجة .

بذلك قد تسببت المرأة في اختلال التوازن الاقتصادي الدولي ، لأن التزاحم الصناعي يولد المطامع الاقتصادية، والمطامع الاقتصادية تولد الحرب ، والحروب تولد اختلال التوازن الاقتصادي الدولي ، والمرأة كانت أول فريسة افترسها اختلال التوازن الاقتصادي . فطرقت باب البغاء ، والبغاء مرض اجتماعي له كل صفات الأمراض ومميزاتها ، وهو من أشد الأمراض المعدية ، ولم يقف فتك البغاء عند حد الطبقات الفقيرة ، بل تعداها للطبقات الوسطى والعليا .

والبغاء بأنواعه هو المعمل الوحيد الذي يصنع للمجتمع الابن غير الشرعي .

والبغاء هو أهم عامل يذل المرأة ويحقرها ويسم جسمها ويشقيها ، والبغاء هو أول واسطة وأهمها في نشر الأمراض التناسلية .

والخلاصة فقد أوجدت النهضة النسائية أزمة الزواج وأزمة البطالة للعمال وأزمة المساكن ، وتسببت في اختلال التوازن الاقتصادي الدولي وانتشار البغاء بأنواعه ، وفي ازدياد الأبناء الغير الشرعيين وفي إذلال المرأة وتحقيرها وإشقائها وفي انتشار الأمراض التناسلية .

ففلسفة التناسليات الآن تقف الآن أمام أزمتين : الأولى هي تحرير المرأة وحالتها التي كانت عليها قبل أن تشرع في نهضتها ، والثانية هي إصلاح ما أفسدته المرأة بالخطط التي وضعتها المرأة لنهضتها التي قادت إلى حالتها السيئة الحاضرة .

وفلسفة التناسليات لا تستخدم في حل أي مسألة إلاّ الطرق الطبيعية ، ولذلك يجب أن نعرف طبيعة المرأة وقد تكلمنا عنها .

ويختلف نظر كل إنسان إلى فهم معنى الحب التناسلي فرجل يرى أن الحب التناسلي هو التمتع بجسم أي امرأة يروق جمالها في عينيه ، ورجل يراه بالتمتع بحياة زوجية راقية هادئة في ظلال العائلة ، ورجل يراه موجوداً في منزل عشيقته التي تجهل وجود زوجته ، ورجل يراه في حياة مشتركة بينه وبين زوجته الشرعية من ناحية ، ورجل يراه في العذاب بنيران غرام جديد من حين لحين ، ورجل يراه في التنقل في سويعات ملاذ مختلفة بين أحضان العاهرات فقط .

وأما الرجال المصابون بالميل للملاذ التناسلية الشاذة غير الطبيعية ، فينظرون للحب التناسلي نظرة أخرى ، فرجل منهم يرى أن الحب التناسلي في التمتع

بجسم غلام يروق جماله في عينيه ، ورجل يراه في التمتع بالإناث والذكور معاً وبطرق الملاذ الشاذة .

وقال لابرويار : لا يشق على المرأة التفوه بما لا تشعر به ، ولكن يسهل على الرجل النطق بما لا يُفكِّر به (١) .

وقال هوايتلي : المرأة مثل العشب الناعم ينحني أمام النسيم ولكنه لا ينكسر بالعاصفة (٢) .

وقال دي شرفيل : قلب المرأة يشبه الثلج إذا دسته تحول إلى وحل (٣) .

وقال لابرويار : يستطيع الرجل أن يصون سر غيره أما المرأة فإنها تصون سرها وتفشي سر غيرها (٤) .

وقال فونتنال : المرأة الجميلة هي جهنم النفس ومطهر المال ونعيم العيون(٥).

وقال فولتير : المرأة تعلمنا الأدب والحشمة والكرامة (٦) .

وقال بيار وولف : لسان المرأة سيفها ، ولكنها لا تدعه يصدأ ، ولا خوف من المرأة على الرجل الذي يتكلم وإنما الخوف عليها من الرجل الذي يسكت (٧) .

وقال أمرسن : ما هو التمدن ؟ هو قوة النساء الصالحات في العالم (٨) .

وقال رينان : الرجل ينفر من المرأة التي تشبهه فإنه إنما يبحث عن عكس ما في نفسه (٩) .

(١ـــ٨) مجلة الاخلاق بنيويرك .

وقال هويز : لئن كانت المرأة هي التي أضاعت جنة عدن فهي وحدها تستطيع إعادتها إلينا [1] .

وقال كاردان : متى تعذر على المرأة الانتقام فهي تبكي [2] .

ومن أقوال ساره برنار : يحكم الرجال على النساء من أشكال أيديهن ، وتحكم النساء على الرجال من أشكال أرجلهم [3] .

وقال بلزاك : المحبة والشعور والتضحية والتألم هي دائماً دستور حياة المرأة [4] .

وقال لورمر : أفضل النساء في العالم يبتدئن بتجربة الرجل وامتحانه قبل أن يتزوجنه بأربع وعشرين ساعة [5] .

وقال ماكولي : أجمل منظر في العالم منظر آلام امرأة جميلة [6] .

وقال نابليون : لا حياة للهيئة الاجتماعية إذا لم يكن فيها نساء راقيات ، لأن المرأة روح الاجتماع [7] .

وقال شيلر : كلما وجد رجل وصل بعمله إلى غايات المجد وجدت بجانبه امرأة محبوبة [8] .

وقال لامرتين : إذا قرأت المرأة كتاباً فكأنما قرأه زوجها وأولادها [9].

وقال روسو : يكون الرجال كما تريد النساء ، فإذا أردت أن تجعل الرجال من ذوي الهمة والفضيلة فعلم النساء الهمة والفضيلة [10] .

(١ــ٩) مجلة الاخلاق بنيويرك .

وقال سيملس : للمرأة في تهذيب النوع الإنساني أكثر مما لأي أستاذ فيه ، وعندي أن منزلة الرجل في النوع منزلة المخ من اليدين ، ومنزلة المرأة منه منزلة القلب (١) .

وقال فنلون : إن الواجبات التي تطالب بها النساء هي أساس الحياة الإنسانية، فالمرأة تدير جميع شؤون العائلة وبهذا العمل يكون لها أعظم نصيب في إصلاح الأخلاق أو إفسادها (٢) .

وقال موريس لابلان : المرأة بيدها زمام العالم ، تصلحه متى شاءت وتفسده متى أرادت (٣) .

وقال شوبنهور : المرأة إذا بكت تصدعت لها الأفئدة ، وإذا ابتسمت سبت العقول فهي دائماً سبب تعكير صفو راحتنا (٤) .

وقال روسو : إن المرأة سبب الثورة وبهجة البشر (٥) .

ومن أقوال النساء في الرجال قالت مدام دي ستايل : الكبرياء لا يمكن أن تدفع الرجل إلى ارتكاب الخطأ في أن يضحي بنفسه عن غيره (٦) .

وقالت ج. ساند : ليس من رجل على ما يلوح لي يستطيع أن يحصل على فكرة دقيقة عن مظهره الخارجي إلاّ إذا صرف حياته كلها أمام مرآة أو كان مصوراً (٧) .

وقالت مدام أوستن : لا يقدر الرجل أبداً أن يفهم كيف يمكن لامرأة أن ترفض طلباً للزواج وأن الرجل يتوهم المرأة على استعداد دائم لقبول أي شخص يجيئها طالباً (٨) .

---

(١) و (٢) مجلة الاخلاق بنيويرك .
(٣ـ٥) مجلة المصور ١٩٢٧م ، عدد ١٤١ .
(٦ـ٨) مجلة الاخلاق بنيويرك .

وأما النساء فينظرن للحب التناسلي نظرة خاصة بهن. فشابة ترى أن الحب التناسلي هو الحصول على زوج بأي طريقة كانت وبأي ثمن كان ، وشابة تراه في التمتع بشاب يحبها وتحبه فيتزوجها وتعيش زوجة سعيدة بجواره ، وشابة ترى نفسها مضطرة لقبول شكل الزواج الذي يقرره أهلها ، وامرأة متزوجة تراه في التمتع بزوجها وأولادها ، وامرأة متزوجة تراه في التمتع بعاشق واحد أو بعاشقين أو بأكثر من ذلك وهي تستخدم مقامها الاجتماعي كزوجة لاقتناص العشاق ، وامرأة تراه في التمتع بمواقف الغرام الحاد من حين لحين ، وامرأة ترى ان الزمن حكم عليها بأن تكون عاهراً فتقنص الرجال لمنحهم ملاذهم مقابل ما تتقاضاه منهم من ثمن صغير أو كبير .

والخلاصة نجد أكثرية النساء والرجال تغير رأيها في حقيقة الحب التناسلي من حين لحين طبقاً لظروفها الشخصية التي تمر عليها في أدوار حياتها .

والطريقة الوحيدة الراقية التي اتبعها الإنسان لهذه اللحظة في اتخاذ هذا الشقاء شعاراً له في حياته التناسلية ، هي طريقة الزواج ، ولكن الزواج بأشكاله الحالية مملوء بالعيوب التي تتسبب في كثير من الحالات في تغيير وروح مبدأ المرأة لرجل واحد ، وأعظم تلك العيوب الزواج الإجباري وغيرها من العيوب ان أصلحناها قبل انتشار البغاء تدريجياً وسيقل انتشار الأمراض التناسلية تدريجياً (١) .

وجاء في العدد ٤٦٢١ من **L'Illustration** ما خلاصته : من زمن طويل قبل عصرنا الحاضر (١٩٣١ م) حيث فاز بعض الفتيات بالانتخابات النيابية ، وأصبح بعضهن فيلسوفات ومثقفات ، غير أن الذي نبغيه هنا ونتساءل

---

(١) الدكتور فخري : المراة وفلسفة التناسليات .

عنه في زمننا الحاضر ما مصير مستقبل هؤلاء النسوة العالمات المثقفات تجاه قضية الزواج الّتي تتطلب ثقافة جامعية رفيعة المستوى تهيء لنا أمهات المستقبل[1]

وقال André Lichtenbérger : لا جرم ان لم يتعلمن ويتبوأن المناصب الحكومية الرفيعة إلاّ بعد أن فاز أنصار المرأة والقضية النسائية في كثير مما كانوا يطالبون به ، مما دعى ولا سيما في مدة لا تتجاوز الستين عاماً إلى الهبوط السريع أفي المواليد ممايستّرعي النظر والاهتمام حيث يهدد الشعب وينذر بالخطر[2] .

وقال Paul Leroy – Beauchien : إن الحركة النسائية الحديثة ، ومطالبة أنصار المرأة بتحسين مركزها ونوال حقوقها ومشاركتها للرجل في أكثر نواحي الحياة البشرية ، وصحب ذلك كثير الدعايات مما كان لها أثر بيّن في مختلف الدول والشعوب ، مما جعل البيت والعناية بشؤونه ، وحمل أعباء وواجبات الأمومة أقل رغبة فيهما . وترجلت المرأة الحديثة وعملت في ميادين الأعمال على اختلاف أنواعها ، فكان ذلك خطراً عظيماً يهدد الحضارة الحديثة ، ولا سيما عامل العقم وعدم إنجاب الأولاد[3] .

وقال Hermann Weruer Siemens : إذا نظرنا إلى الإحصاءات الّتي أجريت حديثاً ، يدل على أن المجتمع (الألماني) قادم على الفناء البطيء ، حيث ظهر من تلك الإحصاءات أن في كل بيت ثلاثة أولاد ، وعندما يبلغون سن الزواج يحجمون تقريباً عن الزواج مطلقاً ، أو يتأخرون في زواجهم[4] .

وقال ماسترمان تشارلس فريدريك : ان هنالك أخطاء عظيمة ، فالحرية المطلقة ، وكل قيد أو شرط هي كقنبلة شديدة الانفجار ، ومن أشد الأخطاء

L'Illustration , 89 Année , No. 4621 . ... (٤ – ١)

إنشاء طبقة من النساء قد كن سبب ثورات وانقلابات كثيرة في التاريخ ، والمرأة المتعلمة تجد اليوم أبواب الحياة العملية موصدة في وجهها فتنشأ في داخلها روح الحقد على نظام الاجتماع وفي ذلك كما لا يخفى خطر عظيم .

إن حاجتنا العظمى في هذا الجيل إلى نساء متعلمات تعليماً صحيحاً حتى يصلحن لتعليم أفراد جنسهن وإعدادهن لشؤون الحياة المختلفة ، أي اننا نحتاج إلى معلمات قبل كل شيء ، ومتى توافر عندنا العدد اللازم لنا منهن أمكننا تحويل وجوههن شطر المهن الحرة .

ولذلك لست أخشى المستقبل ، بل أنا أنظر إليه نظرة ثقة واطمئنان ، ولست أرى في التغير الذي قد طرأ على حالة المرأة ما يدعو إلى القلق والاضطراب [1] .

وقال سامي الجريديني : اعتاد معظم الكتّاب من شرقيين وغربيين أن ينعتوا هذا العصر الذي عقب الحرب (١٩١٤ — ١٩١٨ م) بعصر المرأة .

فقد منحت المرأة بعد الحرب في معظم بلاد العالم كل ما كانت تصبو إليه من حرية سياسية ، فأصبحت ناخبة ومنتخبة مثلها مثل الرجل ومنحت قسطه من الحياة العامة إلاّ التجنيد فهي ما تزال بمعزل عن حمل السلاح .

على أن من ينعم النظر جيداً في هذه الظاهرة لا يلبث أن يعزو الأمر إلى ما قبل الحرب وإلى أسباب ليس للحرب فيها يد كبيرة ، فاستقلال المرأة ليس للحرب فيه سبب مباشر ، بل يمتد إلى ما في النظام الاجتماعي في أوربا وأميركا من دعائم قامت على الحاجة الاقتصادية .

---

(١) السياسة الاسبوعية ١٩٢٧م ، العدد ٧٩ .

فلا يخفى أن الحياة الصناعية التي قلبت النظم الاقتصادية في الغرب رأساً على عقب فقد مستوى المعيشة ، فبدأ الشعور بهذا الضغط الاقتصادي في الطبقة العاملة أولاً ، ثم أخذ يتسرب إلى ما عداها من الطبقات الاجتماعية .

هناك رب عائلة لم يعد عمله بكاف أن يقوم بأود نفسه وأولاده ، وأود امرأته فاضطرت المرأة إلى أن تبذل له يد المعونة فخرجت تعمل بيدها وبعقلها ، وكلما ازدادت الحاجة بازدياد المطامع في تحسين المعيشة ازداد معها تقدم المرأة في سلم العمل ، فإذا بها تكسب ما يكسبه الرجل أو أكثر منه أو أقل ، وإذا بها وقد رأت نفسها ذات مال يغنيها عن معونة الرجل ، امرأة مستقلة . هذا هو الأصل في استقلال المرأة وهو أمر طبيعي في كل الأحياء [1] .

وقال ويت كنورس : إن المرأة لا تستحق شيئاً من ذلك ، وإن مصلحة الاجتماع تقضي بأن يظل الرجل متحكماً بالمرأة ، وإلاّ فإنها تصبح خطراً على العالم .

ثم قال : إن الرجل والمرأة متساويان أو متشابهان جسداً وعقلاً ، انه هو من الهراء الذي لا تقوم له قائمة ، فهما مخلوقان يختلف أحدهما عن الآخر ذل الاختلاف ليس في الإجمال فقط بل في التفصيل أيضاً ، فالصفات الجنسية والجسدية والعقلية والنفسية تختلف كل الاختلاف والمرأة ليست عاملاً من عوامل الحضارة التي تستحق الاحترام

ومن الخطأ إنكار القول بأن المرأة أحط من الرجل إذ لو لم تكن كذلك ما استطاع الرجل أن يخضعها ويستعبدها قروناً .

---

(١) سامي الجريديني : مجلة الهلال ١٩٣٠م ، العدد ٣ .

وهنالك برهان آخر على تفوق الرجل وضعف المرأة وانحطاطها ، وهو ان المدنية الحاضرة كلها من عمل الرجل وليس للمرأة فيها فضل أو نصيب . فدماغ الرجل أكبر من دماغ المرأة وعقله أكبر من عقلها . وهذا العقل هو القوة التي عملت على إيجاد الحضارة الحاضرة . نعم ان بعض أفراد من النساء اشتهرن ببعض أعمالهن في التاريخ ، ولكن عددهن ضئيل جداً وهن لم يصلن إليه إلاّ بفضل الرجل .

إن النساء في أوربا أكثر عدداً من الرجال ، والرجل يقدم للمرأة صنوف الاحترام ، ومع ذلك فإنها لا تستطيع أن تتحكم بالرجل ولو ساعة واحدة .

إن الرجل يحترم المرأة إلى حد العبادة ، ليس أنها أهل لذلك ، بل إنه يرى فيها رمزاً إلى نموذج المرأة التي هي منتهى آماله والتي يرجو أن يلتقيها يوماً ما ليقاسمها أفراح الحياة وأتراحها ، وفي الواقع أنه باحترامه المرأة وحبه إياها إنما يحترم ويحب مخلوقاً على مثاله وشكله (١) .

وحدث في سنة ١٨٨٦ م : أن أصدرت المحاكم الفرنسوية على لاسييري المتهمة بتسميم الناس بالإعدام . ونطق القاضي بهذا الحكم الذي قابله الحاضرون بالامتعاض ، ولو أن جرائم المتهمة متعددة؛وكذلك عند ما صدر حكم المحاكم العسكرية بإعدام ماتاهاري رمياً بالرصاص ، لأنها كانت جاسوسة إبان الحرب . قوبل هذا الحكم بالاستياء أيضاً .

رحيال هذا العطف على المرأة مهما كان إجرامها رأى مارسيل كولو الكاتب الفرنسوي أن يستطلع رأي كبار النساء والرجال من المحامين وغيرهم حال وجوب إعدام المرأة المجرمة أو إعفائها من هذا القصاص الصارم ، فأدلى له كثيرون بآرائهم .

---

(٣) السياسة الاسبوعية ١٩٢٩م ، العدد ١٧٤ .

قالت مدام مارسل تيناير : لا يجب أن تكون هناك عواطف ، فالمرأة والرجل يحتم أن يتساويا في دفع ما عليهما من دين للهيئة الاجتماعية مقابل الجريمة التي يرتكبونها ، واني لست من اللواتي يذرفن الدمع عطفاً على المجرمين ولكني أهدره حناناً على ضحاياهم ، فلماذا استشعر الشفقة على المرأة المجرمة إذا ما ثبت إجرامها ، ولماذا لا يكون نصيبها الصعود إلى المشنقة أسوة بالرجل المجرم .

ألا ترى أنهم في انكلترة لا يستثنون المرأة من الإعدام ، وكذلك في روسيا السوفييتية ؟ وأنت ترى ان كشف المحكوم عليهم بالإعدام من الثوريين سنة ١٧٩٣ م كان حافلاً بنساء وفتيات .كلا اني لا أرى محلاً للعطف والحنان على مثل هذه المرأة،أما هذا العطف فهو لا بد أن يكون من خيال الروائيين ، على أنه من المعروف أن المحاكم الفرنسوية قد قضت سابقاً على كثيرات من النساء المجرمات بالإعدام مثل لايرنفيليه ولافوزاين وغيرهما .

إن الذين يذهبون مذهب الروائيين يرون أن لا جدوى من إعدام النساء ، أما أنا فأرى عكس ذلك وأكرر القول بأن عطفي يتجه إلى الضحايا [١] .

وقالت مدام هيلين كمبشي المحامية بمحكمة الاستئناف ، وهي من العاملات المجدات في حماية الأطفال :

لا يجب أن تعدم النساء كما أنه لا يجب أن يعدم الرجال وسيأتي يوم تحمر فيه الهيئات المتمدنة خجلاً ، لأنها قضت ببرود بالموت ، فأهرقت الدم إرهاباً من الدم ، وقد أنكر ذلك فيكتور هيغو ولامارتين .

---

(١) مجلة الاخاء ٣/٣١٢ ــ ٣١٦ .

إن حقوق الأفراد يجب أن تكون محترمة وأرى أن السجون كافية لاحترامها وليس السجن فردوساً أرضياً لينعم فيه الإنسان ، إن حكم الإعدام لا أثر له في إيطالية ، بـــل هناك عقوبة التأبيد ، فلا يرى المحكوم عليهم أحداً ولا يسمعون أحداً ويلقون عذاباً ينتهي بهم إلى الجنون .

وعندي أنه لا يجب البتة إعدام المرأة ، إن العدالة عمل من وضع الإنسان ، ولكن الخطأ القضائي موجود في كل زمان ، يذهبون إلى أن القتل أنفى للقتل ، أي أن إعدام القاتل مهما تعددت جرائمه يقلل من عدد الجرائم ، ولكن لم يتحقق ذلك ، والمقصود من القانون هو أن يدرك من يجرم أن لا مناص من عقابه ، ولكنه يكون على أمل من الإفلات من تعقب الشرطة أو يعلل النفس بعطف المحكمين أو بعفو رئيس الجمهورية ، وإني بالرغم مما أعلم عن طرق الإعدام المتعددة في القرون الوسطى أرى أن الجرائم الآن ازداد عددها عما كان في تلك القرون التي كان يسيل فيها الدم بالإعدام لأوهى الأسباب .

وان المسألة الاجتماعية هي أيضاً مسألة أدبية ، فيجب لعلاج هذه الحالة تقويم الأخلاق عن طريق التربية الأدبية [1] .

وقال لافو شاردبير : نعم بجميع ما للرجل من حق حتى حقه في المقصلة ، فلماذا لا تساوي المرأة الرجل في هذا القصاص في حين أنها برهنت لنا غير مرة على أنها تستطيع أن تساوي الرجل في الإجرام ، والأمر يجب أن يتماثل مع العمل ، ومن المبادىء الجمهورية كلمة المساواة ، فيجب والحال هذه أن تكون المساواة في المشنقة أيضاً .

وقد نفذ حكم الإعدام بالمقصلة في عهد الإرهاب في كثيرات من النساء والفتيات ، فواجب علينا ونحن جمهوريون ، أن نطبق مبادىء الجمهورية .

---

(١) مجلة الاخاء ٣/٣١٣ ــ ٣١٦ .

إذن فهل من رأيك إعدام النساء ؟ نعم بكل قوة وإني أحادثك بصفتي جمهورياً ومن أنصار المرأة ، ان العدالة الإنسانية يجب أن تجري على منوال العدالة الإلهية ، أفلا ترى أن حواء عوقبت كآدم وغلطتها واحدة ، لا باعتبارها شريكة له فحسب بل كان عقابها صارماً للغاية ، إذ عوقبت فوق ذلك بآلام الوضع المريعة [1] .

وقال ريمون هوبير المحامي في محاكم الجنايات ومن المعدودين في الدفاع عن النساء المجرمات :

إن الرأي القائل بأن المحكوم عليهم بالإعدام يجب أن ينفذ فيهم الحكم مملوء بالخطل وهو رأي لا تستثنى فيه المرأة من هذا الحكم .

على أنني أرى عدم وجوب إعدام النساء ، وذلك لأن الرجل أقوى منها ، ولا يجب تجاوز الحدود في هذه القوة ، وهذا السمو الذي نص عليه القانون المدني ، إذ يؤخذ منه أن المرأة ليست مساوية لنا في الحقوق ، فلماذا والحال هذه نخصها بهذه المساواة أمام قانون تحقيق الجنايات ، زد على ذلك ان إعدام المرأة يعد بعد من الأمور الفظيعة ، وإني أقول لك يا سيدي انه يجب البتة الحكم على امرأة بالإعدام [1] .

ومن أقوال غوستاف لانتييه : المرأة لا تتبرم بالزواج ، ولكن الرجل هو الذي يسأمه ويضجر منه .

وفسر أطوار المرأة وأرجعها إلى أنها وقد وعدها الرجل أن تكون متعته وعودها الإسراف في الإعجاب بها فأصبحت ولا هم لها إلا أن تحقق نظرته إليها وتفوز من الحياة بكل ما هو جدير بحسنها وجمالها .

---

(١) مجلة الاخاء ٣/٣١٣ ــ ٣١٦ .
(٢) مجلة الاخاء ٣/٣١٦ .

فهي تنشد الزواج لتكفل لنفسها الأمن والاستقرار في ظل نظام اجتماعي يخدمها ، وهي تنشد الحب لتكفل نعيم نفسها وهناءة قلبها ، وهي تنشد المال لتملك أسباب التمتع المادي الذي يبهرها .

فالغرابة الملحوظة في أطوارها هي نتيجة عجزها عن تحقيق تلك الرغبات الثلاث مجتمعة ، فقد تكون زوجاً وقد تكون غير محبة ومحبوبة ، وقد تكون زوجاً محبة ومحبوبة ، ثم لا يكون زوجها ثرياً ، وهكذا تبقى في نفسها فرجة ينفذ منها الشقاء فيفسد أخلاقها .

والحق أن التعليم المقترن بالتربية الصالحة هو الذي يلزم المرأة حد الاعتدال ويشعرها بالحد الفاصل بين الحقوق الجائز التمتع بها وبين الخيالات والأحلام الباطلة التي لا تثير غير الآلام [1] .

ونقل عبد الله حسين انه روي عن النساء حوادث كثيرة كن فيها واجدات ارتياحاً في توقيع عقاب عقلي وبدني على محبيهن .

ويروي كثير من النساء بكل برود وهدوء ، قصصاً عن تغلبهن على حب الرجال .

والشعور المتضمن في غريزة إيلام الرجال واستثارة غضبهم إنما هو مظهر من مظاهر العداء الجنسي ، ولكنه أيضاً متفق كل الاتفاق مع الإحساس الجنسي النسوي ، ولما في المرأة من احتقار وبرود وقسوة نحو الرجل عرض معين

وهذه الدلائل الثلاثة هي تعبير عن طبيعة محبّة وعدم رفق النساء لمحبيهن عادة شائعة عندهن ، ويغلب أن يتذرعن بها إما لاستفزار هياج المحب وإما لاختبار إخلاص الرجل .

---

(١) غوستاف لانتييه : مجلة الهلال سنة ١٩٣٩م ، عدد يوليو .

ومهما كان الحب تاماً أي أنه وليد عاطفة حقيقية ، فإنه لا يخلو من شائبة الخوف في نفس المرأة والخوف كالألم في بعض الأحوال مثير للعاطفة ويوجد من النساء فئة لا تحب من الرجال الا مَنْ كان خلقه السيطرة والإمارة مع شيء من التوحش والقسوة .

وتنصب قسوة المرأة على رأس الرجل وأحياناً على الأطفال ولا سما الأطفال المولودين من الزوجة الأولى .

وهل مع ذلك تكون النساء لطيفات ؟ أجل انهن في العادة أكثر نعومة وعاطفة وعزاء من الرجال ، ولكن قد تضغط عليهن الحوادث فتصيرهن أقسى من الرجال ، وقد أظهرت النساء في الثورات والحروب أنهن أبعد من الرحمة وأنهن متصفات أشد مما في الرجال .

وقد يصير الرجل قاسياً وشديداً عند سورة الغضب . ولكن تكون قسوته عادة طبيعية وجنوناً قصيراً ، أي أن القسوة لم تكن وليدة تفكير وإمعان ، أما المرأة التي تريد الانتقام فإنها تعمل في هدوء مستخدمة مهارة في خططها .

وأول تهمة تلصقها النساء بالرجال هي أنهم محبون لذاتهم وتؤكد نساء هذا الزمان أنهن غير مستطيقات أن يتمتعن بحياتهن بسببما في الرجال من حب للذات ، فالرجل هو الذي يستأجر المزمار والعود والنساء يرقصن فقط .

وتوجه النساء إلى الرجال اتهاماً آخر وهو تهمة الخشونة والانفعال .

وتعزو النساء عيباً آخر يخصصن به الرجال وهو سرعة الغضب ، على أنه على العموم يكون انفجار النساء أطول ، ولو أنه قد يكون أخف وطأة .

ولقد أنتج شيوع التعنيف في النساء اعتياد لسان المرأة التهكم والاستهزاء واللسع .

والمضايقة ضرب من النشاط النسوي . ويميل أكثر النساء إلى التعنيف بدون مناسبة .

وليس الحنق كله رذيلة من الرذائل . انه مظهر من مظاهر غريزة اللوم والانتقام .

والمرأة أكثر إحساساً وتأثراً من الرجل . ويظهر هذا في أحوال كثيرة ، ولا شيء يعززه أكثر من موقف النساء تجاه الدين وذوقهن في الدراما ، ويقال : ان النساء أتقى من الرجال . وحقاً انهن أكثر منهم تعلقاً وأشد تأثراً منهم بعنصر الوجدان وبطقوس الأديان ومراسمها .

ولا تحفل النساء بمباحث الدين العميقة وبعلم اللاهوت ؛ إنهن يرغبن في التأثر في عبادتهن ، وهذا التأثر ، وأنك لتجد النساء اللائي خدعن في حادث الحب الذي وقعن فيه قد تحولن بطبيعة إلى الدين يتخذن منه سلوى ومخرجاً .

قال وليم توماس : تتفنن المرأة تفنناً دقيقاً متيناً في جذب الرجال ، ويكون فنها على أتم حال بحيث تكون هي العضو العامل في إتمام الخطوبة أكثر مما يكون للرجل فيها نصيب .

ويقول توماس : ومن سامسون وأوديس إلى ما بعدهما يعترف التاريخ والقصص بما عند المرأة من سهولة سحر الرجل بحيث يهيم بها جنوناً ، وما رُكّب في الرجل من طبيعة المحافظة على المرأة وحمايتها وميله إليها يمنعه في الحقيقة من المقاومة .

وتستفز المرأة القوية في إرادتها المحنقة الغاضبة الرجل لمهاجمتها عندئذ فتنشب المنازعات بينهما ويهيج شعورها وتحرك لسانها بالتأنيب والصراخ وتنذر الرجل بقارص الكلم وأوخز الإبر ، وإذا خرج من الغرفة تبعته رافعة

صوتها المتعالي وموغرة صدره إلى الجنون ؛ فإن لم يكن لدى الرجل قوة خارقة لضبط النفس هـاج غضبه بيده أو يقبض على يدها ويطالبها بأن لا تتخلق بخلق الأطفال ، عند ذاك تصرخ المرأة بأن الرجل وحش مجرم وقاطع طريق .

وقد انتهت معركة الجنسين في سبيل الحصول على قوام المعيشة إلى منظر مخيف إذ يشكو الرجال من أن النساء طردنهم من المهن والحرف ، ومن أن شغل النساء يسبب قلة الأجور وهم يقولون انه لن يمضي غير قليل من الزمن حتى يصل الرجال إلى أن لا يجدوا عملاً ، اللهم أشق الأعمال وأخشنها .

وقد بدت الغيرة في الرجال منذ مدة طويلة بسبب غارة النساء على ميادين الصناعة ، وان الرغبة الشائعة في نفوس النساء بوجوب استقلالهن اقتصادياً عن الرجال ، وانهن يقبلن أجوراً يحتقرها الرجل [١] .

وقال عبد الله حسين : لقد بدا لي على الدوام ان وضع المرأة في مكان مختلف كلية عن المكان الذي يشغله الرجل ، إنما هو ظاهرة اجتماعية مرغوب فيها من الناس .

النساء مثلنا في العواطف وفي النظرة الأخلاقية والأماني بأكثر مما يتصوره جمهور الرجال والنساء ، ولا نكران في أنه توجد مسائل خاصة بالذكور ومسائل أخرى شاغلة خاصة بالنساء ، ولكن التفريق كان واسعاً وكثير من الخواص النسوية المقول عنها ناشئة عن حالة غير طبيعية .

وطريق السلام في إلغاء المساواة التي نقترفها والأضرار التي نخلفها والقضاء على سوء التفاهم (بين الجنسين المرأة والرجل) وسوف لا توجد الطبيعة

---

(١) عبد الله حسين : المراة الحديثة وكيف نسوسها .

البشرية حرة وفي حالة في مساواة، والرجل والمرأة يعكر كل منهما السلام المنزلي .

لو كانت المرأة بعد خضوعها الطويل قد حررت فجأة ورفعت إلى سلطة تشبه سلطة الرجال لكان يجب أن ننتظر كارثة للمجتمع من وراء ذلك . ولكن تغيير المرأة ليس فجائياً ، على أن سيكون التغيير كما كان بعد مراس طويل ، ومجهود عنيف وألم يشعر به الجبان .

فهل في رحمة الأقدار أن تترك المرأة الجوهرية مع شيء من آثار تلك المواهب وتلك المحاسن الفاتنة الّتي خلقت لنا متاعاً أن لا يشكل القضاء على المرأة تشكيلاً يجعلنا معها متعلمين ، نحب أكثر مما تعلمنا ومقللين في التعذيب كل الآخر [1] .

وقال هويارتي : إن النساء مجردات من الكفاءات العالية على أن لكل قاعدة شواذ ، ولكن النادر لا حكم له ، فلا جرم إذا قلنا ان النساء بوجه الإجمال ما زلن ولن يزلن سوقيات الأذواق (نسبة إلى السوقة وهم العامة) سخيفات الآراء ، ولذا لا يزال منهن محرضات لأزواجهن على كل خطة دنيئة . وغاية سافلة وكونهن سوقيات وسخيفات مع ما لهن من السلطة والنفوذ في المجتمع هو سبب انحطاط المجتمع في هذا العصر الدنيء وفساده ، وما أصدق ما قاله شامفورت حيث قال : إنما وظيفتهن العبث بحماقتنا وسفاهتنا ، وليس بعقولنا وأذهاننا ، فلا جدال في أنهن الجنس المؤخر والذكور هم الجنس المقدم فأقصى حقهن علينا هو أن نرمقهن بعين الصفح والتجاوز عن زلاتهن فإما إجلالهن واحترامهن ، فهذا بله منا ، وسخف وسفاهة لا ثمرة منه إلا أن يحقرننا في نظرهن ، والرجل مقدم على المرأة ، وهو أعظم شأناً

---

(١) عبد الله حسين : المراة الحديثة وكيف نسوسها .

منها وأرجح وزناً ، وقد أحسن الشرقيون القدماء في تفضيلهن الرجل على المرأة ، لله درهم انهم أنفذ بصيرة وأصح رأياً ، وقبحنا الله أو نقتدي بقدماء الفرنسيس في تقديسنا المرأة اتباعاً لمذهب الفروسية أسوأ العصور الوسطى وأسود وصماتها ، وهل كان لهذا المذهب الفاسد مذهب تقديس المرأة من فائدة سوى أنه للآن علينا ذلك المخلوق الصعبة خيلاء أو غطرسة وطغياناً وعتواً، حتى صرن يشبهن آلهة الهنود القردة المقدسة التي لشعورها بمنزلتها السامية عند عبّادها قد أصبحت تظن أنها قادرة أن تعمل ما تشاء كما تشاء .

إن مركز المرأة أعني السيدة في أوربة كاذب ، لأنها لا تصلح ، وهذا رأي القدماء وما أصحه لما أصبحنا نخصها به من آيات التشريف والتقديس ، حتى عادت تشمخ على الرجل أنفاً وتقعد فوقه وتتقدمه إلى صدور الحفلات والمجالس وتنافسه في حقوقه وامتيازاته ، فحالتنا هذه قد أصبحت موضع استهزاء الشرق وسخريته، وأصبحنا نحن في نظر سكان آسيا أعجوبة وأضحوكة ولو بعث الله يونان ورومة القديمتين لنظرتا إلينا كما ينظر الشرقيون الآن .

وخلاصة القول : إنه لا بد من إنزال المرأة السيدة عن منزلتها الباطلة المكذوبة إلى مكانها الحقيقي ، أجل إذا كان هناك مخلوق يجب محوه من الكون فهو السيدة الأوربية ، لأنها خارجة عن نظام الكون ، نحن لا نريد السيدة ، وإنما نريد ربة البيت الخبيرة بشؤونه العليمة بطرق تدبيره المؤدبة المتواضعة الخاضعة ، العارفة وظيفتها ومنزلتها وقدر نفسها غير الشامخة ولا المتغطرسة ولا المتكلفة ولا السخيفة التي أضحكت منا أهل العالم بالحمق والجهل والإدعاء الكاذب .

ويعجبني ما قاله اللورد بيرون وهو أن مركز المرأة في يونان القديمة معقول مستصوب ومركزها الحالي بقية من وحشية العصور الوسطى — عصور الإقطاعيات والفروسية ، وذلك أنه مركز كاذب مصطنع الواجب عليهن

الاهتمام لشؤون البيت . . . ولا ينبغي اختلاطهن بالرجال أو دخولهن في حومة المجتمع ويجب تعليمهن الدين ومنعهن من الشعر والسياسة وأن لا يصل إلى أيديهن من الكتب إلاّ ما كان خاصاً بالفقه والطبيخ . وقد أبصرتهن ليشتغلن في إصلاح الطرق في بلدة إيبيراس فرأيتهن يجدن هذا العمل"(١) .

وقيل: إن الأصل في نظام الاجتماع هو الدكتاتوريةوتخويل الرجل وحده حق الإشراف على مصلحة الأسرة لأن توزيع السلطة يؤدي إلى كثير من الفوضى والارتباك .

وليس معنى ذلك أن الطبيعة جعلت المرأة صفراً لا قيمة له ، بل عينت لها وظائف خاصة يتوقف نجاح العمران على قيامها بها أي أنها جعلتها معينة للرجل ومساعدة له في جميع أموره .

وليس ذلك فقط ، بل جعلت كلاً من الجنسين متمماً للآخر ، وفي الوقت عينه جعلت للرجل مقاماً ممتازاً لكي لا تكون السلطة موزعة بين الجنسين على السواء .

على أن الرجل لم يكتف بالامتياز الذي جعلته له الطبيعة ، بل عزم على الاستزادة منها والاستئثار بالسلطة كلها ، وأراد أن يستبد بالمرأة ، الاستبداد كله ؛ ومن ثمة نهضت المرأة بالنضال عن حقوقها وكان ذلك بدء جهادها .

ومرت بالمرأة أدوار ذاقت فيها الأمرين من الرجل ، أي يوم كانت توءد الطفلة والنخاسة «الرق» . كل ذلك والمرأة خاضعة لظلم الطبيعة وظلم الرجل معاً .

---

(١) محمد السباعي : المرأة الجديدة .

لا ننكر أن المرأة مرت بها أدوار في التاريخ كان لها عند بعض الأمم مقام ممتاز ، ولكن هذا المقام كان في الشؤون الاقتصادية والمدنية فقط ، وقلما تعداه إلى الشؤون السياسية أو العمرانية .

نعم ان المرأة وصلت إلى منصة الحكم في كثير من الأحيان ، ولكن العوامل التي أوصلتها إليها كانت عوامل خاصة لا عامة ، فكليوباترة وبلقيس وكاترين وفيكتوريا وغيرهن ممن تربعن على العروش إنما وصلن إلى ذلك المقام لعدم وجود وارث ذكر يجلس على العرش ، أي أن العوامل التي أوصلتهن إلى ذلك المقام كانت خاصة بحتة .

وما هي تلك الحقوق ، هي حقوق المساواة مع الرجل في كل شيء ، وقد سبق القول : ان النظام الذي أوجدته الطبيعة في الأصل هو نظام دكتاتوري يجعل السلطة للرجل ، إذن فيما تحاوله المرأة خطر على ذلك النظام وثورة على الطبيعة .

ولعل في هذا القول «حقوق المساواة» شيئاً من الخطأ أو الإبهام ، وفي الواقع ان المرأة لا يخطر ببالها أن تطلب المساواة المطلقة مع الرجل ، إذ لا وجود لتلك المساواة بالمعنى العلمي العمراني ، وإنما المرأة تطلب من الرجل أن يعترف بما لها من الحقوق وهي كثيرة متشعبة، وألا يتعسف في معاملتها كما كان يفعل في العصور الماضية ، بل يعتبرها متمماً له لا غنى له عن مساعدتها ولا غنى للاجتماع عن نفوذها .

وأما نهضة المرأة الحديثة فترجع إلى بدء هذا القرن ، إذ شرعت تطالب بحقوقها العمرانية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، فكانت مظلومة في طفولتها ، وفي عهد حداثتها وتلمذتها، وبعد خروجها من المدرسة ، وفي عهد زوجها ، ولم يكن لها بد من مواصلة الجهاد لأن الفرصة كانت سانحة ،

ولأن لكل إنسان اتسع وكبر فصار ينظر إلى المرأة نظرة إكبار واحترام ويعترف بما لها من النفوذ الحسن في نظام العمران .

واستمر الكفاح طويلاً ، والمرأة تفوز فوزاً بطيئاً ولكن محققاً ، ولم ينحصر فوزها في ميادين الاجتماع فقط ، بل تعداه إلى ميادين السياسة أيضاً ، فأصبحت في بلدان كثيرة مطلقة التصرف في شؤون نفسها ، ولا سيما فيما يتعلق بالزواج . وبعد أن كانت تعرض في سوق الزواج كالسلعة لا رأي لها ولا إرادة أصبحت مالكة أمر نفسها تبت في مصيرها ولا تأذن لأحد في التعرض لها .

وفازت في كثير من البلدان بالحقوق السياسية أيضاً ، فصار لها حق الانتخاب وحق شغل المناصب السياسية العالمية ، وحلت محل الرجال في كثير من الأعمال حتى أنك لا ترى اليوم ميداناً من الميادين الاقتصادية إلا للمرأة فيه نصيب لا يستهان به .

وقد أدى ذلك إلى بدء عصر يصح أن نطلق عليه عصر الترجل : فالمرأة تقلد الرجل في كل شيء .

والمرأة تنكر أن دماغها أصغر من دماغ الرجل وأن عقلها بالنتيجة أضعف من عقله ، بل لقد يمتد بها الغرور إلى الادعاء بأنها أقدر من الرجل في كل شيء ، ولا نعتقد أن الترجل هو في شيء من مصلحة المرأة أو مصلحة العمران ، فإن من نتائجه قبل كل شيء إهمال العناية بالنسل والاستخفاف بالروابط الزوجية وزعزعة أركان الاجتماع (١) .

ومن رأي أمين سامي (باشا) : لا أحب أن تتساوى المرأة والرجل في

---

(١) السياسة الاسبوعية ١٩٢٩م ، العدد ١٧٧ .

جميع الأشياء ، كما أنني لا أحب أن يغمطها الرجال حقها فيما يجب أن تكون معهم فيه على حد سواء ، فللمرأة وظيفة سامية في الحياة أحب أن أراها قائمة بها خير قيام ، وهي أن تكون مدرسة كاملة في الآداب والأخلاق والتربية المنزلية حتّى تخرج لنا جيلاً نافعاً يرتقي به المجموع ويتقدم في سبيل المدنية والحضارة . . . وأحب أن تتجه الأذهان إلى تعليم المرأة بحيث تصبح امرأة بالمعنى الذي تقتضيه الزوجية والأمومة [١] .

ومن رأي الدكتور عبد الرحمن شهبندر : أحب أن تبقى المرأة امرأة فلا تخسر شيئاً من المميزات التي يتمتع بها جنسها ، وأكره أن تكون مترجلة لاعتقادي أنها بترجلها الخشن تتعدى المنطقة التي خلقت لتعمل فيها [٢] .

وقال فلكس فارس : فالمرأة إذن موقوفة على حياة الاشتياق بحسب تعبير الكتّاب ، وعلى تأمين النسل الصحيح ، فكل استثمار لها في أية دائرة أخرى من دوائر الحياة المادية ، إنما هو خرق للناموس وجناية على العاطفة والإنسان .

إن لم تكن المرأة زوجة وأماً فهي مرتكبة جناية أو هي ضحية جناية وأشد شقاء من هذه السائبة وأوفر ضراً بالمجتمع الزوجة المسلوبة الخيار والأم المكرهة على التوليد .

إن في اشتياق المرأة وخضوعها بهذا الاشتياق نفسه لرجلها سر اعتلاء الأمم وانحطاطها ، وما جهل شعب في التاريخ أهمية الانتخاب الطبيعي ، فتسلط رجاله على نسائه بشهواتهم لا بشوقهن دون أن تصبح المرأة في ذلك الشعب آمة تورث مذلتها بنيها ، فيتشربون العبودية في فطرتهم قبل أن يبصروا النور .

---

(١) (٢) مجلة الهلال السنة ٣٩ ، الجزء ٥ .

إن أولى الخطوات التي تقود الشعوب إلى التدهور إنما هي تجاهل أهمية المرأة لا من حيث تربية الطفل فحسب بل أيضاً وبخاصة من حيث تكوين الجنين.

إن الرجل المحب لذاته الجاهل يعتقد أنه هو وحده مستودع للحياة ، وإن بقاء النوع يتوقف على ما يحمل من جرثومة حية ، فما المرأة في تقديره إلاّ الأرض يستنبتها ويتحول عنها مجدبة [١] .

وقال نقولا حداد : تنهمك المرأة بالجمال لكي تصد اندفاع الرجل في العمل المادي وتوقفه عند الحد اللازم للحياة الجسمانية فقط ، وينهمك الرجل بالعمل المادي لكي يصد اندفاع المرأة في العمل للجمال ، ويوقفه عند الحد اللازم للرقي الروحاني الذي لا يخشى من تهوره ، إذاً لا بد من التوازن في عمليهما لاستمرار النوع واستمرار الرقي جنباً إلى جنب ، وعملاهما متكافئان متلازمان متممان أحدهما للآخر .

ليس معنى هذا أن الرجل لا يشتغل في الفنون الجميلة ، ولا أن المرأة لا تعمل أعمالاً مادية المنفعة وعملها يرمي إلى خدمة الجمال أولاً ، ولو عن غير قصد منها .

وإذا تجاوزت المرأة هذا الحد من الاحتراف شذت عن الوظيفة التي عينتها لها عوامل الرقي ، وتمادي المرأة في العمل إلى جنب الرجل في كل حرفة ، إنذار بتقهقر الرقي لأنه يضعف غريزة الجمال في النوع الإنساني ويكبح جماح روحانيته ، وبالتالي يتدهور إلى الدرك الحيواني [٢] .

---

(١) مجلة الرسالة بالقاهرة ١٩٣٦م ، العدد ١٦٦ .
(٢) نقولا حداد : ذكرا وانثى خلقهم .

وقال برودون في كتابه إيجاد النظام في تعليل سبق الرجل للمرأة في ميدان الأعمال : إن نسبة مجموع قوى الرجل إلى مجموع قوى المرأة كنسبة ثلاثة إلى اثنين ، فيكون التحرير الذي يطلبه بعضهم باسمهن هو تسجيل الشقاء عليهن تسجيلاً شرعياً إن لم أقل تسجيل العبودية [١] .

وقال أغوست كونت في كتابه النظام السياسي : إنه لو نالت النساء هذه المساواة المادية التي يتطلبها لهن مَنْ يزعمون الدفاع عنهن بغير رضائهن فإن ضمانتهن الاجتماعية تفسد على قدر ما تفسد حالتهن الأدبية ، لأنهن في تلك ما تفسد حالتهن الأدبية ، لأنهن في تلك الحالة سيكن خاضعات في أغلب الصنائع لمزاحمة يومية قوية ، بحيث لا يمكنهن القيام بها ، كما أنه في الوقت نفسه تتكدر المنابع الأصلية للمحبة المتبادلة [٢] .

وقال فورييه : ما هي حالة المرأة اليوم ؟ انها لا تعيش إلاّ في الحرمان حتّى في عالم الصناعة الذي ألمّ الرجل بجميع أنحائه حتّى في التافه منها كالخياطة وصنع الريش ، أما المرأة فيراها الناس منكبة على أشق الأعمال في الخلاء [٣] .

وقال جول سيمون : صارت النساء الآن نساجات وطباعات الخ . . . وقد استخدمتهن الحكومة في معاملها ، وبهذا فقد اكتسبن بعض دريهمات، ولكنهن في مقابل ذلك قد قوضن دعائم أسرهن تقويضاً [٣] .

وجاء في دائرة معارف لاروس بعد ذكرها ان خراب مدينة رومة ، إنما جاء من انطلاق النساء مع الأهواء ، ثم قالت : وفي هيئتنا الاجتماعية الحاضرة التي تتمتع فيها النساء بحرية مفرطة ، نرى أن دناءة ذوقهن وميلهن

(١ــ٣) محمد فريد وجدي : المرأة المسلمة .

الشديد الذي يحملهن دائماً على الاشتغال بجمالهن وبكل ما يزيد حسنهن ، كل ذلك أكثر خطراً وهولا مما كانت عليه الحالة في رومة .

نعم لسنا أول من لاحظ هذا الأثر السيء الذي يحدثه حب النساء للزينة يوماً فيوماً على أخلاقنا ، فإن أشهر كتابنا لم يهملوا الاشتغال بهذا الموضوع الكبير ، وكثيراً من أقاصيصنا التي قوبلت بالاستحسان العام ، قد وصفت بطريقة مؤثرة الخراب الذي يجره على الأسر التزيين والتبرج ، فكيف النجاة من هذا الداء الذي يقرض مدنيتنا الحالية ، ويهددها بسقوط سريع جداً ، وإن شئت فقل بانحطاط لا دواء له (١) .

وقال برودون في كتابه ابتكار النظام ما يأتي : ان وجدان المرأة أضعف من وجداننا بقدر ضعف عقلها عن عقلنا ولأخلاقها طبيعية وأخرى غير طبيعية ، فالشيء الذي تحكم عليه بالقبح والحسن لا يكون هو عينه ما يحكم عليه الرجل . كذلك بحيث أن المرأة بالنسبة إلينا يمكن أن تعتبر غير مؤدبة ، لاحظها جيداً أو مفرطة في جنب العدالة . فإن عدم المساواة خاصية نفسها ، ولا ترى عندها الميل لتوازن الحقوق والواجبات ، وهو الميل الذي يؤلم الرجل ويشوقه ان لم يتحصل عليه إلى الدخول مع أمثاله في نزاع شديد ، فالشيء الذي تحبه أكثر من كل شيء وتعبده هو الامتيازات والخصوصيات أما العدالة التي تسوي بين صنوف البشر فهي بالنسبة للمرأة عبء ثقيل لا تحتمله (٢) .

وقال أوغوست كونت : كل أدوار الانتقالات الاجتماعية قد ولدت كما في زماننا هذا ضلالات خيالية على حالة النساء الاجتماعية . ولكن القانون الطبيعي الذي يخصص الجنس المحب (النساء) للحياة المنزلية لم يتغير أبداً

---

(١) و (٢) محمد فريد وجدي : المرأة المسلمة .

تغيراً خطراً، فإن هذا القانون صحيح ومحقق لدرجة أنه ساد من تلقاء نفسه ، حتى مع بقاء السفسطات المضادة له بدون دحض .

ثم قال : ومهما كان حرماننا اليوم من أسس اجتماعية حقيقية فالرجل يتكلم بالحق أكثر مما كنا في وقت الانتقال من الحالة الوثنية إلى الحالة التوحيدية فإن العقل الإنساني في مقابل ذلك والإحساسات القلبية صارت أكثر كمالاً وشعوراً ، فإن النساء في ذلك الزمان كن في هبوط لا يسمح لهن أن يدحضن كما يجب عليهن ولذا سكوتهن عن الضلالات المذهبية التي جاء بها الذين يزعمون الدفاع عنهن ، أولئك الذين كانوا يحاربون في الواقع ونفس الأمر العقل نفسه ، ولكن بالنسبة للنساء الحاليات فإن الحرية السعيدة عند غربياتهن تسمح لهن بإظهار كراهتهن النهائية التي تكفي عند عدم وجود الردود العلمية لمنع انتشار هذا الهذر العقلي الذي أوحته القلوب المفسودة ، فإن إحساس المرأة اليوم هو الذي يحتوي وحده على المصائب العملية التي يجب أن تكون هي التي ولدت هذه الأميال الفوضوية ، فإن البطالة تزيد هذا الخطر خطراً عند طبقاتنا العالية التي فيها يؤثر الفن تأثيراً سيئاً للغاية في حالة النساء الأخلاقية [1] .

وقال برودون في كتابه ابتكار النظام : وبما أن كل مجتمع مكون من اتحاد هذه الثلاث عناصر وهي العمل والعلم والعدالة . . . وبهذه الشروط لا يمكن أن توازن قوى المرأة قوى الرجل ، فخضوعها له أمر لا مناص منه . فهي أمام الطبيعة والعدالة لا توازي ثلثه ، فيكون التحرير الذي يطلبه بعضهم باسمهن هو تسجيل الشقاء عليهن تسجيلاً شرعياً إن لم أقل تسجيل العبودية . . .

ولما كانت موهبة المرأة معنوية محضة ، فقيمتها لا تقدر من هذه الجهة وتسبق الرجل فيها لا محالة ، ولكن على شرط أن يكون هو سائقها ، وهي

(١) محمد فريد وجدي : المراة المسلمة .

لأجل أن تحفظ لنفسها هذه الهبة التي لا تثمن والتي هي ليست خاصية ثابتة فيها بل هي صفة أو شكل أو حالة يلزمها أن تخضع لقانون السيطرة الزوجية . فإن المساواة تجعلها إياها مكروهة قبيحة تكون حالة لعقدة الزوجية ومميتة للحب ، ومهلكة للنوع البشري (١) .

ولما كتبت مدام هيركور إلى برودون تسأله رأيه في مسألة النساء أجابها بأنه لا يعتبر المساعي المبذولة من النساء في تحرير المرأة إلاّ شغفاً يدل على علة أصابت جنسهن ، وهي علة تبرهن على عدم استعدادهن لتقدير قدر أنفسهن وسياسة أمورهن بذاتهن ، ثم أخذ يبرهن لها على مستنداته العلمية ، فقال : إن الفرق الجنسي بين الرجل والمرأة يفصلها فصلا شبيهاً ولا أقول مساوياً كالفرق بين الأنواع والأجناس من الحيوانات وبهذا الفرق فلا يمكن للمرأة والرجل أن يكونا شريكين ولكن لأقول انهما لا يستطيعان أن يكونا غير ذلك . . . . ولكن كل هذا الكلام لا يشير إلى أنه ليس للمرأة دور تلعبه في الوجود ، وبالاختصار اني مستعد لأن أثبت بالمشاهدات والبراهين أن المرأة التي هي أقل من الرجل قوة أحط منه في العوالم الصناعية والفلسفية والأخلاقية وان حالة المرأة في الهيئة الاجتماعية إذا جرت على النسق الذي تريدينه كما هو حالة الرجل فيكون أمرها قد انتهى فإنها تصير مستعبدة مملوكة (٢) .

ولاحظت مدام دوافرينو على تقدم أولئك النسوة في الصنائع والآداب . فقالت : ولكن يظهر أنه كلما أمعنت المرأة في التوسع بالفنون والعلوم زاد الرجل في طلاقها وكان أكثر ذلك في الولايات المتحدة ، فإن الطلاق يمتد فيها إلى حد غريب غير موجود في هذه البلاد الإسلامية وسواها (٣) .

---

(١) محمد فريد وجدي : المراة المسلمة .

وقال غيوم فريرو : يعلم الرجل والنساء بالتجربة وفي كل بلد بأن العقبات التي تحول دون الزواج تزداد يوماً بعد يوم وأن هناك أسباباً لا عداد لها اقتصادية على الخصوص تقف في طريقه حتى أن كثيراً من الناس لما يئسوا من إمكان تذليلها صبروا على العزوبة بكل وسعهم .

ومن السهل علينا أن نقول إذن ان عدداً عديداً من أشخاص من كلا الجنسين يجب أن يحدثوا آثاراً هائلة على كيان الهيئة الاجتماعية كلها ، وذلك بمعيشتهم بلا زواج أعني في شروط حيوية صناعية .

ويلزم ان الآثار التي تنتج من النساء العازبات تكون أكبر من آثار الرجال العازبين ، فإن عزوبة الرجل تكسبه في الواقع . وفي نفس الأمر صفات نفسية خاصة به ، ولكنها لا تقلب كيان شخصيته تماماً ، لأنها لا تستلزم عنده العفة مطلقاً ، ويمكنها أن تجبره عـلى المعيشة بين بنات الهوى أو ترغمه على السفاد، وعلى هذا فالعزوبة لا تقتل فيه تلك الوظيفة الفسيولوجية دفعة واحدة .

وأما المرأة فبخلاف ذلك فإن الشروط الاجتماعية الحالية تستدعي عفتها في عزوبتها والعفاف يقتضي حذف وظيفة الأمومة ، وهي الوظيفة التي خلقت المرأة لأجلها جسماً وروحاً .

لا شك إذن ان هذه الحالة يجب أن تفسد شخصيتها فساداً ذريعاً ، ولا شك أيضاً ان عدداً كبيراً من هؤلاء النسوة يحدثن آثاراً هائلة في الهيئة الاجتماعية [1].

وقال ساموبل سمايلس : إن النظام الذي يقضي بتشغيل المرأة في الغابر مهما نشأ عنه من الثروة للبلاد ، فإن نتيجته كانت هادمة لبناء الحياة

---

(1) محمد فريد وجدي : المراة المسلمة .

المنزلية ، لأنه هاجم هيكل المنزل وقوض أركان الأسرة وفرق الروابط الاجتماعية ، فإنه بسلبه للزوجة من زوجها والأولاد من أقاربهم ، صار بنوع خاص لا نتيجة له إلاّ تسفيه أخلاق المرأة لأن وظيفة المرأة الحقيقية هي القيام بالواجبات المنزلية ، مثل ترتيب مسكنها وتربية أولادها والاقتصاد في وسائل معيشتها مع القيام بالاحتياجات البيتية ، ولكن المعامل تسلمها من كل هذه الواجبات بحيث المنازل منازل ، وأضحت الأولاد تشب على عدم التربية وتلقى في زوايا الإهمال وطفئت المحبة الزوجية وخرجت المرأة عن كونها الزوجة الظريفة والقرينة المحبة للرجل وصارت زميلته في العمل والمشاق وباتت معرضة للتأثيرات التي تمحو غالباً التواضع الفكري والأخلاقي الذي عليه مدار حفظ الفضيلة [1] .

وقال ساموبل سمايلس : إن أعظم ما كانت تمدح به المرأة الشريفة ربة العائلة عند الرومانيين القدماء ، هو أنها كانت ملازمة بيتها ، تغزل فيه ، وقد قيل في عصرنا ان غاية ما يلزم أن تعلمه المرأة من الكيمياء ، هو أن تعرف حفظ القدر في حالة الغليان ، ومن علم الجغرافية معرفة الغرف المختلفة في بيتها ، على أن بايرون الذي كانت أمياله نحت النساء غير سديدة ، اعترف بأنه يود أن لا يوجد في مكتبتها غير التوراة وكتاب الطباخة ، إلاّ أن هذا الرأي بالنسبة لأخلاق المرأة وتهذيبها يعتبر حرجاً ضيقاً للغاية وغير معقول هذا من جهة ، أما من جهة أخرى فإن الرأي المضاد له ، وهو الشائع الآن جداً ، يعتبر جنونياً ولا ينطبق على نظام الطبيعة ، فإنه يقضي بتهذيب المرأة لتكون بقدر الإمكان مساوية الرجل ، بلا فرق بينهما إلاّ في الجنس أي مساوية له في الحقوق والأصوات السياسية ومزاحمة له في جميع معارك الحياة الوحشية وحب الذات للتنافس في نيل مركز أو قوة أو نقود [2] .

---

(١) و (٢) محمد فريد وجدي : المراة المسلمة .

وقال لوسن : ولكن هذه المدارس يظهر أنها أنشئت لأجل الشابات اللاتي يردن الشغل بمعلوماتهن ، ولأجل أن يكنّ دكتورات وأستاذات ، ولذلك تجد التهذيب فيها ضعيفاً ، يعني التهذيب الخاص بالمرأة ، ولكن الدراسة قوية ، فتراهم يعلمونهن بالتدقيق علوم الكيمياء والطبيعة والرياضة ، ومع كل هذا تجد أن الشابة التي نالت قصب السبق في العلوم ، والتي تضلعت في جميع مواد البرامج جاهلة للدرجة القصوى بأبسط قواعد التدبير المنزلي [١] .

وقال عباس محمود العقاد : خلقت المرأة لتعطي وخلق الرجل ليأخذ منها كل ما تعطيه ، خلقت المرأة للطاعة وخلق الرجل للسيادة وخلقت المرأة للأمان ، وخلق الرجل ليحب نفسه في حبه إياها ، هذه هي حقيقة الحقائق ، قد أسرف الغرب في إنكارها وبين هذين النقيضين وسط هو خط السلامة وباب النجاة [٢] .

وقال رينان : أن الرجل ينفر من المرأة التي تشبهه ، فإنه إنما يبحث عن عكس ما في نفسه [٣] .

وجاء في مجلة السياسة الأسبوعية ما يأتي : ثم أن هنالك نتيجة أخرى لمنافسة المرأة للرجل ، وهي اشتداد الضغينة بين الجنسين وفقدان المرأة للرجل وميلها إلى الترجل .

وهناك سيئة أخرى من مساوىء ترجل المرأة ، ذلك أن الإحصاءات الطبية تدل على قلة النسل بين النساء المترجلات. ويعتقد الكثيرون ان استرسال النساء في الترجل سيفضي إلى انقطاع النسل بتاتاً ، ولعل تلك تكون نهاية العالم .

---

(١) محمد فريد وجدي : المرأة المسلمة .
(٢) عباس محمود العقاد : ساعات بين الكتب .
(٣) مجلة الاخلاق في نيويرك سنة ١٩٢٣م.

نعم إن جنوح المرأة إلى الرّجل هو من أعظم الأخطار الّتي تهدد النظام العمراني [1] .

ويقول الدكتور كارل بوجوب عودة النساء إلى البيت ، حيث أن المرأة والرجل غير متماثلين وغير متساويين ، فالمرأة أهم من الرجل في حفظ النوع ، ومقامها أعلى من مقامه في ترقية الحضارة ، فعليها أن تقنع بهذا العمل العظيم ، بدلاً من أن تسعى إلى تقليد الرجل ومنافسته ، وهذا أفضل للجنس .

ويقول الدكتور كارل : إن بين المرأة والرجل فروقاً أساسية ، فكل خلية من خلايا جسمها مطبوعة بطابع جنسها ، وعلى ذلك يجب أن تمارس في تعليم الفريقين وتهذيبهما وسائل وأساليب تتفق مع خصائصهما الطبيعية ، فبين الجنسين فروق لا معدى عنها ، ومن الواجب أن يعمل لهذه الفروق أهم حساب في بناء الحضارة الجديدة [2] .

وقالت أولغا هول براون : إن كل امرأة في استطاعتها أن تجعل من بيتها عالماً صغيراً قائماً بذاته وأن تقصر مصالحها ونشاطها على الدائرة الضيقة الّتي تحتوي بعلها وأولادها طاوية عن شؤون العالم الخارجي ، لا بل يمكن الذهاب إلى أبعد من ذلك فأقول : ان غريزتها تسوقها إلى ذلك .

ولم تكن الطبيعة هازلة عندما قررت في برنامجها أن تؤهل صفات الأنوثة في المرأة لأن تكون أماً وزوجة ، فمصير المرأة هو أن تؤدي وظيفتها كامرأة سواء أكان ذلك ملائماً لها أم لم يكن [3] .

---

(١) السياسة الاسبوعية بالقاهرة سنة ١٩٢٨م ، عدد ١١٢ .
(٢) مجلة المقتطف ١٩٣٦م ، عدد فبراير .
(٣) السياسة الاسبوعية ١٩٢٨م ، عدد ١٤٥ .

وقال فنلون : إن الواجبات التي تطالب بها النساء هي أساس الحياة الإنسانية، فالمرأة تدير جميع شؤون العائلة وبهذا العمل يكون لها أعظم نصيب في إصلاح الأخلاق أو فسادها ، ليست الأمة صورة تقوم بنفسها كما يتخيل ، وإنما هي مجموع العائلات وما من أحد يمكنه أن يهذب العائلة سوى المرأة (١) .

وقالت مشيلاكلي اسميث القصصية : أظن أن فتاة المستقبل أي بعد مئة سنة ستكون كفتاتنا اليوم تماماً كما أن المرأة أو الفتاة اليوم هي كمثل سالفتها منذ قرن من كل وجه ، وبالطبع ستكون هناك فروق ظاهرة في مسألة الزي واللباس والعادات والآداب ، فإن هذا أمر محتم منتظر ، ولكن هذا خلاف ظاهري ، وهو لا يهم كثيراً ولا حساب له من ناحية التطور الفعلي في القيمة والجوهر (٢) .

وبحث **Noël Loyot** في الحياة العائلية والاجتماعية ، ودور المرأة فيهما، فقال : للمرأة دور جذري وطبيعي وتقليدي يتمشى مع طبيعتها ومواهبها وما خلقت إليه في هذا المضمار ، مما يساعد الفتاة أن تسير جنباً إلى جنب مع الرجل وتنال نصيباً من أشياء كثيرة مما تتطلبه الحياة العصرية .

ومن أجل ما يجب معرفته وتحصل عليه الفتاة وتسير في تلك الحياة ، أن تتثقف ثقافة منوعة ونقية ، خالية من الشوائب مهما استطاعت إلى ذلك سبيلاً .

فيجب على المرأة على أن تلم وتعرف ما تتطلبه الصحة العامة للعائلة ، وأن تتقن ادارة المنزل وما يتطلبه من تضحيات وواجبات في سبيله فتبلغ بذلك لقب الأم والزوجة الصالحة .

---

(١) مجلة العروسة عدد ٤ يوليو ١٩٢٨م.
(٢) مجلة العروسة عدد ٢٢ يناير ١٩٣٠م.

وهناك سؤال أو تساؤل : هل يجب على المرأة العمل خارج دارها للكسب وطلب المعاش ؟ أو هل يجب عليها أن تتجه نحو تحصيل العلوم العالية ؟ فالجواب نعم بشرط أن تحافظ على واجباتها الملقاة على عاتقها ، وهي واجبات أساسية نحو العائلة والحياة الزوجية ، وفي مقدمة ذلك المحافظة على ملاحتها وظرفها وجاذبيتها .

لأن تعويد النفس على ممارسة البحث العميق والتحقيق في مسائله والتنقيب فيه ونقده ، وكل ذلك مباحث علمية صرفة وجافة مما يعرض المرأة لأن تخسر كثيراً أو قليلاً من القيم المعنوية كالعواطف القلبية والذوق وواجبات المنزل .

وأن المرأة التي تبلغ مركزاً عالياً من العلم الصرف ، فلا يعجبها بأن تبقى امرأة ناعمة وظريفة ، بدون أن يخالجها الكبرياء والعظمة ، مما يعود ذلك عليها بأنواع أخرى من النقائص كالفظاظة وارتكاب الأخطاء وعدم اللباقة . مع العلم أن الأسرة قد أسست على المحبة وتقارب الجنسين الرجل والمرأة والإلفة الزوجية (١) .

وقال Georges Clemençeau إن استعباد المرأة في القديم قد خسر معظم أشكاله وأنواعه . فقد كان الزوج والأب حتى الامس القريب ظالماً أو طاغية .

هذا وقد حققت المرأة أخيراً قسطاً وافراً من الحرية والحقوق الاجتماعية ، وستتحرر بالتتابع على مر الزمان كالطفل الذي ينجح ويحصل على قسط جيد من الحماية التي يتطلبها (٢) .

---

(١) Noêl Loyot : Ou bon sens à l'hygiène .

(٢) Georges Clemençeau : Au soir de la pensée .

وقال D'Alta : إن العلاقات الطبيعية والقانونية بين الرجل والمرأة تكون حسب طبائعهما المختلفة، لأن كل منهما قوة ذاتية دافعة من المغنطيسية والجاذبية ، فيمثل الرجل القوة الجاذبة النشطة والحازمة ، وتمثل المرأة قوة ذاتية غير نشطة إذا قسناها بما يتحلى به الرجل ، وصفوة القول ان هذه القوة تختلف على العموم ، مما يجعل الرجل أن يكون أقوى من المرأة طبيعياً ، وأن يفرض سلطته ورئاسته عليها . وتنتظم علاقتهما بالزواج بواسطة شرائع الحب والصداقة ، وتكون سلامة القلب والثقة المتبادلة بينهما أساس تلك العلاقة [1] .

وخلاصة ما قاله Paul Perrier : ان هنود أميركة الشمالية كشعب Puelbs وشعب Todas بالهند وشعب Dayaks ببورنيو وشعب Samor وشعب Hottentots والبرابرة لا يقدمون على شيء قبل أن يستشيروا نساءهم .

وكانت منزلة المرأة في معظم الشعوب القديمة أقل اعتباراً من منزلة الرجل ، وكانت تعتبر أنها خلقت لتأدية دورها العائلي والاقتصادي .

وكان للأب الإحياء والإماتة لأولاده فكان يضحي ببناته ، حيث كان وأد البنات وقتلهن مشاعاً في كثير من الشعوب ، في بلاد عديدة كالهند والصين وغيرهما من البلدان . وإذا عاشت البنت فتكون تحت سيطرة الأب الكاملة ، حسب هواه ومبتغاه .

ويظهر خضوع المرأة للرجل ظهوراً تاماً إذا نظرنا إلى عدد كبير من النسوة اللاتي كن في حالات اجتماعية بائسة كالخادمات والسراري والرقيقات، اللاتي يعشن من خير الرجل وفضله .

---

(١) Maurice D'Alta : La vie des hommes .

ومهما تكن الاختلافات التي تنتاب المرأة في العالم القديم ، حسب الأزمنة والأمكنة والبلدان التي تعيش فيها ، يمكن الاستنتاج من كل ذلك ان خضوع المرأة للرجل كان قاعدة عامة وأصلاً من أصول حياة المجتمع البشري الذي كانت تعيش فيه .

وأما الشعور بالحب والحنان والعطف نحو المرأة : فكانت أقل انتشاراً وممارسة في تلك الجماعات القديمة ، فكان على المرأة واجبات من أن تكون لها حقوق على المجتمع .

وهذا الشعور من الحب والعطف يظهر بتكلف ومشقة عند أولئك القدماء الذين لا يبتغون من المرأة إلاّ أن تكون طوع إرادتهم وتحت سلطانهم .

فالزوج في شعوبهم هو السيد المطلق على المرأة ، وجل ما يجب أن تكون متحلية بالأمانة الزوجية ، وإذا زنت فتقتل كما هو في شعوب الألبان والعرب.

كما كانت منزلة المرأة منحطة في الشعوب السامية ، ولم تكن حالة المرأة المعنوية في الصين ، أقل تعاسة من غيرها ، فكانت المرأة الصينية منذ ولادتها يعتبرونها تعاسة وشقاء للعائلة ، وكانت سلعة تباع بيع المتاع لتكون زوجة أو خادمة لعائلة الزوج .

ويمكن القول ان المرأة في اليونان ورومية ، فالقانون فيهما ينظر إلى المرأة بأنها قاصرة دائماً ، ويجب أن تعيش في داخل بيتها غالباً ، فتعتني بالتدبير المنزلي فيه ولا تظهر في المحال العامة .

وفي هذه الحالة لا يمكنها أن تأخذ نصيباً من الأعمال العامة أوتأتي بعمل

هام ، رئيسي ، حتى أن القانون نفسه يعتبر اتفاقهانها عديمة الجدوى وغير قابلة للتنفيذ (١) .

وقال نيتشيه : توجد سخافة في هذه الحركة — حركة تحرير النساء — سخافة رجولية تستحي منها المرأة الحساسة الحسنة التربية ، يجب أن تحفظ المرأة وأن يعتنى بها وأن تحمى ، ويجب أن تخضع خضوع بعض الحيوانات الأليفة المسلية اللطيفة (٢) .

وقال بالزاك وهو أحد أساتذة علم القلب الإنساني : المرأة التي تلقت تعليم الرجل تملك الصفات النيرة والخصبة التي تسعد زوجها ونفسها ، وكان يقول بوجوب خضوعها وطاعتها للرجل (٣) .

وقال ج. ن. دبرات في كتابه الحكم : قد أصبحت المرأة أكثر كفاءة للعمل ، فهي قد بذلت مجهوداً ، وقد عظمت المنافسة بين الجنسين في الدراسة والتعليم وفي كل المهن الحرة ، وعلى الأخص فإن للمرأة فوق مزية النشاط العقلي صفات المكر ونفاذ النظر ، والحيوية التي هي بالرغم من أنها صفة تدل على عدم الثبات العقلي ، قد ساعدت في جعل اشتراكها في تكوين الحضارة مثمراً فيها (٤) .

ويقول لوبير في كتابه مسألة الأجناس : إن انحطاط المرأة الظاهر هو عرض موقوت وخارج عن تطور الإنسانية اللانهائي على أن أساس هذا الانحطاط هو في الأقلية الطبيعية (٥) .

---

(١) Paul Perrier : L'unité bumaine .

(٢—٥) عبد الله حسين : المراة الحديثة وكيف نسوسها .

وقال أوتو وينبجار : حتى بفرض أن النساء اللائي يرغبن في التحرير هن رجوليات ، فإنه يجب أن يمحو الرجل بغضاءه للنساء ذوات الرجولة ، لأن في هذه البغضاء حب للذات حقيرة ، وإذا أصبح النساء يوماً ذوات رجولة بصيرورتهن منطقيات وفيلسو فات أديبات ، فسوف لا يكن غذاء لأغراض الرجل (١) .

وقالت ماري ولستون كرافت : انها لا تريد أن يكون السلطان للنساء على الرجال ولكن على أنفسهن (٢) .

وقال أوغست كونت في كتابه النظام السياسي على مقتضى أصول الفلسفة الحسية: ولكن بدل هذه الأحلام الهادمة المفسدة، يمكن أن يوجد قاعدة طبيعية تضمن حياة المرأة تماماً ، وذلك يكون بتعيين وتحديد الواجبات المادية على الجنس العامل (الرجال) نحو الجنس المحب (النساء) . والفلسفة الحسية يمكنها وحدها بالنسبة لامتيازها بروح الحقيقة أن تسن هذه القاعدة الطبيعية بطريقة تجعلها سائدة محترمة ، وليست الفلسفة الجديدة (الحسية) هي التي ابتكرت هذا الميل العام ، بل انها فقط قدرته حق قدره بعد تدقيق التأمل في مجموع الحركة الإنسانية .

يجب على الرجل أن يغذي المرأة . هذا هو القانون الطبيعي لنوعنا الإنساني ، وهو قانون يلائم الحياة الأصلية المنزلية للجنس المحب (النساء) وهذه القاعدة التي تريك أخشن أشكال الاجتماع تتحسن وتكمل على قدر رقي النوع الإنساني ، فإن كل الترقيات المادية التي تتطلبها الحالة الحالية للنساء تستحيل إلى لزوم تطبيق هذا الناموس الأساسي بالدقة ، ويجب أن نتائجه تحدث رد فعل على كل العلاقات الاجتماعية ، وبالأخص بالنسبة لأجر العملة .

---

(١) و (٢) عبد الله حسين : المرأة الحديثة وكيف نسوسها .

هذا القانون الذي يلائم الميل الفطري يرتبط بوظيفة النساء الشريفة بصفتهن عاملاً حبياً للآلة المولدة للحركة ، وهذا الإجبار ، إجبار الرجل على تغذية المرأة يشبه ذلك الإجبار الذي يقضي على الطبقة العاملة من الناس بأن تغذي الطبقة المفكرة منهم لتستطيع هذه أن تتفرغ باستعداد تام لأداء وظيفتها الأصلية .

غير أن واجبات الجنس العامل من الجهة المادية نحو الجنس المحب هي أقدس من تلك تبعاً لكون الوظيفة النسوية تقتضي الحياة المنزلية ، ولكن بالنسبة للمفكرين فإن هذا الإجبار يكون تضامنياً فقط بخلافه بالنسبة للنساء فإنه ذاتي [1] .

وقال أوغست كونت في كتابه النظام السياسي : وفي حالة وعدم وجود زوج ولا أقارب ، يجب على الهيئة الاجتماعية أن تضمن حياة كل امرأة إما في مقابلة عدم استقلالها الذي لا يمكنها أن تنجيه وإما على الخصوص بالنسبة إلى وظيفتها الأدبية الضرورية ، وإليك في هذا الموضوع المعنى الحقيقي للرقي الإنساني : يجب أن تكون الحياة النسائية منزلية على قدر الإمكان ، ويجب تخليصها من كل عمل خارجي ليمكنها على ما يرام أن تحقق وظيفتها الحبية[2].

وقال برودون في كتابه ابتكار النظام : النوع الإنساني ليس مديناً للمرأة بأي فكرة أخلاقية ولا سياسية ولا فلسفية ، فإنه مشى في طريق العلم بدون مساعدتها ، واستخرج منه المدهشات والعجائب .

النوع الإنساني ليس مديناً للنساء بأي اكتشاف صناعي ، ولا بأقل آلة ، فالرجل وحده هو الذي يخترع ويكمل ويعمل وينتج ويغذي المرأة ، ثم

---

(١) (٢) محمد فريد وجدي : المرأة المسلمة .

قال : وإن الدور الذي لعبته المرأة في الآداب هو مثل الدور الذي لعبته في المصنع والمعمل ، فإنها لم تنفع في هذه إلاّ حيث لا يلزم استعمال القريحة مثلها في ذلك كمثل المشبك والبكرة [1] .

وقال غيوم فريرو : إنه يوجد في أوربة كثير من النساء اللواتي يتعاطين أشغال الرجال ويلتجئن بذلك إلى ترك الزواج بالمرة ، وأولاء يصح تسميتهن بالجنس الثالث أي أنهن لسن برجال ولا نساء لمنافاتهن للأول طبيعة وتركيباً وللأخريات وظائف وأعمالاً .

ثم قال : وقد ابتدأ علماء العمران يشعرون بوخامة عاقبة هذا الأمر ، المنافي للسنن الطبيعية ، فإن هاته النسوة بمزاحمتهن للرجال صار بعضهن عالة على المجتمع لا يجدن ما يشتغلن به ، ولو تمادى الحال على هذا المنوال لنشأ منه خلل اجتماعي عظيم الشأن .

وقال فورييه : ما هي حالة النساء اليوم ؟ إنهن لا يعشن إلاّ في الحرمان حتى في عالم الصناعة الذي ألمّ الرجل بجميع أنحائه لغاية الاشتغالات الدقيقة بالخياطة وصنع الريش . أما المرأة فيراها الناس منكبة على أشق الأعمال في الخلاء ، ما هي إذن مصادر الحياة بالنسبة للنساء المحرومات من المال ؟ المغزل أم جمالهن إن كان لهن جمال ؟ نعم إن حياتهن الوحيدة هي السفاد العلني أو السري . ليس إلاّ وهي الحيلة التي تنازعهن الفلسفة فيها للآن ، هذا هو الحظ التعيس الذي ألجأتهن إليه هذه المدنية ، وهذا الاستعباد الزوجي الذي لم يفكرن للآن في مهاجمته [2] .

وقال جول سيمون : كان الناس سنة ١٨٤٨ م يشكون من عدم الاعتناء بتهذيب النساء وتربيتهن ، ولكنهم بالعكس يشكون اليوم من أن ذلك التهذيب

---

(١) (٢) محمد فريد وجدي : المرأة المسلمة .

قد بلغ حد الإفراط ، نعم لا نشك في أننا خرجنا من تفريط إلى إفراط هائل [1] .

ومن بعض الأمثلة في المرأة عند بعض الأمم : بيت بلا امرأة كجسم بلا روح (مثل كورسيكي) .

دوام نظرة المرأة في المرآة مجلبة للخراب وداعية للبوار (مثل إسباني) .

لسان المرأة سيفها ، ولكنها لا تدعه يصدأ (مثل ياباني) .

حياة بلا امرأة كمصباح بلا نور (مثل فرنسي) .

لا ترم المرأة حتّى ولا بالزهر (مثل هندي) .

النساء طويلات الشعور قصيرات العقول (مثل صيني) .

من كان له امرأة كان له عدو (مثل إسباني) .

المرأة صنم معبود والرجل هو ذلك المخلوق الصغير الذي يقدم العبادة اغتراراً منه بالوجه الصبوح (مثل فرنسي) .

إصغ إلى المرأة في البداية واحذرها في النهاية (مثل ألماني) .

هناك بينما أنت في بستانك وذراع امراتك ملقى على ذراعك حاذر منها (مثل انكليزي) .

---

(١) محمد فريد وجدي : المراة المسلمة .

المرأة ساذجة وقديرة معاً ، فلا تأمنها على خزائن قلبك فإنها تخدعك ولو كنت معها تحت سقف واحد (مثل سويسري) .

النساء كالجبال يجب أن ينظر إليهن الإنسان من بعيد ليتمتع بحسنهن (مثل ياباني) .

بعض ما قالته العرب في المرأة : خالفوا النساء فإن في خلافهن بركة [١] .

فجور المرأة الفاجرة كفجور ألف فاجر وبرُّ المرأة كعمل سبعين صديقاً [٢]

لولا النساء لعبد الله حق عبادته [٣] .

احملوا النساء على أهوائهن [٤] .

طاعة المرأة ندامة [٥] .

كلما ازداد إيماناً ازداد حباً في النساء [٦] .

ونقل الثعالبي هذين البيتين في مشاورة المرأة :

شيئان يعجز ذو الرصانة عنهما   رأي النساء وإمرة الصبيان
أما النساء فميلهن إلى الهوى   وأخو الصبا يجري بغير عنان [٧]

وقال عمر بن الخطاب: استعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر [٨] .

(١-٦) النابلسي : كنز الحقائق (مخطوط) .
(٧) الثعالبي : ثمار القلوب .
(٨) ابن قيم الجوزية : اخبار النساء (مخطوط) .

وقال علي بن أبي طالب في النساء بعد فراغه من حرب الجمل في ذم النساء : معاشر الناس إن النساء نواقص الإيمان نواقص الحظوظ نواقص العقول ، فأما نقصان إيمانهن فقعودهن عن الصلاة والصيام في أيام حيضهن وأما نقصان عقولهن فشهادة امرأتين كشهادة الرجل الواحد ، وأما نقصان حظوظهن فمواريثهن على الأنصاف من مواريث الرجال ، فاتقوا شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر ولا تطيعوهن في المعروف حتى لا يطمعن في المنكر[١] .

وكتب علي بن أبي طالب إلى ابنه محمد بن الحنفية . . . ولا تملكن المرأة من الأمر ما يجاوز نفسها ، فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة ، فإن ذلك أدوم لحالها وأرضى لبالها واغضض بصرها بسترك واكففها بحجابك وأكرم الذين بهم تصول فإذا تطاولت تطول . . .[٢] .

وقال علي بن أبي طالب : ولا تهيجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم... فإنهن ضعيفات القوى والأنفس والعقول . . .[٣] .

وقال علي بن أبي طالب : النساء شر كلهن وشر ما فيهن الاستغناء عنهن[٤] .

وقال علي بن أبي طالب : المرأة عقرب حُلوة اللسعة ، وجهاد المرأة حُسن التبعُّل ، وخيار خصال النساء شرار خصال الرجال الزهو والبخل والجبن ، فإذا كانت المرأة مزهوة لم تمكن من نفسها وإذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال بعلها ، وإن كانت جبانة فرقت من كل شيء يعرض لها[٥] .

---

(١) ابن ابي حديد : شرح نهج البلاغة ٧٦ ، ٧٧ .
(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١ ، ٣٦٤ .
(٣ ــ ٥) الزمخشري : ربيع الابرار (مخطوط) .

وقال آكل المرار الملك :

إن مَنْ غره النساء بشيء بعد هند لجـاهل مغرور
حلوة العين واللسان ومرٌّ كل شيء يجنُّ منها الضمير
كل أنثى وإن بدَتْ لك منها آيةُ الحب حبها جيتعور (١)

وقال طفيل الفتوي :

إن النساء كأشجار نَبَتْنَ معاً منها المرارُ وبعض المرّ مأكول
إن النساء متى يُنهين عن خلُق فإنه واجبٌ لا بد مفعول (٢)

وقال علقمة بن عبدة :

فإن تسألوني بالنساء فإنني بصيرٌ بأدواء النساء طبيبُ
إذا شاب رأس المرء أو قلّ ماله فليس له من ودهن نصيبُ
يردنَ ثراء المال حيثُ علمنهُ وشرخ الشباب عندهن عجيبُ (٣)

ومن خطبة للأحنف بن قيس لقوم كانوا عنده . . . وإياكم ومشاورة النساء (٤) .

وسأل الحجاج بن يوسف يوماً الغضبان بن العبقري عن مسائل منها : قال له : هل عندك من النساء خبر ؟ قال : أصلح الله الأمير إني بشأنهن خبير إن شاء الله إن النساء من أمهات الأولاد بمنزلة الأضلاع أن عدلتها أنكرت

---

(١) الجيتعور هو الذي لا يدوم على حالة .
(٢) الجاحظ : البيان والتبيين ٣/١٨٦ .
(٣) الجاحظ : البيان والتبيين ٣/١٨٦ .
(٤) القالي :الامالي ٢/٢٠ .

ولهن جوهر لا يصلح إلا على المدارات فمن دارهن انتفع بهن وقرّت عينه ، ومن شاورهن كدرن عيشه وتكدرت عليه حياته وتنغصت لذاته ، فأكرمهن أعفهن وأفخر أحسابهن العفة فإذا زلن عنها فهن أنتن من الجيفة [١] .

وقال عبد الملك بن صالح العباسي لابنه مات في أواخر الأمين سنة ١٩٦ هـ= ٨١١ م : لا تُباعد النساء فيمللنك واستبق من نفسك بقية فإنهن إن يرين أنك ذو اقتدار خير من أن يطلعن منك على انكسار لا تمتلك المرأة الشفاعة لغيرها ، فتميل من شفعت لها عليك معها [٢] .

ومن الأمثال التي قيلت في النساء : تردي العقل وتذل الأغراب . وقيل : كل أسير يفك إلاّ أسير النساء فإنه غير مفكوك ، وكل مالك يملك إلاّ مالك النساء فإنه مملوك وما استرعين شيئاً قط إلاّ ضاع وما استأمن على سر إلاّ شاع . ولا اطلعن على شر فقصرن عنه ولا رأين خيراً فأعطين منه .

بعض ما قاله الأقدمون والمحدثون من الأعاجم : قال سقراط أعظم منظر في العالم يؤثر في النفس ، منظر امرأة جميلة تتألم [٣] .

وقال سقراط : المرأة منبع جميع الشرور وحبها لي يفزعني أكثر من كره الرجل لها ، والرجل الذي يبحث عن امرأة ليتخذها زوجة يكون مثله مثل السمكة التي تسعى للشرك بنفسها .

وقال أرسطو : الطبيعة لا تخلق نساء إلاّ عند ما لا تقدر أن تخلق رجالاً [٤].

---

(١) ابن حجة : ثمارات الاوراق ٨١/٢ .
(٢) الجاحظ : البيان والتبيين ٢٦٩/٣ .
(٣) مجلة المصور ، عدد ٢٣٩ .
(٤) مجلة الاخاء ٨٠٩/٨ .

وقال هوميروس : المرأة أصل الجمال فخذوه منها [1] .

وقال سقراط : تستطيع الشمس أن تجفف الأوقيانوس ولكنها لا تجفف دموع المرأة [2] .

قال كونفوشيوس : المرأة عمل متقن كامل الصنع [3] .

وقال ديموقريتوس : أجمل زينة للمرأة في ثوبها البسيط وقصر لسانها عن كثرة الكلام [4] .

وقال فيثاغورس : في عيني المرأة نوعان من الدموع : دموع الأسى ودموع الخداع [5] .

وقال هومير : المرأة أسوأ مخلوق ولن تجد أشد عداوة منها وأشد خبثاً وإني لا أصدق في المرأة إلاّ شيئاً واحداً ذلك هو أنها لن ترجع لهذه الحياة ثانية [6] .

وسئل أرستوفانيس عن رأيه في المرأة ، فقال :يندر أن تخدع المرأة لأنهن خلقن للخداع [7] .

وقال القديس برنار : إنها آلة إبليس [8] .

وقال القديس أنطونيوس : إنها معمل أسلحة الشياطين وصوتها فحيح الأفاعي [9] .

---

(١) المصور عدد ١٤٦ .
(٢) مجلة المصور عدد ٩٩ ، ٢٣٩ .
(٣ ـ ٥) مجلة الاخاء ٧٢/١٠ ، ٧٣ .
(٦ ـ ٧) السياسة الاسبوعية ١٩٢٨ م ، عدد ١٠٦ .
(٨ ـ ٩) مجلة الهلال ٣١٣/١٤ .

وقال القديس بونا فنتوري: إنها عقرب متهيأة للذع أو هي نبال الشيطان(١).

وقال أرميا : إنها باب الجحيم وطريق الإثم وسم العقرب (٢) .

وقال يوحنا الدمشقي : إنها ابنة الغش وعدوة السلام (٣) .

وقال تريتليان الحكيم : النساء باب جهنم ومنبع الشر .

وقال كشيلش متعجباً : أيها الجنس المكروه من الحكماء ، لن أسمح لامرأة أياً كانت أن تنام تحت سقف منزلي سواء في أيام محنتي أو في أوقات سعادتي .

وقالت مدام دي بوازيه : النساء أفضل من الرجال لأنهن أكثر تضحية لسعادة الغير (٤) .

وقال دوباني : كل شيء يعجب يحوي أثراً من الإمرأة (٥) .

وقال لايتري : نرى الامرأة في كل شيء نحبه (٦) .

وقال فولتير : النساء كالسلاح نحن دائماً معهن في خطر (٧) .

وقال فولتير : المرأة تعلمنا الظروف والآداب (٨) .

---

(١) مجلة الهلال ٣١٣/١٤ .
(٢) مجلة الهلال ٣١٣/١٤ .
(٣) مجلة الهلال ٣١٣/١٤ .
(٤) مجلة الاخاء ٨٠٩/٨ .
(٥) مجلة الاخاء ٨٠٩/٨ .
(٦) مجلة الاخاء ٨٠٩/٨ .
(٧) مجلة الاخاء .
(٨) مجلة المصور ، عدد ٩٩ وعدد ٢٣٩ .

وقال موريس لوبون : المرأة بيدها زمام العالم تصلحه متى شاءت وتفسده متى أرادت [1] .

وقال فكتور هوغو : الرجل هو البحر والمرأة بحيرة ، فالبحر تزينه اللآلىء والبحيرة تزينها مناظرها الشعرية الجميلة والرجل نسر يطير في الجو ويحكم كل ما تحته والمرأة بلبل تغرد فتحكم القلوب [2] .

وقال شكسبير : ما أصعب على المرأة أن تكتم أمراً [3] .

وقال لابرير : المرأة الخائنة هي من فقدت عاطفة الحب [4] .

وقال سافيل : المرأة أقوى بنظراتها من شرائع الرجال وأشد قوة بدموعها منا بفصاحتنا [5] .

وقال جان جاك روسو : سعادتها الحقيقية في أن تجلب الهناء لأسرتها [6] .

وقال لويس الرابع عشر : من السهل أن تجعل جميع دول أوربة المتطاحنة، تتصالح ، ولكن من الصعب أن تصلح امرأتين متخاصمتين[7] .

وقال بلزاك : الرجل الذي يستطيع أن يسوس امرأته قادر على سياسة مملكة بأسرها [8] .

وقال ستندهال : المرأة آلة موسيقية جميلة ، أوتارها الحب ، والفنان الذي يوقع عليها هو الرجل [9] .

(١ ــ ٢) مجلة المصور ، عدد ٩٩ وعدد ٢٣٩ .
(٣ ــ ٤) مجلة المصور ، عدد ١٠٢ .
(٥ ــ ٧) مجلة المصور ، عدد ١٤٦ .
(٨ ــ ١٠) مجلة العروسة ، عدد يناير ١٩٢٦ م .

وقال ويدور : تبتلع المرأة في جرعة واحدة كلمات الكذب والتملق التي تلقى إليها وينزلف بها إليها ، ولكنها تجرع الحقيقة التي تؤلمها نقطة فنقطة [1] .

وقال شارلس لمتل : معظم أوجاع المرأة ناشئة عنا ، ومعظم الفضائل التي فينا اكتسبناها منها [2] .

وقال ثكري الروائي الانكليزي : من أجل امرأة كنت داخلاً مدرسة اللاهوت ، وربما أصبحت من ذوي القلنسوة السوداء ، ومن أجل أخرى دخلت الجيش وخاطرت بنفسي في ميدان السياسة ومعترك الأقلام ، فكان مستقبلي رهين مشيئة المرأة يتشكل بأي وضع تحب .

وهكذا إذا اتبعت خطوات كل فرد لوجدت أنه مسوق إليها بإرادة امرأة يحبها ويكرمها ، فالرجال قلما يحيدون عن إرادة مَن يحبون أو يخالفون أمراً لمن يحبون ، ومهما تكن في شعورهم من قوة لما كانوا بها يبخلون [3] .

وقال لوسيان روميه : ان الرجل يخلق المرأة ، والمرأة تخلق الحب [4] .

وسئل نابليون ما أمنع الحصون ؟ فأجاب : المرأة الصالحة [5] .

وقال نابليون : يجب حجز النساء في منازلهن وأن توصد في وجوههن دور الحكومة [6] .

(١ ـ ٢) مجلة العروسة ، عدد ٧ يناير ١٩٢٦ م .
(٣) الن وود : شفاء العائلات من أدران الموبقات .
(٤) مجلة الهلال السنة ٣٩ ، العدد ٩ .
(٥) مجلة المصور ١٩٢٦م / ١٠٨ .
(٦) مجلة الاخاء / ٩٠٢ .

وقال فنلون : الأمة أسر ، ولا يهذب الأسرة إلاّ المرأة ، فهي إذاً أساس الحياة الإنسانية [1] .

وقال جوردان : للمرأة المتعلمة المتهذبة ، أعظم أثر في حياة الأمة ، وأثرها يظهر في أولادها وأحفادها والذين حولها [2] .

وقال سميلز : للمرأة في تهذيب النوع الإنساني أكثر مما لأي أستاذ فيه ، وعندي منزلة الرجل في النوع منزلة الرأس من البدن ومنزلة المرأة منه منزلة القلب [3] .

وقال لاترين : في كل أمر عظيم يكون للمرأة أهم الأدوار [4] .

وقال هركولانو : لولا المرأة لكان العالم شبه القفر [5] .

وقال مونتسيكو : النساء إما أن يكنّ خيراً من الرجال أو شراً منهم [6].

ومن أقوال جورج صوند : حاذر النساء اللواتي يفكرن بقلوبهن ويشعرن بعقولهن [7] .

وقال تولستوي : إن المرأة تطلب المساواة مع الرجل مع أن تسعين في المئة من الرجال عبيد للمرأة ، سواء كان في المعامل أو المخازن ، أو غوص البحار أو في المناجم تحت الأرض ، كلهم يشتغلون للمرأة وما يوفر لها أسباب الراحة في الحياة وأساليب الزينة والتبرج [8] .

(١ ــ ٤) الحسناء ١٩٠٩م/١٠٦ ، ١٩١٠م/٣٥٢ .
(٥) العروسة عدد ١٣ يونيو ١٩٢٨م.
(٦ ــ ٧) مجلة الاخاء ٣٦٤/٤ ، ٣٦٥ ، ٧٠١ ــ ٧٠٣ .

وقال تولستوي : تنحصر غلطات النساء في أنهن يحاولن فعل كل ما يفعله الرجال ، إن النساء مخلوقات يمتزن عن الرجال بمواهب خصتها بهن الطبيعة ، فإذا أردن بلوغ درجة الكمال ينبغي عليهن أن يترقين ويوسعن دائرة مواهبهن وأميالهن ، ولكن ما هي أميال النساء التي يسعين إليها حقاً ، إني لا أعرف ومع الأسف أقول إنهن أنفسهن لا يعرفنها ، ولكن المحقق الثابت ان تلك الأميال تختلف عن أميال الرجال ، بل إنها مناقضة لها على خط مستقيم (١) .

وقيل : تشعر النساء بحاستين فقط وهما : محبة الرجال ومحبة الأولاد ، ويتفرع منهما : محبة الأزياء الجديدة والتبرج لاجتذاب الرجال ومحبة المال للأولاد ، وما خلا ذلك فإن عقولهن موجهة بكليتها لتقليد الرجال والنسج على منوالهم ، ثم التفنن فيما يعجب الرجال ولهذا يستنبطن المودة ويتفنن بها ما شاء التفنن .

النساء كالأولاد يكذبن بدون حساب ، إنهن يكذبن للوصول إلى غايتهن وهن في الواقع خاضعات لتلك الغاية خضوعاً أعمى ويبذلن في سبيل الوصول إليها كل مجهوداتهن ولا يشعرن بكذبهن الذي يلجأ إليه لبلوغ تلك الغاية .

الأزواج فقط يعرفون النساء لأنهم يرونهن دائماً منهمكات في التبرج ،ولذا يستنتج أن كل زوج يقول : توجد امرأة واحدة رديئة وتلك المرأة هي زوجتي (٢) .

وقال سيراوليفر لودج : لقد كانت أمي امرأة ذات مواهب غير عادية ، وكل ما لدى أولادها من مقدرة أو ذكاء أو نبوغ إنما اكتسبوه منها؛لقدكانت فخرنا .

(١ ــ ٢) مجلة الاخاء ٣٦٤/٤ ، ٣٦٥ ، ٧٠١ ، ٧٠٣ .

وقال الجنرال برامول بوث : إنني مدين بالكثير من نجاحي في الحياة إلى ذلك الحب المطلق للحقيقة ، وذلك التمجيد السامي لها الذي كان ظهر خلالها ، لقد كانت أمي مثلاً عالياً للتضحية وإنكار الذات [1] .

وقال بنتام : يندر أن النساء يلاحظن في أعمالهن سعادة الوطن العامة ، وبالأولى سعادة النوع الإنساني ، وإن اهتممن بنافع حزب من الأحزاب فإنما ذلك لميل خاص ، فيدخل في ميلهن أو نفورهن كثير من الأهواء والتخيلات ، أما الرجل فاهتمامه أشد بالمنفعة الخصوصية أو العمومية ، والنساء يشتغلن عادة بالمسليات ولذلك يسرعن الانتقال من أمر إلى آخر .

نتلخص من هذا أن المرأة أليق من الرجل للعائلة والرجل أجدر من المرأة بالسن على منافع الأمة ، فهي أحسن مدبر للمعيشة المنزلية ، وهو أحسن مدبر للأحوال العمومية [2] .

وقال ميشاليه : المرأة أعجوبة اجتمعت فيها كل المناقضات الروحية [3] .

وقال اللورد ايتلتون : النساء كالحكام قلما يجدن في الحياة أصدقاء حقاً [4] .

وقال لامرتين : هنالك امرأة في بدء كل الأعمال العظيمة [5] .

وقال لاروشفكول : قليلات هن النساء اللواتي بقيت فتنتهن بزوال جمالهن [6] .

---

(١) السياسة الاسبوعية ١٩٢٩م / عدد ١٥٨ .
(٢) محمد رضا :المرأة .
(٣ ــ ٦) مجلة الاخاء ٧٢/١٠ ، ٧٣ .

وقالت مدام نورتون : لم تخلق المرأة لنفسها ولم تخلق لتكون معبودة للرجل، بل رفيقة له خلقت [1] .

وقال كوبي : وما هي المرأة ؟ غلطة من أغلاط الطبيعة المحتملة [2] .

ومن أقوال ماري اشنباش : أين كانت قوة النساء لولا غرور الرجال[3]؟

وقال هيّريش : النساء الجميلات بدون الدين كالأزهار الجميلة بدون رائحة [4] .

وقال نابليون : كل نساء العالم لا يستطعن أن يجعلني أخسر ساعة من وقتي [5] .

وقال شكسبير : لطف المرأة دون نظراتها الجميلة يربح محبتي [6] .

وتقاضت امرأتان أمام أحد القضاة الانكليز ، فحكم عليهما بغرامة وقال في آخر حيثيات الحكم : ولو كان في الدنيا امرأتان فقط تسكن إحداهما في نصف الكرة الشمالي وآخرهما في النصف الجنوبي لوجدتا طريقاً للخصام واستعملتا لذلك البرقية اللاسلكية [7] .

وعرف ألفونس كاتر المرأة : إنها ذات تلبس وتخلع وتهرف بلا انقطاع وتخون [8] .

(١ ــ ٤) مجلة الاخاء ١٠/٧٢ ، ٧٣ .
(٥ ــ ٨) الاخاء ١/٨٠٨ ، ٢/٧٩٤ .

وقال اللورد كرومر : لا تتبدل أحوال الشرق إلاّ بتبدل أحوال فتاته[1] .

وقال شلر : كلما وجد رجل بلغ بعمله غايات المجد وجدت بجانبه امرأة محبوبة [2] .

وقال هوفمان : عبثاً يحاول الرجل أن يتوصل إلى طبيعة المرأة من غير المدركات [3] .

وقال كانت : سعيد من له امرأة شريفة النفس ، فإن حياته مضاعفة ، وإن المرأة هي تاج الخليقة [4] .

وقال جورج ليكونت : إنني لا أشك في أن لطف النساء ورقة شعورهن سيكون لهما أحسن تأثير على الأخلاق العمومية وعلى مجموع أحوال الحياة [5] .

وقال برناردين : النساء يساعدن على تأيف الأمة أكثر من الفلاسفة [6] .

وقال ليكوفه : إذا اشترع الرجال الشرائع فالنساء ينشئن العادات والأخلاق [7] .

وقال فلاماريون : النساء سيتمكّن من إبطال الحروب لأنهن سيرفضن الاقتران بكل يحمل سلاحاً [8] .

وقالت المركيزة دي لمبار : ينبغي تعليم الأولاد ان لا شيء أعظم من القول أخطأت [9] .

(١ـ٩) الحسناء ١٩٠٩م ، عدد ٢٠ حزيران ٣١ ، ١٩٢ ، ١٩١٠ / ٤٠ ، ٢٣٠ .

وقال أناتول فرانس : المرأة هي مكونة المجتمع ، فلها عليه تمام السلطة لا يعمل فيه شيء إلاّ بها ولأجلها ، والمرأة هي أكبر مربية للرجل ، فهي تعلمه الفضائل الجميلة وآداب السلوك ورقة الشعور ثم هي تعلم بعضاً من الرجال ، كيف يصبحون لطاف المعشر وتعلمهم جميعاً كيف لا يكونـــون غلاظاً ، بواسطة المرأة يدرك الرجل أن الهيئة الاجتماعية ذات تركيب دقيق كثير التفرع متعدد العناصر ، وهذا ما لا يخطر عادة لمعاشر الرجال ، وهم يتناقشون في أنديتهم السياسية وأخيراً فبقربها يتضح لنا أن إصلاح العواطف وأظلال الإيمان شديدة الأثر لا يمكن قهرها ، وان البشر غير مسيرين بأحكام عقولهم [1] .

وقال أناتول فرانس : المرأة تحيا دائماً بالقلب والرجل يحيا بالقلب والعقل [2] .

وقال أديسون : لا شيء في الوجود يرفع قدر المرأة كالعفة [3] .

وقال ركفلر : كل شيء حسن وجميل حول مرضع امرأتي .

وقال شوبنهور : يسألوني عن الأفعى اللينة الملمس ، وهي أمامهم في كل وقت ، بل في كل لحظة هي المرأة لتكن ملاكاً طاهراً أو شيطاناً رجيماً فما لنا ولها أجارنا الله من شرها وأذاها .
والحب وردة والمرأة شوكتها ، إن المرأة التي تضطرني إلى أن أخدمها ، ما خلقت ولن تخلق ، إن قولنا عن المرأة سيدة يجب القضاء عليهـــا حتى

---

(١) مجلة الحديث بحلب ١٩٢٩م / عدد ٩ .
(٢) السياسة الاسبوعية ١٩٢٧م / عدد ٩١ .
(٣) المصور ١٩٢٤م ، عدد ٥ .

لا يبقى غير نساء غارقات في الشؤون المنزلية فقط ، اتركوا للمرأة حريتها ولا تجعلوا عليها رقيباً ، ثم قابلوني بعد سنة وأخبروني عن النتيجة [1] .

وقال بلزاك : خلاصة حياة المرأة شعور ومحبة وتألم وإخلاص وتضحية [2].

وقال ثاكري : قلب المرأة هو نظير حجر النقاش ما ينقش به لا يمحى أبداً[3]

وقال تنيسون : المرأة كالقمر تضيء بنور مستعار ، يحلم الرجل بالشهرة بينما المرأة تستيقظ للحب [4] .

ونكتفي بهذا القدر من المباحث والأقوال التي أوردناها في هذه الصفحات القليلة ، مما يدل على اهتمام المجتمع البشري بالمرأة ودورها في حياتنا الغابرة والحاضرة ، وتأثيرها العميق في سير وكيان المجتمع الإنساني .

اختلفت المباحث والآراء في شأن المرأة ودورها في المجتمع الإنساني حسب الزمان والمكان وجنس الأمم والشعوب من بدائية ومتطورة ونامية ، ويمكن القول بأن المرأة تختلف عن الرجل اختلافاً جسمياً وعقلياً ونفسياً ، مما لا يدعو هذا الاختلاف بأن يكون داعياً لانحطاطها ، بل قد تفوق الرجل في بعض النواحي من الحياة ، بل يمكن عدّ هذا الاختلاف أو تفوّق الرجل أو المرأة في بعض الأمور من الحياة ، مكملاً للجنسين معاً ، حيث باتحادهما والقيام كل منهما بما حبته الفطرة وخصته الطبيعة من تركيب جسماني وعقلي ونفسي ، لأن ينهضا بالمجتمع الإنساني خير نهوض ، فيسير كل منهما في ما اختصته الطبيعة من مواهب وخصائص ، جبل وفطر عليها في الخلق والتكوين .

وهذا لا يمنع بأن تتفوق المرأة على الرجل أحياناً في العلم والمعرفة وغيرهما وتنبغ في نواحٍ من الحياة العامة أو الخاصة ، كما لمسنا ذلك في القديم والحديث ، وسنفصل ذلك إن شاء الله في فصول تالية من هذا الكتاب .

(١ـ٤) مجلة الاخلاق بنيويرك ١٩٢٤م ، عدد ايار .

المرأة في الأمم البدائية

يختلف مركز المرأة في الشعوب البدائية ، حسب الزمان والمكان ، والعوامل الاجتماعية والاقتصادية والحربية التي تعمل في تلك الشعوب .

ذكر Durkheim : ان أهلية المناصب الدينية في القبيلة لم تكن متساوية بين الجنسين ، فكان الرجال يتمتعون بتلك المناصب في الدرجة الأولى ، حيث كان ينظر للنساء على العموم بأنهن نجسات غير طاهرات ، ولذا يشكل الرجال الطبقة الممتازة في الجماعة بالنسبة للنساء[1] .

فقد كانت النساء عند بعض تلك الشعوب تباع بيع السلع والحاجات المختلفة ، فكان في شعب Caraïbe ، على المرأة أن تخدم أفراد عائلتها من الذكور كالأب والأخ والزوج ، إذ أنها تكون دائماً أمة ورقيقة لرغباتهم .

وكان كثير من القبائل الهندية في أميركة الشمالية يعاملون نسائهم كالمعاملة التي كانوا يعاملون بها كلابهم .

وكان الرجل في شعب Chochones هو المالك الوحيد لنسائه وبناته .

---

(١) Emile Durkheim : Les formes élémentaires de la vie religieuse .

وكانت تعد المرأة في شعب Wanika بإفريقية الشرقية لعبة أو متعة يتسلى بها الرجل .

وكان يقال : إن الزوج في المجتمع الاسترالي القديم له الحق غالباً أن يكون المالك المطلق لمرأته أو لنسائه ، كما كان لكل أب في شعوب استرالية الوسطى أن يحكم أسرته حكماً مطلقاً في اختصاصه والدائرة المحددة له، وأما في حال معاقبة امرأته كطلاقها أو قتلها ، فلا بد له في تلك الحالات من الرجوع إلى القبيلة التي ينتمي إليها وأخذ موافقتها على ذلك .

وفي حال إساءة الزوجة وعدم محافظتها على الأمانة الزوجية ، أن يتقدم الزوج بشكوى إلى شيوخ القبيلة وأساطينها .

وفي الشمال الغربي الأوسط من Queensland تخول المرأة حق الاقتصاص مرة واحدة يقتصصن بأنفسهن ما يمارسه الرجل من حقوق في العقاب ، وفي بعض الحالات فللمرأة أن تمارس حقها من القصاص على رجل أساء معاملتها و شتمها .

ويلاحظ لدى سكان Nouvelle Galles de Sud أن الأزواج على العموم مولعون بزوجاتهم ، كما أن النساء يحافظن على ما تتطلبه الأمانة الزوجية من عطف وحنان ، وقد شاهد ذلك كثير من الذين قدموا إلى تلك البلاد وعاشوا بين سكانها السود ، حتى أنهم رأوا أزواجاً كانوا طوع إرادة نسائهم ، كما شوهد ذلك في الصحراء الاسترالية .

ولوحظ أن المرأة لدى هنود Guayane تعتبر ملكاً للرجل ككلبة ، فيمكنه بيعها إذا كان ذلك يدخل على نفسه الحبور والسرور .

وذكر العميد Dodge أن الزوج لدى الهنود والذين كانوا يعيشون في

الولايات المتحدة الأميركية ، له الحق أن يشتم زوجته ويبرحها ضرباً حتى إزهاق روحها بدون أن تمنعه مراقبة أو تزجره زواجر .

ويحدث Paulitsdhke بأن المرأة لدى شعوب Samali,Dandil et Gallas لا تمتع بأي حق من الحقوق الزوجية بجانب زوجها ، بل هي قطعة أو جزء من أملاكه .

كما يلاحظ في أفريقية الشرقية الجنوبية : إن الرجل يستطيع الحصول على المرأة بإعطائه أبيها بعض رؤوس من المواشي .

وإن حياة المرأة لدى شعب Koutchines ، إن هن إلاّ حيوانات خلقن أو سخرن لتأدية الخدمات لأسيادهن .

وأن حياة المرأة لدى شعب Kénistenos إن هي إلاّ حلقة غير منقطعة ومتتابعة للعمل وخدمة الشعب ، حتى أنهم يعرضون بناتهن إلى الهلاك ، وهن لا يزلن في سن مبكرة بسبب ما يعانين من تعب ونصب وما يتكبدن من شقاء وشظف عيش .

وأن حالة النساء لدى شعب Chaymas تشابه الحياة التي يعشن فيها كبقية شعوب الأمم البدائية أو النصف البدائية ، فهن في حالة من الحرمان والعذاب والشقاء .

ويجب على النسوة في استرالية أن يتكبدن ويخصص لهن طائفة من الأعمال الأكثر شقاء ونصباً وتعاسة ، فكان يخصص لهن أفقر الغذاء مادة ، وأقسى الأعمال والأشغال التي تتطلب جهداً ونصباً .

ويسأم الرجال ويكرهون لدى شعب Kakhen وغيره من الشعوب البدائية الأعمال الفرعية لخدمة المنزل ، ويميلون في ذلك إلى الكسل والخمول ،

بخلاف النساء بدون تمييز في الجنس أو الطبقة الاجتماعية ، فيعملن فيها ويقمن بما تتطلبه من واجبات وتكاليف .

وبعبارة أخرى فكل جنس من ذكر وأنثى له أعمال خاصة يقوم بها فالرجل مسؤول عن حماية العائلة وتولي أمورها ، حيث أن أعماله وما يقوم به من ممارستها ، تتطلب القوة والنشاط والكفاح والصيد والقنص في البر والبحر ، وصنع أوائل الصيد والحرب ، وقطع الأشجار وبناء الأكواخ .

وقد تلحق المرأة بالرجل في تلك الأعمال وتعاونه ، وقد تشترك معه في معارك الحروب والغزوات .

ولما تسافر القبيلة ، تتولى المرأة نقل الأمتعة ، بالرغم من أن أعمالها ودائرة اختصاصاتها تنحصر في الأصل غالباً في تدبير المنزل وشؤون البيت ، فهي تجلب الماء وتهيىء الطعام وتجهز الجلود وتصنع الثياب وتعتني بتربية الأولاد .

كما أنها تقوم بتموين البيت وتجهيزه من أطعمة وخضراوات ، وتجمع من جذور الشجر الحطب والحبوب والبلوط .

كما أن المرأة لدى الطبقة الزراعية من القبيلة ، فإنها كثيراً جداً ما تفلح الأرض وتزرعها .

وأما تربية المواشي والاعتناء بشؤونها ، فهي غالباً من اختصاص وأعمال الذكور من رجال وأولاد .

ويمكن القول إن مختلف أعمال الحياة المعيشية والمنزلية مبنية على أسس بين الجنسين الذكر والأنثى على تفوق الجنس الأقوى ، حيث يعتبرون أن القوى الطبيعية هي التي منحت استخدام النساء كدواب .

ويلاحظ Pinart أن الهنود في بناما يوجبون على المرأة أن تحمل أثقل الأحمال ، بخلاف الرجل فإنه يتقدم المسيرة وهو لا يحمل شيئاً ، سوى أسلحته وآلات الحرب والغزوات .

ويحدث Dobriyhoffer بأن حمل الأثقال يوكل أمرها كلها إلى النساء لدى شعب Abipones فيسافر رجالهم وهم مسلحون فقط ،لكي يكون لهم ملء الحرية للقتال والمنازلة ، إذا سمحت الفرصة لذلك .

وعلل Westermarck هذه الاختصاصات وتساءل ما هو السبب ، أو الأصل الذي فرض على كل من الجنسين أعمالاً خاصة به ، وحرم على الجنس الآخر بأن يمارسها ، فـأرجع ذلك إلى العادات والتقاليد والأساطير التي انتشرت بين تلك الأقوام والجماعات ومارسوها مدة طويلة .

كان الاعتقاد منتشراً وسائداً في أفريقية ، بأن قطعان المواشي إذا لمستها النساء وتعاطين شؤون تربيتها ، أصابها المرض كما أن الاعتقاد السائد لدى معظم الشعوب الزنجية ، أن الرجال وحدهم هم الذين تخولهم العادات والتقاليد بأن يحلبوا تلك المواشي .

ومن عادات سكان أفريقية الجنوبية الشرقية وتقاليدهم ، أن يحظر على النساء ويمنعن من الدخول إلى حظائر قطعان الخنازير .

كما كانت لدى شعب Betehouana تقاليد وعادات تمنع وتحظر على النساء أن يلمسن المواشي ، كما كان يجب على الرجال أن يتعاطوا حراثة الأرض وفلاحتها .

وكانت العادات والتقاليد والأساطير المتوارثة لدى هنود أميركة الشمالية ، توجب على المرأة أن تبتعد بكل دقة واحتياط عن الأعمال التي يمارسها زوجها.

وفي حالات أخرى ،فالرجال من شعب Dakoutas كانوا يمارسون عند اللزوم ويشاركون في أعمال النساء الخاصة بهن ابتغاء مساعدتهن وتقديم العون ، وذلك يكون نادراً .

وكان لا يسمح للرجل في بلاد الحبشة أن يحمل ماءً أو جلوداً أو خبزاً ، بل كان عليه أن يغسل ثياب الجنين .

ويلام الرجل في شعب Bakongo وتسخر النساء منه ، إذا مارس أو أظهر رغبة في مساعدتهن في عملهن بالحقول ، لأن هذه المميزات التي خصصن بها يستطعن بممارستها أن يفرضن سلطتهن في الدائرة التي يعملن بها في مجتمعهن .

وهناك عوامل وظواهر تجعل المرء لأن يعتقد بأن سلطة الرجل في الأمم البدائية تختلف باختلاف شعوبها ، فقد لا تكون منزلة المرأة أدنى من منزلة الرجل دائماً ، بل قد تكون منزلتها في بعض تلك الأمم مساوية لمنزلة الرجل ، وقد تعلو وترتفع عن الرجل في القدر والاعتبار ، فالمرأة لدى كثير من الشعوب الهندية التي كانت تقطن في أميركة الجنوبية،تتمتع بمركز سام ووضع اجتماعي محترم في الأسرة ومجتمع القبيلة .

فكانت المرأة تتدخل لدى شعب Goajires في كولومبية ، في النزاعات وحسم الخصومات التي كانت تحصل في القبيلة ، فيمنعن بتدخلهن القتال بين أفرادها وهدر دمائهم ، فينزعن السلاح من أيدي أزواجهن أو أخواتهن .

وكانت للنساء في شعب Navahos بالمكسيك الجديدة الأثر العظيم في توجيه الأسرة والاستقلال التام في تدبير المنزل .

قال Grinnell : من الخطأ أن يفكّر الإنسان كما هو مشاع بأن المرأة لدى هنود أميركة الشمالية تعد المثل الواضح في الرق والعبودية ، وقد تبين

لي خطأ هذا الزعم بعد دراستي وما لاحظته في تلك الشعوب بالرغم مما يشاهد وهن يعملن في الحقول ، وما يقمن من أعمال في غاية من الشدة والقسوة فتبقى منزلتهن في غاية من الاحترام والاعتبار لدى قبائلهن .

ثم قال : ولا يقتصر على النساء في قضايا الأسرة فقط بل يمارسن أعمالاً وشؤوناً تتعلق بالقضايا العامة والرئيسية في القبيلة ، فيؤخذ رأيهن في مجالسها ويبدين آرائهن بكل حرية وانطلاق ، ولا سيما في شؤون الأسرة ، فيردون على أقوال الرجال ومزاعمهم ، ويصغون لآرائهن بكل انتباه واعتبار (١) .

كما أن Tenkate احتج بشدة ونقد ما ورد على أن النساء لدى هنود أميركة الشمالية ، يعاملن كأنهن دواب ومواشٍ ، ويعلن صراحة بأن حالتهن الاجتماعية تطابق وتساوي حياة الطبقة الدنيا من النساء اللاتي يعشن في البلاد المتحضرة ، وكثيراً ما يكن أحسن حالاً منهن (٢) .

وكانت النسوة لدى شعب Onahas يتساوين اجتماعياً مع الرجال ، فكان الزوج والزوجة يشتركان في رئاسة الكوخ ، فيملكانه بالتساوي وما يتبعه من أثاث وألبسة .

وكانت النساء في شعب Sénécas يحكمن عادة البيت ويدرن شؤونه .

ويتعاطى كثير من النسوة لدى شعب Saliches الأشغال الشاقة والمضنية ولكن بطريقة لا تشبه العبودية والرق ، بل بالعكس فينظر إليها باحترام وإجلال ، وإنها نوع من الأعمال ذات النفوذ والسلطان .

---

(١) (٢) Edward Westermarck : L'origine et le développement des idées morales .

وكانت النساء يشاورن لدى شعب **Noutkas** في الشؤون التجارية ، ويتساوين مع الرجال في الحقل الاجتماعي ، ما خلا في بعض الأعياد والمواسم والطقوس العامة .

كما أن النسوة لدى هنود منطقة **Puget** يشاورن على العموم في الأمور التجارية ، وذلك قبل عقد السوق وتقرير الصفقة ، ويتمتعن بنفوذ قوي في القبيلة .

وإن المرأة في شعب **Thlinkit** لا تعتبر رقيقة ومستعبدة لدى زوجها ، بل تتمتع بحقوق وحرية غير محدودة ، هذا بالإضافة إلى نفوذها العظيم في شعبها .

وتتمتع المرأة لدى أهالي **Cap Cross** بمنزلة رفيعة تعلو على منزلة الرجل .

ولا تعمل النساء لدى شعب **Tinneh** إلاّ في أقسام من الأعمال الاجتماعية العادلة والمناسبة لهن ، وأن رأيهن له القيمة والاعتبار في معظم الأعمال القبلية .

ويتمتع النسوة في منطقة **Kadiak** بمنزلة رفيعة واعتبار عظيم مع حريات واسعة غير محدودة .

وللنساء لدى شعب **Kamtchadales** حق قيادة وتوجيه جميع شؤون القبيلة وأن الرجال فيها هم الأرقاء والمطيعون لأوامرهن .

وتظهر سلطة المرأة ظهوراً واضحاً جداً قبل عقد أسواق البيع والشراء وعرض الأسلحة وآلات الصيد فيها .

ومن القواعد المتبعة في القبيلة بأن تشاور المرأة ويؤخذ رأيها في ما تريد عمله.

ويظهر أن النساء لدى شعب الأسكيمو في منطقة **Point Barrow**

على قدم المساواة التامة مع الرجال ، سواء أكان ذلك في الأسرة أو في شؤون القبيلة العامة ، فتعد الزوجة رفيقة للزوج في جميع الأوقات والظروف . ما خلا في ساعات الصيد والقنص ، ويستشيرها الزوج ويأخذ رأيها في كل صفقة بيع أو شراء ، أو تعهد وإلتزام في أمر هام .

وبالرغم من أن المرأة في منطقة Groenland تعتبر أحط مقاماً من الرجل ، فإن الزوج يستشير زوجته في كل أمر ذي بال ومهم .

وتظهر حقوق المرأة في البيت ظهوراً جلياً لدى شعب Tangutans فإنها تتساوى مع حقوق الرجل تماماً .

وتعامل النسوة لدى شعب Khaads بدون استثناء باحترام مع ما تمتاز به من شرف الأمومة في العائلة ، فلا يبرم أمر أو يعمل عمل من الأعمال العامة أو الخاصة ، إلاّ بعد أخذ رأيهن واستشارتهن ، ويتمتعن على العموم بنفوذ عظيم وتأثير في مجالس القبيلة .

ويمكن للزوجة أن تفترق عن زوجها وتطلقه في أي وقت شاءت ، ما خلا السنة التي تتلو زواجها ، أو في الوقت الذي ينتظر ولادة طفلها ، أو في السنة التي تتلو ولادة الولد ، ففي هذه الحالة للزوج الحق بأن يطلب حالاً من أبيها المبلغ الذي دفعه كصداق عند عقد قرانهما .

وللمرأة البدائية في المقاطعات الشمالية الغربية من الهند ، شخصيتها ومكانها الرفيع في البيت ، وعلى الغالب لا يعمل الرجال شيئاً إلاّ بعد أخذ رأيها واستشارتها ، وإذا عوملت معاملة سيئة يعرض أمرها على مجلس القبيلة لدرء السوء عنها وحمايتها .

ويخضع الأزواج في شعب Kattis لنسائهم .

وللنساء في شعب Bhiles تأثير قوي ونفوذ عظيم في مجتمعهن ، وإذا أراد الأزواج أن يخلفوا ذكراً حسناً وسمعة طيبة في قبيلتهم ، فعليهم أن يفسحوا المجال أمام زوجاتهم لكي يتسلطن عليهم ويخضعون لإرادتهن .

ويعامل الأزواج في شعب Garos على العموم زوجاتهم معاملة حسنة فيها كثير من الاعتبار والاحترام .

وتعامل النساء والفتيات في شعبي Boto , Dhima معاملة جيدة ويمنحونهن كل ثقة واعتبار .

وتحترم النساء في شعب Koukis ، ويؤخذ رأيهن ولهن نفوذ كبير في مجتمعهن .

ولاحظ Colquhoun ان المساواة بين الجنسين في شعوب الهند الصينية كانت سائدة ، في العهود القديمة ، قبل انتشار الديانة البوذية فيها [١] .

وكانت النساء في حالة من المساواة، لم تكن أقل منها من حالة الجنس الآخر ، فكن يتداخلن في الأمور العامة ويبدين آرائهن فيها ، ويتجادلن مع الرجال على قضايا ومصالح عامة تتعلق بشؤون القرية ، وكان يؤخذ رأيهن ويدرس دراسة دقيقة ، قبل أن تتخذ القرارات وتنفذ ، كما كن يشاورن في جميع الأمور ، وكان الأزواج ينقادون بواسطة نسائهم ويؤيدون آرائهن .

ويرجح Craufurd إن حظ النساء في Malais لم يكن أقل سعادة من بلدان الشرق الأقصى ، فكن يشتركن مع الرجال في جميع الظروف والأحوال على قدم المساواة في السلطة وتسيير دفة أمور القبيلة [٢] .

(١) (٢) Edward Westermarck : L'origine et le développement des idées morales .

وكانت النسوة في منطقة Bali يساوين الرجال مساواة مطلقة ، فكان الرجل يظهر احتراماً كبيراً لمرأته ، يستشيرها ويأخذ رأيها ، وينظر إليها كرفيقة لا كرقيقة مستعبدة له .

وكانت النساء المتزوجات في شعب Bataks يمارسن على الغالب نفوذاً كبيراً في أسرهن .

وللنساء في Sérang المساواة التامة في الحقوق والواجبات ، ويعاملن معاملة حسنة .

كما أن النساء في Soulon يتمتعن بسمعة حسنة ، ولهن وزن كبير في تسيير الأعمال ، ومقام فقال في السلطة والحكومة ، بما لهن من نفوذ يمارسنه على أزواجهن .

والنساء في الجهات الغربية من Torrès لا يعاملن معاملة سيئة .

وحالة النسوة في بعض أقسام غينية الجديدة ، كما يصفها الرحالون ، هي على غاية من الاحترام والاعتبار ، فلهن ملء الحق في إبداء آرائهن ورفع أصواتهن في ما يخص تدبير المنزل وأعماله ، ويتسلطن عندما تسلح الفرص على أسيادهن ، فيما رسن نفوذاً لا يقتصر فقط على الأعمال المنزلية ، بل يتعد ذلك ، ويتجه إلى أعمال الحكومة وتصريف شؤونها .

وكانت النسوة في منطقة Broamanga يعملن كل عمل قاس وشاق في فلاحة الأرض وزراعتها ، غير أنهن كن يعاملن في مجتمعهن معاملة حسنة ولا سيما من قبل أزواجهن .

وكانت المرأة في شعب Mariannes سيدة مطلقة في بيتها ،حتى أن الزوج

لا يستطيع أن ينظم فيه شيئاً بدون إذنها ورضاها ، حتّى قيل : ان الرجال كانوا محكومين حقاً من قبل زوجاتهم .

وكانت النسوة في جزائر **Pélion** يساوين الرجال فيجميع الأمور والمناسبات ، حتّى أن الرجل إذا دبت فيه الشيخوخة وطعن في السن ، لا يمكنه أن يفعل شيئاً يخص الأسرة إلاّ بعد أخذ رأي النساء الأكبر سناً ومشاورتهن.

وتتمتع النسوة في شعب **Carolines** باحترام عام ومساواة تامة مع الرجال.

كما أن المرأة مستقلة تمام الاستقلال في منطقة **Mostlock** عن زوجها .

ويعتبر سكان جزائر **Kingsmill** النساء ويحترمونهن كثيراً ، وكان من خصائصهن تدبير المنزل ، وأما الأعمال التي تحتاج إلى بذل جهد ومشاق ، فيأتيها الرجال .

ولا يوجد فرق يذكر بين المرأة والرجل في بعض القبائل مثل **Gilbert,** **Ellice** وغيرهما ، فللمرأة الحق بأن تجادل وتناقش أمور القبيلة ، وتتكلم فيها كالرجل ، وعلى العموم فالنساء الحق في حل القضايا المهمة للقبيلة ، بخلاف إعلان الحرب ضد قبيلة أخرى ، فهو من خصائص الرجال غالباً .

وينظر إلى النساء في منطقة **Tong** باحترام عظيم بسبب جنسهن .

وللنساء في منطقة **Samoa** اعتبار عظيم فيعاملن معاملة حسنة ، ولا يكلفن بشيء خارج عن اختصاصهن ، إلاّ بما يتعلق بجنسهن .

وتوجد في وادي **Typie** ، فئة من الناس تدعى **Marquises** ، فالنساء فيها يتعاطين جميع الأعمال التي تؤهلهن لممارستها ، ما خلا بعض الطقوس الدينية التي لا تخولهن ممارستها .

وكانت المرأة في مداغشكر غير محتقرة ، بل ينظر إليها كإنسانة تساوي الرجل ولا تفضله ، فتعمل وتأخذ نصيبها من الأعمال الشاقة والمضنية . فتقاسم زوجها حياته من ضنك وسرور .

وكانت النساء لدى شعب **Monvou** ، مساويات للرجال فيذهبن معهم إلى الصيد والقنص ، ويصحبنهم إلى الحرب . فيأخذن مقامهن في مواقعه وخطوط دفاعه .

وكانت النساء يعاملن في شعب **Madis** بأفريقية الوسطى ، معاملة حسنة ، ويحترمن ، ويفضلن ويحفظ لهن المراكز الاجتماعية الممتازة ، كما كن يتناقشن مع الرجال بمساواة تامة ، ويشاورن ويؤخذ رأيهن بكل عناية واعتبار .

المرأة ومركزها في مختلف الأمم القديمة

المرأة في مصر :

منذ زمن بعيد مضى ، قبل القرن التاسع عشر الميلادي ، لم ينقل ويعرف عن الحضارة المصرية ، إلاّ بما كتبه اليونانيون والرومانيون الذين رحلوا إلى مصر ، وتنقلوا بين بلدانها للدراسة والاستطلاع .

ومن الوثائق التي تنبيء عن تلك الحضارة ، ما حفظ من ألبسة وتماثيل ورسوم وتصاوير ، التي تعد بحق وثائق ناطقة تبين ما كانت عليه الحضارة المصرية من عادات وتقاليد ومعارف وعبرها .

وأكثر تلك الوثائق وضوحاً وتبياناً ، هي الألبسة التي كانت ترتديها المرأة المصرية ، وما كانت تستعمل من تزيين ومشاطة وحلاقة . حيث كان ذلك شيئاً رئيسياً عندها ، كما كانت تعني بهدامها ورشاقة جسمها وتزيين وجهها .

ويمكن وصف قامة جسم المرأة المصرية القديمة وهندامها ، بأن تظهر عيناها كبيرتين وجميلتين وفوقهما حاجبان مخطوطان خطاً جميلاً ومناسباً . وتحتهما أنف صغير وجميل ، وشفتان غير رقيقتين .

قال ألكسندر موربي الفرنسي : لم تكن المرأة في ذلك العهد البعيد (المصري القديم) كمية مهملة أو منبوذة ، بل كان يحسب لها في الأسرة حساب ، فقد كانت تعيش بين أفراد أسرتها مستقلة عن الرجل تمام الاستقلال ، حرة في أعمالها ، مساوية له في جميع الشؤون ، ذلك لأن المصريين في عهد الفراعنة كانوا ينظرون إلى المرأة بعين غير التي كان الأقدمون جميعاً قبل الفراعنة وبعدهم ينظرون إليها بها .

فإن المرأة كانت في نظر الرومانيين وحسب شرائعهم وقوانينهم تعد قاصرة على الدوام ، تفرض عليها الطاعة العمياء لزوجها ، أياً كانت إرادته وأياً كانت أهواؤه .

أما في عهد الفراعنة فإنهم كانوا يكبرون ويعظمون المرأة لأنها في نظرهم أقوى عامل من عوامل البقاء والتكاثر والتماسك في الأمة .

فالآلهة قد أغدقت على المرأة نعماً ، وخصتها بامتيازات ورعتها بعناية حرم منها الرجل ،فمكانتها في الأسرة كمكانته بل أفضل منها ، ومركزها كمركزه بل أرفع منه ، ورأيها يجب أن يؤخذ في الشؤون المنزلية والاجتماعية وغيرها كرأيه ، بل قبل رأيه .

وجاء في السنن القويم ما يأتي : والظاهر أن النبوة كانت مما يؤذن به للنساء في مصر ، ولكنهن حُظرت عليهن الكاهنية إلى عصر بطليموس [1] .

ذلك كان مركز المرأة في الهيئة الاجتماعية عند قدماء المصريين ، وذلك ما جعل المرأة وقد تحررت من القيود التي كانت تشل حركتها ونشاطها

---

(١) كتاب السنن القويم في تفسير اسفار العليم ترجمة ابراهيم الحوراني عن الانكليزية .

وذكاءها ، تبرز إلى ميدان العمل وتشاطر الرجل واجباته وحقوقه . وتضرب في مضمار الرقي بسهم وافر وتأخذ من الجهاد في سبيل وطنها وآلهتها وأسرتها نصيباً كثيراً ما كان يفوق نصيب الرجل فيه .

وكتب هيرودوتس يقول : إن ما يجري في مصر يختلف من جميع الوجوه عما يجري في الأقطار الأخرى وعادات المصريين لا تشبه في شيء عادات الشعوب والأمم المجاورة لهم شرقاً وغرباً ، فإن المرأة المصرية تخرج من منزلها متى شاءت وتعود إليه متى شاءت . إنها تذهب إلى الأسواق وتتاجر وتقضي أعمالاً لا يقضيها عند الشعوب الأخرى غير الرجال ، وبينما نرى الرجل في مختلف الأقطار يتحمل وحده مسؤولية السهر على راحة الأسرة وسد حاجاتها ، فإننا نرى عكس ذلك في مصر ، حيث الرجل قابع في عقر داره يحيك الأقمشة ويعد الطعام ، بينما المرأة تقضي خارج الدار أعمالها وشؤونها . وهذا ما يجعل مصر عظيمة بين الأمم .

ولما كان هذا مركز المرأة في الهيئة الاجتماعية وموقفها من الرجل . فإنه لا بد من ناحية أخرى أن تقوم العلاقات الغرامية والروابط الزوجية على قواعد غير التي تقوم عليها في الأقطار التي فيها للمرأة هذا الشأن وهذا المقام .

الجنس اللطيف كما نسميه أحياناً لم يكن في الحقيقة ضعيفاً . . وإن يكن لطيفاً فإن المرأة كانت كالرجل مطلقة الحرية في تسيير عواطفها وإدارة دفة قلبها وتكييف الشعور كما تريد وترغب . وليس لأحد أن يؤثر فيها أو يرغمها على سلوك سبيل تنفر منه وتأباه .

وهذا ما يبدو في أجلى صورة وأوضح بيان في أناشيد الحب التي حفظتها لنا أوراق البردي المدفونة في بطن الأرض وصفحات الصخور الصم الناطقة في المعابد والهياكل والقصور والمدافن .

كان المصريون القدماء يقدسون الحب ويكبرون العاطفة التي تنم عنه كما تقدسه الشعوب الراقية اليوم وتكبر عاطفته .

وكانوا إذا ما دفنوا شخصاً عزيزاً يضمون إلى الأدوات والتحف أغاني الحب وأناشيد الغرام لكي يجد الراحل المحبوب في مقامه الجديد في العالم الآخر ما يذكره الحبيبة أو الخطيبة أو الزوجة ، ويجعل أوقات فراغه حلوة لذيذة .

وفي مجموعة الأناشيد التي عثر عليها المنقبون في بقايا مساكن الأحياء والأموات من الأقدمين ما يكفي لرسم صورة ناطقة لكثير من نواحي الحياة المصرية القديمة [١] .

وإن استنطقنا آثار مصر ، أخبرتنا أن في قوانينها الذكر والأنثى متساويان ، وحقوقهما واحدة ، ولولا انتشار أفكار اليونان في مصر وتعدي النساء حدود حقوقهن لما نقصت تلك الحقوق ، ومع ذلك فلم تنقص إلاّ قليلاً جداً كما سترى .

فكان في العائلة لا فرق بين الزوج والزوجة ، والأخ والأخت والإبن والبنت ، فالتساوي مذهب المصريين ، وأساس قوانينهم ، استنتجوا منه جميع القواعد التي سنذكرها .

فمن نتائج هذا التساوي بين الذكر والأنثى ان البنت متى بلغت جاز لها جميع الأعمال الشرعية ، فيمكن أن يكون لها أموال ملكها ، وأن تعقد أي عقد أرادت وتلتزم وتتصرف كيف تشاء .

---

(١) البلاغ الاسبوعي عدد ٣٠ ابريل ١٩٣٠م.

فإن قيل ما أصل حق المرأة هذا وما سببه ، ولِـمَ لمْ تكن المرأة في مصر كما في غيرها من البلاد تحت سلطة زوج أو ولي ، وكيف لم نجد في وادي النيل لأحد ولاية على المرأة ليحميها بالأقل مما كان الرومانيون يسمونه بالعته الطبيعي في النساء .

فجواب هذا السؤال صعب مختلف فيه ، زعم بعض الباحثين أن ذلك من آثار قوانين الأولين ، وبقايا عوائد أوائل المصريين ، فإن الأم عندهم تطلب دائرة العائلة ، لها الحقوق دون الأب ، لأن الأبوة واقعة مبهمة لا يمكن ثبوتها ، فإن مبدأ الحمل يستحيل في الغالب معرفته بالضبط ، بخلاف الولادة فإنها حادثة ظاهرة سهلة الإثبات دائماً ، فالطفل لا يكون إلاّ ولد أمه ، ولذا كان في قوانينهم لا فرق بين ولد الزنا وغيره ، وهذا المذهب نتيجته أن الأم لها حقوق لا حد لها ولا حق للأب . ثم لما انتشر التمدن وتهذبت الأخلاق ، صار النكاح من أنظمة الاجتماع الإنساني ، وحرم على المرأة التزوج بعدة رجال ، لكن لم يزل مباحاً للرجل تعدد الزوجات ، فظهرت حينئذ فكرة لم يكن لها وجود قبل ذلك وهي أن المرأة أضعف من الرجل ، وفعلاً تغلبت القوة وصار هو الرئيس ، بل السيد المتصرف في شركة الزواج أعني عقد النكاح ، ووجبت الطاعة عليها ، وأبيح له التزوج بعدة نساء . والأولاد الذين يولدون حال قيام النكاح يعتبرون أولاده .

وقال أصحاب هذا الرأي : إن المصريين مع ذلك لم يزالوا محافظين على تفضيل الأم ولذا نرى المرأة مقدمة ذات نفوذ في الهيئة الاجتماعية .

وخالف آخرون هذا الرأي وقالوا : ان جميع ما تركه المصريون من الآثار وما يوجد من المؤلفات المتعلقة بأحوالهم يدل على عدم صحة هذا الرأي ، والصواب أن سلطة المرأة ليس سبب كونها أماً ، بل كونها إمرأة ، والظاهر أن هاتين القضيتين متشابهتان ، مع أنهما في الحقيقة مختلفتان ، بل متناقضتان ،

فإن الأم يجوز أن يكون لها على أولادها سلطة عظيمة مطلقة لا حد لها تقريباً كولاية رئيس العائلة عند الرومانيين ، ومع هذا فهي نفسها تكون تحت طاعة زوجها أو وليها ، والدليل على ذلك أن المحور عليه،لهعلى أولاده ولاية الأب ، ومع ذلك فلا يمكنه التصرف بدون إذن وليه ، ويرون أنه لا مناسبة بين سلطة الأم ومساواة الرجل للمرأة ، فإن الأم يجوز أن تكتسب بولادة ولد أو أكثر ، حقوقاً جديدة ، ولا يكون لها حق من حيث هي امرأة ، كما كان ذلك في عهد قياصرة الرومانيين ، فمن ادعى أن المرأة لما تصير أماً تكتسب حقوقاً ادعى أنها قبل ذلك كان لها حقوق أقل ، وهذا لم يحصل في مصر ، لأننا لو قرأنا تاريخها من مبدئه إلى وقت صدور قانون بطليموس (فيلو ياتور) لرأينا أن المرأة لها حقوق من حيث هي امرأة طول حياتها ، ومعها تغيرت حالتها الشرعية بالزواج أو الولادة ، وإن تأملنا حق التأمل وجدنا أنها بولادة ولد تنقص حقوقها ولا تزيد حيث أن ابنها أو بنتها يكون ناظراً على جميع أموالها .

وقالوا : إن جميع ما عثرنا عليه من آثار المصريين الشرعية تدل على صحة مذهبنا ، فإن من دخل متحف اللوفر بباريس وغيره من ديار التحف المصرية ، وجد المرأة منذ العائلات الملوكية الأولى كالرجل ، هما على جميع الآثار في موضع التساوي ، فالزوجة جالسة مع الزوج عل كرسي واحد ، ويقال : نب يا رئيسة المنزل ، ونرى في القصيدة المسماة أسجاع الغرام وهي من أقدم آثار الآداب في مصر ، أن المرأة تقول لزوجها « اتخذني رئيسة منزلك ، الخ . . .) .

وبعد ذلك الزمن لما تغير النكاح وصار عقداً بعد أن كان من الفروض الدينية فقط يرى في العقود هذا المعنى في مثل هذه الألفاظ « قد اتخذتك امرأة » أو « جعلتك زوجتي » أو « اتخذني امرأة » أو « جعلتني امرأتك » .

والحاصل أن المرأة في مصر لها حقوق وامتيازات من حيث هي كذلك ،

لا لأنها أم ، فإن قيل ما أصل هذه الحقوق قلنا : يصعب الجواب ، بل يستحيل معرفته ، وعلى أي حال وجودها لا شك فيه فلنطالعها كما هي :

لا فرق في الأهلية الشرعية بين الذكر والأنثى في جميع الأحوال فمتى بلغت البنت صارت لها الأهلية التامة ، أما البلوغ عند المصريين فليس كما كان عند اليونان وأهل رومة له ميعاد محدد وسن مخصوص متى بلغه الطفل ، صار في الشرع رجلاً له جميع الحقوق ، ويمكنه إجراء جميع الأعمال الشرعية وحده ، بل يمكننا أن نقول أن البلوغ لا وجود له في مصر ، فمتى أمكن بنفسه وقبل وقت التمييز يجريها له غيره لكنها لا تكون إلا مؤقتة ولم يكن عند المصريين ما يقال له الآن وصي أو ولي ، فإن الطفل هو الذي يباشر العقود بنفسه مهما كان صغير السن ، ثم بعد ذلك له أن يصدق على العقد أو يطلب فسخه ، ولذا يرى في أحد بقايا الأوراق المصرية بمدينة لندن أن أطفالاً لا يزيد عمرهم عن بعض شهور وقع منهم التراضي على قسمة ، وتداخلوا في عقد ، فمن البديهي أن هذا العمل الشرعي لم يجروه بأنفسهم ، بل صار إجراؤه بالنيابة عنهم ولهم الرجوع عنه .

حينئذ متى بلغت المرأة سن التمييز جاز لها التصرف بجميع الأوجه القانونية ، سواء كانت من عائلة رئيسها على قيد الحياة ، كما كان عند الرومانيين ، أو فقدت جميع أقاربها ، فالمصريون لا يميزون كالأمة المذكورة ، بين مَنْ هو تحت ولاية غيره ومن لا ولاية للغير عليه ، ولا يخفى أن للأقارب في مصر ، كما في سائر البلاد حقوق على أولادهم ، لكن ولاية الأب والأم في مملكة مصر حكمتها الشرعية حماية الأولاد ، ولا نسبة بينها وبين ولاية رئيس العائلة عند الرومانيين ، فلا يجوز لهما في مصر قتل أولادهما ولا بيعهم وحقهما عليهم إنما هو حق تأديب ، نعم قد يرى في عدة أوراق أن الأب يحكم على أبنائه بغرامة في بعض الأحوال ، لكن ليس سبب الحكم أنه أب ، بل لأنه شريك أولاده ، كما يحكم على غيرهم من الأجانب .

وإن كانلا ولاية للأب والأم على البنت ،فبالأولى لا ولاية لولي غيرهما، وان القوانين المصرية لا تجوز وجود الوصي ولا الولي ، إذ ليست المرأة في مصر كما في رومة دائماً تحت طاعة ولي ، بل يحرم التدخل في أشغال البنت ولو يتيمة ، فإن كانت صغيرة جداً لا يمكنها إجراء الأعمال الشرعية ، أجراها بدلها أكبر أخوتها أو أخواتها ، وإن كانت عديمة الأقارب أجراها أجنبي يود لها الخير ، ويكون حينئذ نائباً عنها ولا وكالة له شرعاً ، بل يعقد العقود باسم نفسه .

ومتى كان الأمر كذلك فلا يستغرب ان المرأة لها في الميراث نصيب الرجل ، وكذلك الأخت تأخذ من التركة النصف ولأخيها النصف .

وحرية المرأة في مصر مطلقة خصوصاً في انتخاب الزوج . . . وأن البنت في مصر تقوم مقام الابن ، ومن مات ولم يترك إلا إناثاً كان في الآخرة على حسب اعتقاد المصريين كمن لم يترك إلاّ ذكوراً .

وقد تبين من هذا أن المرأة والرجل متساويان ، وهذه حال المرأة في عهد العائلات الملوكية الأولى ، ولم يغيرها صدور مجموع القوانين المصرية في عهد الملك (بخوريس) فلم تزل كذلك إلى أيام بطليموس الذي قلب موضوع قوانين مصر ونقص حقوق النساء ، ومع ذلك فلم يسقط التعادل بينهن وبين الرجال إلاّ قليلاً .

هذا ومع كمال التساوي وتمام التعادل ، فكان على المرأة فروض في غاية الصعوبة أوجبتها الضرورة ، وهي أول من يستحسنها .

فما كانت تحرمه قوانين المصريين وتعتبره من أكبر الأخطار ملامسة النساء في حيضهن ، ولذلك لم يكتفوا بحبس المرأة في منزل أو دار ، بل في محل مخصوص لا تخرج منه يسمونه هريري .

وفي زمن استعمال المشاركات المالية في عقود نكاح المصريين ، يرد ذكر الهريري الذي تحبس فيه النساء في جميع الأوراق المتعلقة بالقسمة ، ومن ذلك ما ورد في ورقة قسمة التركة بين «باطمه» وأخيه « يناس » — ونصها : «انشرح صدري وسر فؤادي لما أعطيتني نصف دار أبينا إلى قوله وغرفة تسجن فيها نسائي مدة حيضهن » ثم بعد ذلك وهب « باطمه » لزوجته نصيبه في الدار المذكورة ، فصارت هي المالكة لها المتصرفة فيها ، ومع ذلك فهي التي أمرت بذكر الهريري في عقد التنازل ، وبناء على أمرها صار ذكره فيه ، وهذا دليل على انقياد النساء اختيار الاضطرار لما يسميه المتأخرون نصائح الصحة العمومية .

وبالجملة فالمرأة في مصر القديمة كانت تساوي الرجل إلا في الاستثناء الذي ذكر ، وقد ذهب بعضهم إلى أن المرأة كانت أعلى من الرجل مقاماً ، حسب ما ورد في كتب اليونان من رفعتها على الرجل وتسلطنها في المنزل ، وقد ذكر بعضهم كسفوكل وأوريبيد مستهزئين بالأزواج في مصر ، حيث كانوا يجلسون في بيوتهم ونساؤهم لهن العقد والحل في جميع شؤون المنزل ، وسببه أن مؤرخي اليونان الذين زاروا مصر مثل هيرودوت وديودور الصقلي ، وقد رأوا المرأة في أيام شيوع وممارسة المشاركات المالية في عقود النكاح واشتغال النساء الزائد بالمعاملات ليكون لهن النفوذ في المنزل ، حتى أوجب ذلك انعكاس الأمر وصدور قانون (فيلوپاتور) .

والخلاصة يمكن القول بأن المرأة والرجل كانا في مصر القديمة متساويين قانوناً من قديم الزمان إلى أواخر عهد البطالمة [1] .

---

(١) محاسن آثار الاولين فيما للنساء وما عليهن في قوانين قدماء المصريين، نقله الى العربية علي جلال الحسيني .

وقال Louis Frank : قد خولت المرأة المصرية القديمة حقوقاً ممتازة ، غير مقيدة بسلطة الزوج ، حيث كانت تتمتع بثروتها ، وتتولى تدبير أملاك الأسرة بدون أي مراقبة أو إشراف ، ويكن لها المجتمع العالمي كل احترام وتقدير ، حتى سماها المصريون ملكة البيت (١) .

وقال اميليتو : لقد كان من جملة مفاخر الحضارة المصرية القديمة انها أول من أيد سلطة المرأة وأظهر سمو منزلتها (٢) .

وقال محمد غلاب : أجلّ المصريون المرأة وآمنوا بأنها مخلوق أرقى من الرجل وأقدر منه على حل ألغاز الحياة والخروج من مآزقها الضيقة وانها أبعد منه نظراً وأثقب أفكاراً ، فخلقوا خرافة الإله (أوزيريس) الذي قتله أخوه حقداً عليه ، ثم أحبته أخته الإلهة (إزيس) بعد أن جمعت أجزاء جسمه من أنحاء الدولة وسلكت كل سبيل لهذا البعث المبارك الذي نجم عنه وجود الإله « أوريس » الصغير الذي انتقم فيما بعد من عمه « ست » إله الشر والسوء .

ولما رأى المصريون ان الفضل في إحياء إلههم يرجع إلى أخته قدسوا هذه الأخت وقدسوا من أجلها كل امرأة ، ثم نسبوا الإله « أوريس » إلى أمه التي كانت السبب الأول في وجوده ، ثم أصبح ذلك قاعدة عامة ينسب الولد إلى أمه ويأخذ اسمها ويطرح اسم أبيه في زوايا الإهمال .

وقد خالفني فيه لوريه فذهب إلى أن الخرافة الدينية هي التي حدت المصريين إلى احترام المرأة ، لا احترام المرأة هو الذي خلق الخرافة ، ولما رأوا رجاحة عقلها وحسن تدبيرها أسند إليها أنها خدعت الإله الأعظم (رع) واكتشفت

---

(1) Louis Frank : L'éducation domestique des jeunes filles .

(٢) السياسة الاسبوعية سنة ١٩٢٩م ، عدد ١٦٩ .

سره المكنون واسمه الخفي فسيطرت بذلك على الكائنات وأصبحت إلهة عظيمة لا يضارعها صغير ولا كبير في عالم السموات .

سرت هذه العقيدة بعظمة الإلهة « إيريس » في نفوس المصريين جميعاً نحو المرأة المصرية ، فدانوا بأنها تسلك في الأسرة ما سلكت « إيريس » مع أخيها من إعادة الأمل المفقود وإرجاع السرور الضائع والتمكن من حل المعضلات والتخلص من المصائب والنكبات .

ويحدث المؤرخ هيرودوت اليوناني : إن أحد ملوك مصر وقع في شرك نصبه له أخوه الذي كان يطمع في الملك ، ولم ينج إلاّ بحيلة زوجته الذكية القادرة التي ضحت في سبيل نجاة زوجها بولدين من أولادها الأعزاء .

لهذا أجلّ المصريون المرأة وأنزلوها بينهم منزلة جديرة بالأذكياء الذين تقدرهم بيئاتهم فتعرف لهم بالتفوق والسمو .

ونقل ماسبيرو في كتابه القصص المصري القديم : إن الملكة طلبت من فرعون أن يذبح لها « باتوو » الذي كان على صورة ثور ، والذي كان يقدسه فرعون ، ويعتقد أن في ذبحه على مصر شراً مستطيراً ، ولكنه لم يستطع مخالفة زوجته المحبوبة وأن كان قد تألم في نفسه ألماً قد جرّ عليه مرضاً شديداً [١] .

وقال مونتسكيو : من المخالف لحكم العقل والطبيعة أن تكون النساء صاحبات الأمر في البيت ، كما كان ذلك عند المصريين ، ولكن لا يصح أن تكون حاكمة للمملكة ، ففي الحالة الأولى يكون ضعفهن مانعاً لهن من السيادة ، وأما في الحالة الثانية فإن ضعفهن بذاته يميل بهن إلى جانب اللطف والاعتدال ، وهذا أولى بجعل حكومة جيدة من الفضائل القاسية الخشنة [٢] .

---

(١) محمد غلاب : السياسة الاسبوعية سنة ١٩٢٩م ، عدد ١٩٦ .
(٢) مونتسكيو : اصول النواميس والشرائع .

وقال محمد البارودي : أليس مما يثير الدهشة أن المرأة عند قدماء المصريين منذ نحو الستين قرناً ، كانت تتمتع بمنزلة وحقوق تحسدها عليها مصرية اليوم .

وظل هذا مركزها حتّى حكم البطالمة في مصر ، فألقوا بها في قبضة الرجل وسلبوها أغلب حقوقها .

وبالرغم من الحقوق العظيمة التّي تمتعت بها ، ويحلم بها نساء هذا العصر ، وبالرغم من المساواة التامة التّي كانت موجودة ، كنت تلمس أن النساء في المرتبة الثانية يعترفن هن أو يشعرن أنهن دون الرجل (١) .

وقال المقريزي : بدور وقيل قدور هي امرأة مصرية ساحرة ، كانت في زمان دلوكة ، وكانت السحرة تعظمها وتقدمها (٢) .

وقال جميل بيهم : لم تكن الأمة المصرية جارية على سنة عهد الأمومة تماماً ، لأن شريعتها الوراثية لا تعترف بشيء من امتيازات ابن الأخت ، وثانياً لأن تشكيلها العائلي الذي بموجبه تسعى المرأة لدار الرجل فتكون مرؤوسة له ، هو يخالف مميزات ذاك العهد ، ثم لم تكن الأمة المصرية أيضاً على نظام دور الأبوة طبقاً ، لأن المرأة المصرية كانت مساوية للرجل في العائلة وخارجها ، فترث أسوة بأخوتها وتنتخب زوجها ، ومتى تزوجت يبقى لها الحق في التصرف والعقود .

فكان للمرأة المصرية القديمة في الهيئة الاجتماعية مثل حقوق الرجل ، حتّى في العرش ، فكان لها أحياناً نصيب منه ، وفي جدول ملوك مصر خمس ملكات وفضلاً عن ذلك فإنه كان لزوجات الفراعنة سلطة في سياسة بلادهم ، نافذة

---

(١) محمد البارودي : السياسة الاسبوعية سنة ١٩٢٧م ، عدد ٧٨ .
(٢) المقريزي : الخطط .

غير قليلة ، والابنة على العموم متى بلغت لا تصبح حرة فقط ، بل أنها تصير مديره لأموال وعقارات العائلة ، وقيل بأنها تمسي المكلفة الوحيدة في إعالة أهلها .

وذكر هيرودوتس أن نساء مصر كن يذهبن للمتاجرة في الأسواق في حين أن رجالهن كانوا يشتغلون في البيوت بنسج الأثواب .

هذا فضلاً عن أن رسوم قبور المصريين لا تزال ترينا كيف أن القرويات كن يشتركن مع الرجال بحرث الحقول والزرع والحصاد وسحب المواشي وغيرها من الأعمال الحيوية .

وأما المرأة في العائلة المصرية ، فما من أمة كمصر حققت من السلطة الفردية بالعائلة ، وأقامت الروابط الأهلية على قاعدة المساواة والتوازن ، فالوالدان لم يكن لهما سلطة واسعة على أولادهما ، إسوة ببقية مدنيات الأمم القديمة ، التي بلغ من بعضها منحهما حق الإحياء والإماتة .

كانت الإبنة المصرية إذا بلغت تصبح مستقلة بأمرها ، حتى إذا أرادت ان تتزوج يتوقف ذلك على رضى الزوجين فقط ، وكان المصريون قليلي الغيرة ، كثيري الزواج ، لا يهتمون بكتابة العقود متى اتفقوا على القران ، ويتم الزواج عندهم بين الأخ والأخت ، وأحياناً قليلة بين الأب والبنت ، ولكن على كل الأحوال ، كانت المساواة بين الرجل والمرأة تكاد تكون تامة .

وذهب بعض علماء الاجتماع إلى أن المرأة المصرية كانت هي والرجل على مستوى واحد في الحرية والمساواة ، فقال بيبل Bebel : إن اليونان وبينهم أهل أثينة البادئون في تمييز حقوق الرجل .

بيد أنه إذا دققنا في التاريخ ، نجد أن المساواة المطلقة ربما لم توجد في العالم قط بين الجنسين ، فهذه المرأة المصرية مع حفظها المنزلة الشريفة ما برحت

تحت سلطة الرجل ، فلقد شوهد بين نقوش المقابر ان احترام النساء كان بنسبة تقديسهن للحقوق الزوجية وأمانتهن لأزواجهن .

ومما يضعف فكرة المساواة على إطلاقها ، نظامهم وراثة العرش ، فإنه وإن كان للمرأة عندهم حق التاج ، إلاّ أن ذلك الحق ما كان ليتم لها إلاّ في فقد الوارث من الذكور ، ومع أن هذا النظام سُن قبل المسيح بثلاثة آلاف سنة ، حسب رواية ديودور فإن جدول ملوك مصر لم يذكر غير خمس ملكات إزاء اربعمائة وسبعين ملكاً .

هذا ومن أدلة ميزة الرجل عندهم أيضاً أن المرأة ولو ارتقت إلى العرش كانت تشعر بأنها في مقام هو للرجل وليس لها ، فإن الملكة هتشبوت التي حكمت قبل ١٥٥٠ سنة من المسيح كانت مجبرة على لبس ثياب الرجال مراعاة للرأي العام .

فإذاً فإن كل استقلال ومساواة ينسبان للمرأة المصرية هو نسبي ، والرجال كانوا قوامين على النساء [1] .

المرأة البابلية والآشورية :

بعد أن يتولى الكاهن الكلام ، فينزل على العروسين بركات الأرواح الصالحة ، ثم يقول مخاطباً العروسين :

« أما أنت أيها الرجل فلتكن هذه المرأة لك زوجة ، وأنت أيتها المرأة ليكن هذا الرجل لك بعلاً » .

---

(١) جميل بيهم : المرأة في التاريخ والشرائع ، ومن مصادر بحثه :
La femme dans l'histoire ; La condition de la femme ; La question feministe ; Herodote II, L. F. Sunsden : La femme .

ومنذ هذا الحين تلقى المشاغل المنزلية على عاتق المرأة ، فتكون حياتها جهاداً مستمراً بين زوجها وبيتها ، فهي التي تذهب في الصباح وفي المساء لإستقاء الماء إما من النهر أو من الآبار ، وهي التي تطحن الحبوب وتعجن وتخبز وتغزل وتحيك وتكسو البيت وتؤثثه ، وهذا مع ما يتراوحها من الحمل المستمر والإرضاع وهو يستمر ثلاث سنوات .

تكدح المرأة في الليل والنهار ، ولكنها تظل مع هذا حرة في الخروج إلى المدينة من غير رقيب ، فتشاهد في الشوارع مرتدية ثوبها الوبري المستطيل ، أو في السوق ، أو في الآبار العمومية .

أما المثريات من النسوة الكلدانيات اللواتي يقتنين الأرقاء لخدمتهن ، فإنهن لم يكن لهن من الحرية ما كان للنساء من الطبقة المتوسطة ، فلقد كان يبذل لهن كل ما كان في الإمكان اقتناؤه بالمال من أسباب الرفاهية وضروب الفخفخة ، أو كنّ يقتنين هذا كله لأنفسهن ، وإنما كان محتماً عليهن أن يظللن قابعات في خدورهن . وإذا اتفق لهن أن يخرجن واكبتهن مواكب من الوصائف والخصيان والحجّاب في صفوف متراصة بحيث يحجبون عنهن العالم الخارجي .

وأما نساء الملوك فكان نصيبهن من الاستعباد والرق أعظم ، فبينا كانت النساء في مصر يحللن من فرعون في المحل الأرفع . كانت نساء الملوك الكلدانيين في حجاب مستمر ، وكن لا يشاهدن أبداً إلى جانب أزواجهن من الملوك ، وإننا لنرى على الآثار المصرية أميرات جالسات على كرسي الزوج يعانقنه بتدله ووله ، بينما كانت زوجات الأمير الكلداني أو أمه أو شقائقه أو فتياته حتّى وصائفه أنفسهن محجبات غير منظورات ، فكانت دور الحريم لا تفتح أبوابها إلا في ما ندر .

كما أن أقارب النسوة المحجبات ، قلما كانوا يجرون لهن ذكراً في أحاديثهم . وأما الشعب فكان لا يبصرهن إلا لماماً ، وكان يعني بأن لا تكون

لهن مشاركة ما في الشؤون العمومية سواء أكانت من شؤون الدين أو من شؤون الحكومة .

وأما المرأة المتزوجة ، فإنها كانت تحت سيطرة زوجها المطلقة لا نجاة لها منه إلاّ بالموت أو الطلاق ، بل أن الطلاق كان بالنسبة إليها ضرباً من العذاب تحتمله صاغرة لا حقاً تتمتع به بحرية ، فكان الزوج يطلق زوجته متى شاء من غير اضطراره إلى مراسيم مزعجة . فلقد كان يكفي أن يقول لها : « أنت لست امرأة لي » ثم يرد إليها ما يعادل قيمة البائنة التي أخذها منها ، ويردها إلى أبيها .

أما إذا أخذ المرأة ذات حين سأم أوهاجها الغضب فقذفت زوجها بالعبارة الشرعية « أنت لست لي زوجاً » فإنها تطرح للحال في النهر وتغرق ، فإذا كفيت عقوبة الغرق ولم تورد موارد التهلكة ، أوردت موارد العار ، وذلك بأن ينزع الرجل الممتهن عن جسمها ثوبها الأبيض ويعيضها منه مئزراً ، ثم يطردها من منزله نصف عارية إلى الشارع ، فتكون غنيمة الملتمس وفريسة المفترس .

وكذلك العهر كان يعاقب عليه بالموت ، ولكن الموت بالسيف أو بقطع الرأس .

أما الواجب الأكبر المحتوم على المرأة أداءه فالإنتاج ، فإذا هي أبطأت في أن تصير أماً أو إذا تعذر عليها الأمر اعتبرت كأن لعنة نازلة عليها ، أو كأن بها مساً ، وفي مثل هذه الحالة يسرع بالخلاص منها تفادياً من نزول النكبات بأسرتها بسببها ، وهذا إذا لم تنجح فيها الرقي والطلاسم .

وإنه لموقف حرج من غير بد ، موقف مثل هذه المرأة المسكينة ، فلقد كان محتوماً عليها أن تظل خاضعة خائفة محتملة ضروب المهانة والذل غير

متذمرة ، عليها من الواجبات الشيء الكثير ، ولها من الحقوق أقل من اليسير ، أما الطلاق فخص به الرجل من غير أن يقيد فيه بقيد أو شرط في حين أن المرأة لم يكن جائزاً لها أن تبادره به ، أو تلتحق الخزي والعار [١] .

ذكر **Louis Frank** : إن البابليين كانوا يقيمون كل عام في المدينة أو القرية سوقاً ، فيذهب الفتيان إليها ويشترون نساء بالمزاودة في ثمنها ، لإدارة البيت والقيام بما تتطلبه الحياة الزوجية .

وكان والد الفتاة لا يستطيع أن يزوج ابنته حسب رغبته ، كما أنه يتحتم على الخاطب أن يكون قادراً على تأمين معيشة امرأته وإيوائها .

وينص القانون الآشوري القديم على تمييز حق الأم على الأب في تزويج فتاتهما ، كما أن الولد الذي يسيء إلى أبيه ، فجزاؤه جز شعر رأسه وحرمانه من الأرض والماء [٢] .

وقال ادي شير : كانت النساء في كلدو وآشور يتركن رؤوسهن بلا غطاء ويسدلن الشعر على الأكتاف أو يسترنه بغطاء طويل ينزل إلى الظهر ، وكانت نساء العامة يقضين زمانهن في الدكاكين والمخازن ، ويجلن في الأزقة بحرية ، مكشوفات الوجه لقضاء أمور بيتهن أو لاجراء وظيفتهن ، أما نساء الخاصة فلا يخرجن من البيت إلا نادراً ، وذلك للذهاب إلى الهيكل للصلاة أو لزيارة رفيقاتهن ولا يخرجن وحدهن ، بل يحاط بهن عبيد وجوار ، ويلبسن برقعاً يغطي وجههن وجسمهن .

---

(١) جان امل ريك : مركز المراة في قانون حمورابي والقانون الموسوي .
(٢) Louis Frank : L'éducation domestique des jeunes filles .

وكان تعدد النساء مباحاً عند الآشوريين والكلدان ، وكان عندهم الطلاق أيضاً ، والمرأة العاقر كانت مبغوضة عندهم ، ويتخذونها ملعونة بها شيطان ، فكانوا أغلب الأوقات يخرجونها من البيت كأنها نجسة [1] .

وتحدث جميل بيهم عن المرأة البابلية والآشورية ، فقال : كانت الشرائع عندهم لا تسوغ للوالدين ان يزوجا ابنتهما بمن صلح لها ، بل تقضي على العذارى البالغات أن يجتمعن كل عام حيث يبيعهن الكاهن بالمزاد العلني ، مشترطاً أن يتخذهن المشترون زوجات لهن . وإن وقع خلاف بين الزوجين ، كان على ولي المرأة إرجاع ثمنها قبل الافتراق ، وكان محتوماً على كل امرأة أن تأتي مرة واحدة في حياتها إلى هيكل ميليتا ربة الجمال لتبيح نفسها إلى أجنبي ، فكنّ يجلسن في الهيكل صفوفاً ، وبينهن طريق يمرّ فيها الغريب قصد الانتقاء ، فإذا أعجبته إحداهنّ رمى قطعة فضية عند قدميها ، وقال لها : إنني أتوسل من أجلك إلى ميليتا ، فتقبل الهدية المقدسة وتتبعه ، وإن كان حقيراً قبيحاً .

وكان لا يسوغ لمن دخلت الهيكل أن تعود إلى منزلها قبل القيام بهذا الفرض الديني ، وبسبب ذلك كانت القبيحات قد يبقين في الهيكل منتظرات سنين محرومات من أزواجهن وأولادهن .

ومع ذلك فقد لوحظ في الشريعة الآشورية بين المواد المستعارة من الأكاديين القدماء ٢٥ إلى ١٨ قرن ق . م ، آثار ميزت الأمهات على الآباء ، من ذلك إن الولد الذي يزرى بأبيه يدفع جزاء نقدياً ، ولكن إذا أهان أمه يحلق رأسه ويمنع عنه الغذاء وأحياناً يلقى في غيابة السجن المظلم [2] .

---

(١) ادي شير : تاريخ خالد وآشور .
(٢) جميل بيهم : المراة في التاريخ والشرائع ، ومن مصادره :
La question feministe, M. A. Riquir, Histoire Ane. Orient .

هذا كان مركز المرأة في ذلك العهد العريق بالقدم ومثل هذه الحالة لم يكن في الإمكان أن تدوم وهذا ما أهاب بالملك حمورابي مؤسس الدولة البابلية الكلدانية الأولى ، فسن لشعبه سنة جديدة ، ووضع له نظاماً صان به الحقوق المتجاهلة أو المهضومة ، وراعى حقـــوق الزوجات ، فكان الشارع الأول في العمل الإنساني العظيم ، عمل تحرير المرأة [1] .

ودولة حمورابي أو الدولة البابلية الأولى التي دامت من سنة ٢٤٦٠ ق . م حتى ٢٠٨١ ق . م ، وتاريخها وآثارها تدل دلالة واضحة على أنها من الأمم الحية التي خدمت التمدن الإسلامي خدمات جمة ذات فائدة للمجتمع البشري ، وكانت من واضعي ومؤسسي شرائع بني الإنسان ، شرعت في عصور منتشر فيها الجهل والغباوة وكانت مفخرة من مفاخر الأمم الغابرة .

ويحتوي قانون حمورابي على مواد شتى تبحث في المشاجرات والمنازعات من ضرب وجرح وفي حقوق الأطباء والمهندسين حتى الأرقاء وغيرها من معاملات بني الإنسان ، ونكتفي هنا بأن نورد بعض المواد المتعلقة بالمرأة .

كان الزواج بامرأة واحدة قاعدة مقررة مبدئياً بمعنى أنه كان لا يسوغ لأحد أن يكون له غير امرأة واحدة شرعية ، أما الزواج فعقد لا مندوحة عن تثبيته بوثيقة مكتوبة وإلا اعتبر لاغياً ، إذ لا تعتبر المرأة التي تؤخذ سفاحاً ومن غير كتابة عقد زوجة .

وإذا نزلت بالزوجة الشرعية عاهة ، وطمحت عين زوجها إلى الاقتران بأخرى ، جاز له أن يفعل ، وإنما لا يجوز له على الإطلاق إقصاء امرأته ، بل

---

(١) جان امل ريك : مركز المراة في قانون حمورابي والقانون الموسوي .

تبقى في منزله ويتولى إعالتها ما حييت (المادة ١٤٨) ، أما إذا هي لم يرق لها البقاء في كنف زوجها ففي إمكانها أن تغادره بعد استردادها بائنتها .

وتقول المادة ١٤١ : تساق إلى المحاكمة المرأة المقيمة في منزل رجل ، إذا هي همت بالانصراف أو أحدثت شقاقاً ، ثم أو تسببت بخراب البيت أو غادرت زوجها ، فإذا قال الزوج : « أنا أخرجها » فإنه يخلي لها السبيل للانصراف ، ولا يبذل لها شيئاً في مقابل صرفه إياها ، أما إذا قال الزوج : « أنا لا أصرفها » فإنه يصبح بإمكانه أن يتزوج امرأة أخرى مع بقاء الأولى في بيت زوجها كخادمة .

وللمرأة أيضاً حق بأن تتخلى عن زوجها بالطلاق ، غير أن هذا الحق ينحصر في نطاق ضيق جداً ، فإن المادة ١٤٢ تقول : إذا مقتت المرأة زوجها وقالت له : لن تملكني » ينظر في أمرها ، ويكون لصاحب القضاء الكلمة الفاصلة ، فإذا تبين أن الخطأ من جانب الزوج أمكن المرأة أن تعود إلى بيت أبيها بعد أن تسترد بائنتها ، لأنها لا جناح عليها ولا إثم ، أما إذا كان الخطأ من جانبها فإنها تلقى في الماء .

أما في حالة الزنا فإذا أخذ المجرمان متلبسين بجريمتهما ، فإنهما يشد وثاقهما معاً ويغرقان ، إلا إذا رأى الزوج مثلاً أن يعفو عن زوجته أو الملك عن رعيته (المادة ١٤٩) أما إذا لم يؤخذ المجرمان متلبسين بالجريمة فعلى المرأة التي يتهمها زوجها أن تبرر نفسها بإغلاظه اليمين ، ثم تستطيع بعد ذلك أن تعود إلى بيت أبيها ، فإذا تناولتها الألسنة بالإشاعات المتضاربة والتهم المريبة ، فإنها تغطس في نهر ، فإذا غاصت إلى قاعه اعتبرت مجرمة ، وإذا عامت على وجه الماء اعتبر ذلك دليلاً على براءتها بشهادة ألوهية النهر .

ثم أقر بعض مواد هذا القانون الذي نحن في صدده إشارة إلى ملك النساء اللواتي أخذ أزواجهن أسرى حرب في هذا الموضع أيضاً نجد أن المرأة خولت

حرية متناهية . فالمادة ١٣٤ تقول : « إذا أخذ رجل أسير حرب ، ولم يكن في منزله قوت وخرجت المرأة بنية الدخول إلى منزل آخر فلا جناح عليها » .

وتنص المادة ١٣٥ من هذا القانون على أن المرأة إذا رزقت في حالتها الجديدة أولاداً في المنزل الثاني ، ثم عاد زوجها إلى البلد ، فإن المرأة تعود إلى زوجها الأول ويتبع الأبناء آباءهم .

ثم أن آخر ما استدركه المشرّع في هذا الصدد مسألة الإهمال والتخلي الطوعي ، فقد ورد في المادة ١٣٦ قوله : « إذا غادر رجل بلده ولاذ بالفرار ، ثم دخلت زوجته مسكن رجل آخر ، فإنها لن تعود إليه إذا عاد بل تبقى حيث هي » .

أما العذراء فكان محتوماً عليها أن تظل على عزوبتها ، ولم يكن يسوغ لها أن ترزق أولاداً ، وإنما كانت متمتعة بتمام الاستقلال ، فإذا منحها أبوها جهازاً كان لها حق التصرف بجهازها على نحو ما يروق لها بملء حريتها ، ولا يسوغ لإخوتها أن يطالبوا بتركتها ، وهي على العكس من ذلك فهي ذات حق في أن تطالب بحصتها كأحد الأولاد ، ولكن كل ما لها من هذه الحصة حق التمتع فقط ، فيتولى اخوتها استثمار ذلك النصيب أو الحصة ويمنحونها ما تعتاش به عيشة راضية ، فإذا لم يكن لها اخوة اتخذت مزارعاً ، وأما حصتها فتخفض إلى ثلث حصة الولد الشرعي .

والمرأة المترملة تسترد جهازها وبائنتها ، ويمكنها البقاء في منزل زوجها المتوفى ، وتكون لها الوصاية على أولادها القصّر ، وفي هذه الحالة ترصد لها من ثروة المتوفى المنقولة حصة كأحد الأولاد ، ولو أن المتوفى لم يخصها بهبة وإن في استطاعةالمرأة إذا شاءت أن تتخذ زوجاً جديداً ، ولكن إذا كان لها

أولاد صغار السن ، فلا بد لها من استئذان رجل الشرع الذي ينظر في ما خلفه الزوج الأول ، وليبينه بحيث لا يكون في استطاعة الزوج الثاني أن يمد إليه يداً .

وقصارى القول ان شريعة حمورابي قد حددت شرائع مختلفة ذات قيمة في عالم التشريع ، فتناولت المرأة وأبانت عن مركزها في المجتمع وخولتها حقوقاً وواجبات وأحكاماً قد أوردنا بعضها في هذه العجالة .

المرأة في فارس :

وصارت المرأة الفارسية مثل حال المرأة الآشورية في أواخر دولة آشور ، فبلغت الانحطاط التام ، حتّى قيل : ان الفارسي له حق التصرف بها كأنها سلعة تشترى وتباع ، وان له حق الإماتة والإحياء .

ومما يؤيد إهمال المرأة في العالم الفارسي ، ما ذكره كزينوفون ، لما بحث عن التربية والتعليم في فارس ، فقد أغفل ذكرها ولم يورد شيئاً عن تربية البنات وتعليمهن ، لإهمالهن في المجتمع وقرارهن في دورهن محتجبات عن العالم الخارجي .

ويمكن القول إن المرأة الفارسية كانت وقتئذ شبيهة كل الشبه بالهندية والصينية معاصرتها من حيث الرق والاستعباد [1] .

وذكر أحمد آجيف : انه في الأدوار الطبيعية (كالحيض والنفاس) المشهورة التي تحدث للمرأة ، كانت نساء الفرس يبعدن عن المنازل ويقمن في خيام صغيرة تضرب لهن في ضواحي المدينة أو البلدة ، ولا يجوز لأحد

(١) جميل بيهم : المراة في التاريخ .

مخالطتهن قطعاً ، وتعرف تلك الخيام المخصصة لإقامة النساء في أيام الطمث باسم « أخمى » حتى أنه كان يجب على الخدم الذين يعهد إليهم تقديم الطعام والشراب لهن أن يلفوا مقدم أنوفهم وآذانهم وأيديهم بلفائف من القماش الغليظ ، وكانوا يتحفظون بمثل هذا التحفظ لأنهم كانوا يعتقدون أنهم يتنجسون إذا مسوهن أو مسوا الخيام أو الأشياء المحيطة بهن حتى الهواء ، وكانوا يكرسون بنات الأشراف والملوك للآلهة أناخيد المشهورة حيث كان كهنتها يتممون عليهن بعض الفروض المخصوصة ويعدونهن بتعاليم خاصة إلى الزواج .

وأما بشأن حقوق المرأة ومركزها في العائلة ونسبتها إلى زوجها ووالديها فحدث ولا حرج ، فإن النساء كن في بلاد فارس تحت سلطة الرجل المطلقة الذي كان يحق له أن يحكم عليها بالموت أو ينعم عليها بالحياة طبقاً لما يراه وتطيب له نفسه ، وبوجه عام فإنه كان يتصرف بها كما يتصرف بسلع وأدوات بيته (١) .

ومن الأمثلة الفارسية ، مثال يصف المرأة بأنها أحد أصول الجرائم الثلاث وهي الأرض والمرأة والذهب (٢) .

المرأة الفينيقية :

من النساء من كن يلقين أولادهن في النيران المتأججة والملتهبة ، وذهب روسلر إلى أن منزلة المرأة عند الفينيقيين كانت منحطة .

وكان يغيب الرجال فيرحلون إلى بلاد مختلفة ، فيقضون وقتاً طويلاً في

---

(١) احمد آجيف : حقوق المراة في الاسلام .
(٢) Cecil Walsh : Moeurs Criminelles de L'Inde .

الرحلات والأسفار ، مما يدفع النساء لأن يقمن مقامهم في تدبير شؤون البلاد على اختلافها من عائلية وداخلية وخارجية [1] .

المرأة في الهند :

من أوثق المصادر التي تبحث عن المرأة الهندية ومركزها في المجتمع الهندي ، هو مذهب فيديا الذي خلف الديانة البراهمية .

كان الفيديون يعتقدون بأن للآلهة الرئيسيين زوجات يوقرونهن كل التوقير ، غير أنهم لا يعتبروهن بمنزلة الآلهة أنفسهم ، على أن مجمل معتقداتهم دلت على ميزة الرجل ، كحرمان المرأة من الاشتراك في الطقوس الدينية وتقديم الضحايا فيها .

وبالرغم من شيوع تعدد الزوجات ، كما يلاحظ في « مهابهاراتا » التي تعد من أقدم المنظومات للآريين ، فهي تصرح بأن النساء اللاتي كن في البيوت الملوكية ، لم تكن في منزلة رفيعة فقط ، بل هي استقلال تام ، حيث كانت منزلة الأم وسلطتها عظيمتين ، ويجب على المرء أن يطيعها طاعة عمياء .

ومن يدرس شرائع مانو يجدها تحرص كل الحرص على الدعوة إلى الزواج وإكثار النسل ولا سيما الذكور منه ، ولما كانوا يعدون العقم من المصائب ، وضعت تشاريع أو تعاليم لتداركه بطريقتين غريبتين ، أولاهما ان العقيم من الذكور ، إن كان له ابنة يسعى لزواجها على أن يكون مولودها الذكر ابناً له ، والطريقة الثانية إن كان غير صالح للأولاد ، فعليه أن يستولد امرأته من أحد إخوانه وأهله .

---

(١) جميل بيهم : المراة في التاريخ والشرائع .

ولنفس الغاية قضت الشريعة على الرجال بالزواج الباكر ، حتّى أنه أصبح عندهم من العار والمشين ، عدم اقتّران من يبلغ الثانية عشرة من العمر .

ولمثل هذه الغاية أيضاً قضت شريعتهم على أولياء البنات أن يبادروا لتزويجهن حتّى قبل أن يبلغن سن الثامنة ، وإذا مضى على استعداد البنت وأهليتها للزواج ثلاث سنوات ولم يزوجها وليها ، فلها أن تخرج عن طاعته وتختار من تشاء عقوبة له ، وإذا ماتت الزوجة فعلى بعلها أن يتزوج حالاً بدون تريث ومشورة أحد .

غير أنه مما يستغرب في هذا الشأن ، مناقضة تلك الشريعة سنتها هذه فيما لو كان الميت البعل دون الزوجة .

فإنها على ما هي عليه من الترغيب تقضي والحالة هذه على الأرملة بأن تبقى عزباء متقشفة حزينة ، ويجوز لها أيضاً أن تحرق نفسها .

وأما مركز المرأة الهندية قديماً فالإبنة ملك أبيها ، وهو حر مطلق التصرف فيها ، وإذا تزوجت أمست عبدة طول حياتها لزوجها ، وإذا مات صارت تحت وصاية أبنائها ، وإذا لم يكن لها أبناء فأقرباء زوجها .

وبالإجمال فهي عندهم غير نقية بالفطرة ، ولا طاهرة إلى حد أنها إذا ولدت فهي والذين يسكنون معها ، ومسكنهم أيضاً يعتبرون غير طاهرين خلال عشرة أيام من ولادتها .

كما لا حق لها أداء الشهادة ، وأملاكها تكون تحت مطلق تصرف زوجها ، ويجوز له أن يتخذ عدداً من السراري للذاته وقضاء عنان شهوته متى شاء وأراد .

على أن بعض الباحثين منهم ب . أوكستن روسلر دافريل ، قد خالفوا ما قيل : بأن شريعة مانو تقضي باستعباد المرأة .

ويمكن القول بأن الشريعة المذكورة مع عدم مساواتها مع الرجل وانحطاط مقامها عنه ، فإنها لم تستعبد كما استعبدتها عوائد ذلك المجتمع البشري ، بل أوصت بها خيراً ، ولا سيما مقام الأم وكرامتها ، حيث منحت تلك الشريعة حق مراقبة نيران الأضاحي الدينية وتوزيع الحسنات واستقبال الضيوف تكريماً لشأنها ورفعة لمقامها .

أجل إن انحطاط المرأة في الهيئة الاجتماعية البرهمية قديم فكانت عبدة للرجل ، ولا يجوز لها أن تكلمه إلا باحترام ، ولا أن تؤاكله على مائدة ، بل ولا أن تتجرأ أن تلفظ اسمه .

وبلغ الإفراط في امتهانها انهم صاروا يحتقرون الرجل الذي يحادث زوجته محادثة عائلية والنساء أنفسهن بتن يمتهن بعلاً كهذا ، بل بلغ منهن ان الأرامل استسلمن لعادة هي من ضروب الجنون لبث حزنهن على فقد بعولتهن ، وهي الاحتراق عمداً بالنار بعد موتهم [1] .

وقال بعضهم : ان المرأة في الأمم الآرية قد مثلت دوراً مهماً في الهند ، وربما كان ذلك اقتباساً مما عند معاصريهم السوميريين ، على أن ذلك العهد انقضى بفتوحات الآريين بلاد الهند ، وطمست رسومه منذ ١٠٠٠ سنة قبل الميلاد .

فقد جاء في شريعة الفيدا : ان جد البشرية أورث النساء منزلة حقيرة تاعسة ، فلم يكن لهن شأن وحسبهن جاهلات تاعسات ، مجردات عن الفضيلة وليس لهن نفوس خالدة ، فقضى ذلك عليهن قضاء مبرماً فلم تظهر فيهن شخصية بارزة في الهند على الإطلاق .

---

(١) جميل بيهم : المرأة في التاريخ والشرائع ، ومن مصادر بحثه : حالة المرأة للوترنو ، التاريخ الاخلاقي للنساء ، والقضية النسائية .

وجاء في الفيدا : لما خلقهن مانو وهبن حب الفرش والحلى والشهوات والغضب والغدر والفجور ... ولا مراء في كونهن نجسات كاذبات ، وغرض أغراض المرأة إغراء الرجل على الفعلة الشنعاء . . . فالمرأة . . . لا تصلح للاستقلال .

هذا أس الدين البرهمي ، وعليه شيدت تعاستهن ، وان زواج الأطفال وشقاء الأرامل ، وهي أمور طبيعية في هيئة اجتماعية وظيفتهن في النسل .

وقد يحسب ما حل بهن قليلاً في جانب كونهن شريرات دنيئات وعقبة كأداء في طريق السماء [1] .

وذكر بعض الباحثين : إن الفكرة الأصلية في العبادة المندية ، انها يجب أن تكون من رجل متزوج ، وكانت تؤمن الزوجة ويعهد إليها بالمحافظة على الأواني المقدسة وتكلف المرأة بوضع الترانيم والصلوات التي تقوم بها الرجال ، وكان للزوجة شأن في الأعياد الدينية ، فكانت تعد شريكة زوجها يجلها إجلالاً غير مبتور ويهبها ثقته غير منقوصة .

وذكر **Louis Frank** : إن قانون مانو قد نص على وجوب الفتاة الصبية والمرأة المتقدمة في السن ،أن لا تمارسا إرادتهما الخاصتين حتى في شؤون منزلهما ، إلا بعد الموافقة والرضا من قبل الأب أو الأخ ، كما يجب على الفتاة أن تقوم بخدمة أبيها بكل احترام ، وأن تثابر على ذلك حتى بعد وفاته ، كما يجب عليها أن تكون ذات مزاج حسن ، وأن تدبر شؤون البيت بكل حذق ومهارة ، وأن تحافظ على أثاث البيت وفرشه ، وأن لا تسرف في الإنفاق عليه [2] .

---

(١) مجلة الاخاء ٥/٣٢٢ – ٣٢٣ .

(٢) Louis Frank : L'éducation domestipue des jeunes ftlles .

وكان الهنود يعتقدون أن زوجة الخالق متحلية بميزات الحكمة وسداد الرأي وقوة الابتكار وسعة التخيل ويعدونها حامية الفنون الجميلة وربة الموسيقى والبلاغة (١) .

وجاء في المقتطف عن حال الأرامل في الهند ما يأتي : كانت عادة الهنود الوثنيين حرق نساء الموتى مع جثثهم إذا أردن الحريق، ولعل أصل عادتهم هذه ما ورد في كتبهم الدينية وهو «يحسن بالزوجة أن تلقي نفسها على الحطب المعد لإحراق جثة زوجها فكانوا إذا وضعوا الجثة على الحطب تتقدم الزوجة مبرقعة فيميط البراهمة (الكهان) برقعها وتنزع حلاها وزينتها عنها ، وتوزعها على أقاربها وذويها ، ثم تفك ضفائرها ويأخذ كبير البراهمة بيمناها ويدور بها حول الحطب ثلاثاً ، ثم ترقى على الحطب فترفع رجلي زوجها إلى جبهتها إشارة إلى خضوعها له وتتحول فتجلس عند رأسه واضعة يدها اليمنى عليه ، فيضرمون النار ويحرقونها مع جثة زوجها ، وهم يزعمون أن ذلك يورثها النعيم مع زوجها فتقيم معه في السماء خمسة وثلاثين مليون سنة وهي عدد الشعر في جسد الإنسان .

وإنها تطهر بموتها هذا أهل أمها وأهل أبيها وأهل زوجها وتطهر زوجها أيضاً من كل ذنوبه ، ولو كان قد قتل في حياته صديقاً حميماً أو برهمياً (كاهناً) تقياً وتصير من أطهر النساء وأشرفهن اسماً وأحسنهن صيتاً .

وشاعت هذه العادة عندهم شيوعاً عظيماً حتى أحرقوا نحو ستة آلاف امرأة في عشر سنين من ١٨١٥ – ١٨٢٥ م ذلك كله ، والانكليز يخشون أن

---

(١) البلاغ الاسبوعي عدد ١٨ يونيه ١٩٣٠م.
انظر :
C. K. Fermichi : La pensée religieuse de l'Inde avant Bouddha .

يتصدوا لهم حتّى رسخت في البلاد قدمهم ورأوا أن هذه العادة الفظيعة قد تفاقم خطبها فألغوها من ولاية البنغال ١٨٢٩ م ومن غيرها من ولايات الهند ١٨٣٠ م ، ولم يبق لها أثر إلاّ حيث تجري تحت طي الخفاء أو حيث لا سطوة للانكليز ولا اقتدار .

غير أن إلغاءها إنما خفف عذاب الأرامل ظاهراً ،فلم تزل العوائد هناك على ما كانت عليه من تشديد الكرب وتعظيم البؤس والشقاء على الأرامل ، فإذا صدق الكتبة فالهنود يرون الذل والضنك لأراملهن شريعة والابتعاد عن العز والراحة طبيعة ، وحجتهم في ذلك نص ورد في كتابة مشترعهم مانو قبل المسيح بخمسمائة سنة ، حيث قال : « والزوجة يجب أن تذلل جسدها بالاقتصار على أكل الجذور والأزهار والأثمار وأن لا تتلفظ باسم رجل بعد موت سيدها ، وأن تغضي عن كل سيئة تصيبها وأن تعمل أشق الأعمال وتجتنب كل ملذة من ملذات الجسد ، وتمارس الفضائل التي يمارسها اللواتي لا يقترن إلاّ ببعل واحد ، فكل امرأة فاضلة تعيش بالزهد والتقوى تصعد إلى السماء ، وكل امرأة تستهين بزوجها فتقترن بغيره بعد موته فما نصيبها إلاّ الذل والهوان في الدنيا والطرد من عرش سيدها في الآخرة .

واستنبط كهانهم عذابات شتّى لهن أخفها في ولاية البنغال ، حيث قد تلطفت عوائد الهنود كثيراً وأشدها في الولايات الشمالية الغربية ، حيث لم تتلطف العوائد إلاّ قليلاً .

ففي الولايات الشمالية الغربية ، فالأرامل يكن في ضنك أشد كلما علا مقامهن بين قومهن قبل ترملهن زاد احتقارهن وامتهانهن بعده ، فالعادة عندهم أنه حين يموت الرجل تبعد امرأته عن أهلها وأقاربها وأصدقائها ، كأنها جنت ذنباً كبيراً ، فصار الدنو منها يدنس الداني [1] .

---

(١) مجلة المقتطف ١١/١٣٢ ــ ١٣٧ .

وذكر Westermarck : إن المرأة يجب عليها حسب ما جاء في الشريعة البراهمية ، أن تكون خاضعة في طفولتها لأبيها ، وفي صباها لزوجها ، وبعد وفاته تخضع لأولادها ، أي لا يجب أن تكون المرأة مستقلة حتى في بيتها الخاص ، فلا يسمح لها بأن تعمل شيئاً باستقلال منها .

وبعبارة أخرى فيجب على المرأة أن تطيع الرجل الذي يهبها أبوها إليه ، وأن لا تأتي بعمل يسيئه .

وكما أن المرأة التي تظهر بمظهر غير لائق ومحترم نحو زوجها ، كأن تكون سكيرة أو مريضة ، فتهجر لمدة ثلاثة أشهر وتحرم من تزينها ، وتجهيزها بالألبسة .

وإذا أطاعت الزوجة زوجها ، فتثاب في عالم السماء . وبالعكس فإذا قصرت في واجباتها نحوه ، فتعاقب فيه ، وأنها تتقمص بعد موتها بشكل ابن آوى ، ويلاحقها المرض بسبب ما ارتكبته من خطيئات وسيئات [1] .

وخلاصة ما قاله Louis Frank : إن المرأة في المجتمع الهندوسي كانت تقضي كل حياتها وهي خاضعة لسلطة أبيها وزوجها وأسرتها [2] .

وحدث محمد قطب الدين أحد الباحثين في الهند فقال : لقد جابهت المرأة الهندوسية حقبة من الزمن كانت فيها كالسلعة تباع وتشترى في الأسواق ، بعد أن تتدنس من كثرة الأيدي التي تتداولها ، وان تكن عادة

---

(١) Westermarck : L'origine et le développement des idées morales .

(٢) Louis Frank : L'éducation domestique des jeunes filles .

وأد البنات لم يعرفها الهندوس ، فقد عرفت بينهم عادة أشد منها ضرراً وفتكاً وهولاً ، هي إحراق الأرملة عند موت زوجها .

ولقد لبث الانكليز يكافحون هذه العادة ويعاقبون مرتكبيها عقاباً صارماً شديداً حتّى زال قتامها المظلم عن أفق الهند المشرقة .

فمن العقبات الّتي تصطدم بها الفتاة الهندية منذ النشأة الأولى ، هذا الاعتقاد الفاسد ، وهو ان ولادة البنت شؤماً يلحق العائلة بأسرها إلى جانب ذلك اعتناء رب الأسرة وعائلها بحالة الصبي وتفضيله على البنات اتباعاً للفكرة الشرقية الخاطئة والمتمثلة في أن الرجل سيد المرأة وأنها أسيرته مدى الحياة .

وهنا نقطة أخرى أشد ضرراً ، عادة تزويج الفتيات في سي الحداثة أي في سن الخامسة والسادسة من العمر ، فقد دلت الإحصاءات الأخيرة على أن في الهند أكثر من ستة وعشرين مليون أرملة ، ذلك أن العادة القبيحة المتبعة هو أن تظل المرأة أرملة مدى الحياة ، وليس أشد روعاً من أن تعلم بأن الهند تحتمل حتّى اليوم ما يزيد عن خمسة عشرة ألف طفلة من الأرامل ، وأربعمائة ألف فتاة من الأرامل اللواتي لا تزيد سنهن عن الخمسة عشر ربيعاً . بينما يختلف سن الباقيات من هذا الجيش الزاخر بين أعمار مختلفة .

وقد تكون الأرملة مثار عار بالغ للأسرة ، فتظل في أهلها بغيضة منبوذة إلى الأبد ، ينظر إليها بعين الاحتقار والازدراء ، بل أنها لهوان شأنها وتفاهته لا تأكل إلاّ وجبة واحدة في اليوم ولا تتشح إلاّ قميصاً واحداً ، وقد لا تنام إلاّ على الحصير مكلفة بأداء العمل الشاق في المنزل ، وقد تحلق رأسها مبالغة في الدلالة على أنها أرملة . بينما يزيد في حاجتها وفي إعسارها ان قانون الأحوال الشخصية يمنعها من أن ترث زوجها وأن تملك لنفسها بعض تراثه .

وإذا حق لنا أن نقسم حياة المرأة الهندوسية إلى ثلاثة أدوار ، لوجدناها في الدور الأول ، وهي تجتاز مرحلة الطفولة بعقد عليها دون أن تفهم معنى العقد أو النكاح ، وقد يكون ذلك في الخامسة أو السادسة من العمر ، فإذا اجتازت الدور الثاني ، وهو يشمل حياة الزوجية لرأيناها سلعة عند زوجها ، له أن يأمر وعليها أن تطيع ، ينفذ إرادته عليها كما ينفذها على أشتات خدمه وأتباعه جميعاً ، وإذا قدر لها أن يختفي زوجها من أفق حياتها ، فهناك الدور الثالث الذي تجتازه أرملة شقية معذبة إلى أن تقضي نحبها ، وقد تقضيه هماً وكمداً .

على أن المرأة الهندوسية اليوم تعيش في ظل آخر ، فقد بدأت تحطم القيود وتكسر الأغلال التي صفدت بها من أمد بعيد لتخرج منها حتى تصل إلى تحقيق ما تنشده من مساواة .

فمنذ عشر سنوات (أي منذ ١٩٢٢ م) بدأت وثباتها إلى التحرير جريئة ، فقد ظهر من نتيجة تقرير لجنة التعليم عام ١٩٢٩ م ان عدد المتعلمات يساوي اثنين في المئة من مجموع السكان ، وإن نسبة المتقدمات إلى البكالوريا فتاة إلى كل أربعة وثلاثين تلميذاً ، وفي الجامعات ان نسبة الفتيات هي تلميذة في ثلاثة وثلاثين تلميذاً ، وهذه ظاهرة لم تعرف من قبل .

وإلى جانب هذه الوثبة التعليمية ، نرى أن في الهند مئات الألوف من النساء اللواتي يعملن في مختلف الصناعات ومتباين الحرف ، وقد دل الإحصاء الأخير (أي حوالى ١٩٣٢ م) على أن أكثر من ربع مليون امرأة يشتغلن صانعات في معامل النسيج في مقاطعتي البنغال وبمباي ، هذا غير اللواتي يعملن في المناجم لاستخراج المعادن والزيوت ، أما في الزراعة ، فهناك أكثر من ربع مليون فتاة يعملن في الحقول ، وذلك في مقاطعة أسام وحدها ، أما في جنوب الهند فإن المرأة الهندية تعمل إلى جانب الرجل ، فهي تشتغل في زراعة الأرز وفي

صنع الحرير والصوف والفخار ، كما يعمل بعضهن في داخل المصانع لنقل الأدوات من مكان إلى مكان آخر أو في بناء المساكن والعمارات ، وان الأجر الذي يتناولنه حيال هذه الأعمال الشاقة أجر تافه زهيد لا يذكر إلى جانب الأجر الذي يتناوله الرجل .

وإذا عرفنا ان أكثر من ثلاثة أرباع السكان في الهند لا يسكنون غير الأرياف ، وأنهم لا يعملون إلا في الزراعة ، أدركنا مقدار شقاء المرأة الريفية وتعاستها ، فإن حياتها حافلة بالمحن والآلام ، لأنها حياة مزدوجة ، فعليها أن تعمل صباحاً إلى جانب زوجها في زراعته وأن تؤدي في المساء شؤون المنزل من طهي ونظافة ورعاية أطفال .

وإن غاندي قال : « إذا خطر لمؤرخ أن يكتب اليوم عن الهند الحديثة سفراً جديداً ، كانت المرأة أول كلمة تخط في هذا السفر » .

ولن ننسى ان ثلاثاً من فضيلات سيداتنا قد اشتركن اشتراكاً فعلياً في مؤتمر المائدة المستديرة الذي عقد في قصر « سانجيمس » في العام الغائب (١٩٣١ م) .

ولن ننسى ان مائتين وثمان وستين ألف امرأة قد اكتسبن حقوقهن الانتخابية ، وأن بعض المقاطعات الهندية قد انتخبت جماعة من فضليات السيدات ليكن نواباً يتحدثن باسم الهنود في المجالس النيابية البلدية وفي مجالس التشريع .

ولن ننسى أن نضيف إلى ذلك كله اندور القضاء اليوم في الهند تزدحم بعدد ضخم من القاضيات والمحاميات ، وأنهن يقفن مع الرجال جنباً إلى جنب في حراسة العدالة وبسط نفوذ القانون .

أما عن الجمعيات النسائية ، فهناك أول جمعية نسائية أسست في الهند عام

١٩١٧ م ، وكان الغرض الذي ترمي إلى تحقيقه هو ترقية تعليم الفتاة ومطالبة الرجل بحقوق المرأة ومساواتها في كافة الحقوق المدنية .

على أن هذه الجمعية ليست وحدها كل ما في الهند من جمعيات نسوية ، فإنها اليوم تزدحم بما يزيد عن سبعين جماعة موزعة على ولاياتها جميعاً .

وقد عقدت هذه الجماعات أربع مؤتمرات نسوية جامعة في مختلف أنحاء الهند كان الغرض منها رفع مستوى التعليم وتذليل الصعوبات التي تلقاها الفتاة الهندية في مراحله .

وقد توالت التبرعات على المؤتمرات من كافة الجهات يحوطها التشجيع الحماسي الرائع .

وإني لأذكر على سبيل الفخر ما تبرع به نظام حيدر آباد فقد ساعد المؤتمر النسوي بخمسين ألف جنيه ليواصل جهوده في سبيل التعليم ومنع زواج الأطفال وتعدد الأزواج وحفظ حقوق المرأة في الميراث [١] .

وكان غاندي يعتبر المرأة أكبر عامل يستطيع أن يؤثر في الرجل ، ولذلك تراه يعلق أهمية عظمى على تعضيد النساء له في حركته لما يعلمه عن تأثيرهن في أولادهن ورجالهن [٢] .

وقالت السيدة ساروجيني نايدو زعيمة النهضة النسوية في الهند وكبيرة الشاعرات هناك ، وقد مثلت الهند في المؤتمر النسوي الدولي في برلين ، وأنها تعلمت في حيدرآباد أولاً وفي كلية جرتون بجامعة كمبردج ثانياً :

---

(١) محمد قطب الدين : مجلة الاخاء ١٩٣٢م / ٦٩٤ – ٦٩٨ .
(٢) المصور ١٩٣٠م ، عدد ٢٩٤ .

إن تاريخ النهضة النسوية في الهند يرجع إلى العهد الواقع بين ألفي سنة قبل الميلاد إلى خمسمائة وألف سنة قبل الميلاد أيضاً بدليل ما جاء في « الاريانز » أو دائرة المعارف الهندية التي كتبها « بانيني » الهندوسي من أنه وجدت في هذا العهد شاعرات وفنانات وموسيقيات، وأن المساواة بين الرجل والمرأة كانت تامة.

وكان يطلق على الزوج اسم « باتي » أي سيد ، وكان يطلق على الزوجة اسم « بانتي » أي سيدة تدليلاً على وجود هذه المساواة .

ولا تعتبر إجراءات الطقوس الدينية تامة إلاّ إذا اشتركت المرأة فيها مثل الرجل تماماً حتى في وضع الترانيم الخاصة بها ، وقد قال سيرراما وامي كبير المحامين في مدراس في كتاب له عن النهضة النسوية الهندية إن الفضل الكبير في وضع معظم الترانيم الدينية راجع إلى هنديات في مقدمتهن « لوبا مودرا » و « ليلا فاتي » التي تفرغت بعد ترملها وهي في عنفوان شبابها لدراسة الفلسفة والرياضيات ، وقد ألفت كتاباً في الحساب له مكانة كبيرة في معاهد التعليم حتى اليوم .

وتلقى فاراها ميترا زعيم الفلكيين في الهند القديمة علم الفلك على السيدة « خانا » التي درست هذا العلم في جزيرة سيلان ، وتبحرت فيه بدراستها الخصوصية ، وقد راقها كثيراً نبوغ تلميذها ، فكافأته على نجاحه ونبوغه بالاقتران به وقد أقاما في بيت « فارابا » أحد المساكن المتسعة التي كانت مخصصة لحاشية الملك فيكرام .

وذاعت في عهد الملك بهوجا شهرة شاعرتين كبيرتين كانت أولاهما زوجة صانع آنيات فخارية ، وكانت الثانية قرينة أحد حراس الغابات .

ومما يدل على نبوغ الهنديات وتفوقهن في العلوم والآداب والفنون على

الرجال أن ابنة الملك « برادهاما » لم تجد الرجل الذي تقارب مكانته العلمية مكانتها لتتخذه زوجاً لها ، ولهذا قضت حياتها عذراء .

يدل كل هذا على أنه لم يكن في الهند القديمة ثمة فارق بين الرجل والمرأة في التعليم . وكذلك لم يكن هناك أدنى تمييز بين الجنسين في ميدان العمل الذي ضاق نطاقه عن جهود النساء . فخرجت إحداهن « سنجامترا » من الهند وقصدت جزيرة سيلان حيث أنشأت مدرسة للفلسفة .

ولم تقيد المرأة الهندية بأي قيد ، بل تمتعت بكل ما كان للرجل من حرية ، وقد خاضت العديدات معارك حربية بجانب أزواجهن وقمن برحلات علمية شاقة من غير أن يكون رجل واحد بينهن ، وأعطين الحرية المطلقة في اختيار الأزواج . وبدأ التقييد في حرية المرأة الهندية من خمسمائة سنة قبل الميلاد .

وتتولى زعامة النهضة النسوية (اليوم) السيدة نايدو ، تعاونها السيدة الدكتورة جامنا بال ديزاي خريجة جامعة ايرلاندة الطبية ، والآنسة نافاجهاي والآنسة باشوبان لوتوالا .

وقد أثمرت هذه النهضة ثمرتها الأولى ، إذ انخرطت كثيرات في سلك المجالس التشريعية والمحاماة والمجالس البلدية وإدراة الجامعات [1] .

وكتبت السيدة ماتاي عضوة وفد الهند النسائي ما يأتي : قانون الانتخاب عندنا يساوي بين الرجل والمرأة غير أن هذا لا ينفع المرأة الهندوسية ، لأن شرط الانتخاب هو الملكية . ولا يجوز للمرأة أن تكسب أو تملك أو ترث وإنما يرث الولد وحده دون البنت طبقاً لشريعة الهندوسيين ، إلا إذا كتب الأب للبنت شيئاً ، ولكنها في هذه الحالة لا تستطيع أن تتصرف فيما تملك

---

(١) البلاغ الاسبوعي عدد ١٤ اغسطس ١٩٢٩م.

ولا أن تورثه لغيرها ، فإذا حازت الملكية في هذا الظرف النادر الحصول حق لها أن تنتخب وتُنتخب .

وتوجد غير ذلك فرصة لانتخاب النساء ودخولهن الجمعية التشريعية ، وذلك إذا حصلن على ما يسمى عندنا « درجة » وكثير من الرجال وبعض النساء قد حصلن على درجة بواسطة الامتحان فدخلوا في البرلمان .

ومدارسنا تدار وفق النظام الانكليزي ، ولكنها غير ملائمة لبنات الهندوس وليس لدينا نساء غير متزوجات ، بل كل هندوسية لا بد أن تتزوج ، ولذلك ترى أن نظام التعليم الحاضر ، وهو واحد بالنسبة للأولاد والبنات لأحوالنا بل يجب أن يهتم بالتدبير المنزلي في تعليم البنات حتى يستعطن إدارة بيوتهن خصوصاً وإنهن في العادة يتزوجن صغيرات السن .

ونحن نطلب أيضاً أن ترفع سن الزواج ، فإن بعض البنات من طبقة البرهمانيين في مدراس مثلاً يتزوجن وهن في العاشرة من عمرهن . ومطلبنا أن تجعل سن الزواج ١٤ للبنات و ١٨ للأولاد [١] .

ومن زعيمات النهضة النسائية في الهند السيدة شاه نواز ، فكانت من المندوبات عن الهند اللواتي حضرن المؤتمر النسائي في لندن سنة ١٩٣٠ م [٢] .

وقالت لايدي شاترجي زوجة ممثل الهند في عصبة الأمم سنة ١٩٣٠ م : كان من البديهي أن تتأثر المرأة الهندية بهذه التغييرات التي حدثت في بيئتها وتأثر بها وطنها ، ولقد وجدت نفسها لها حق التصويت دون أن تلقى في سبيل ذلك عنتاً أو مقاومة . واستطاعت فيما بعد أن تملأ وظائف كبيرة .

---

(١) البلاغ الاسبوعي عدد ١٤ اغسطس ١٩٢٩م.
(٢) المصور ، عدد ٣٢٠ سنة ١٩٣٠م.

ولما أن انتشرت المصانع الوطنية . لم تترك الفرصة تمر دون اغتنامها ، فلقد قبلت المرأة الهندية العمل في تلك المصانع . وبلغ عدد العاملات الهنديات الآن أكثر من ربع مليون امرأة . وهذا وفي المتاجر عدد كبير أيضاً .

وقد اهتمت المرأة الهندية وراحت تتلقى علوم الطب في كلية لايدي هاردينج وغيرها من الكليات . فالمربيات والوصيفات والممرضات والمدرسات الهنديات قد انتشرن في طول البلاد وعرضها في الوقت الحاضر .

ومع أن عدد المتعلمات في الهند قليل نسبياً ، إلا أنه يوجد أمل كبير في انتشار التعليم بين الهنديات في القريب العاجل [1] .

وجاء في السياسة الأسبوعية : إن القرائن كلها تدل الآن على أن المرأة الهندية تتقدم في العلم والسياسة والاجتماع بخطوات واسعة جداً ، يدلك على ذلك إحصاءات مدارس البنات من سنة ١٩١١ – ١٩١٩ م ، فقد زاد عدد طالبات العلم بنسبة خمسين في المئة .

وقد أصبحت حقوق الانتخاب مضمونة للنساء والرجال على حد سوي في جميع ولايات الهند الجنوبية ، ومنحت ولايات أخرى حقوق الانتخاب للمجالس البلدية والتشريعية والمحلية لجميع النساء اللواتي يتوافر فيهن شرط السن والتعليم .

والخلاصة فإن المرأة الهندية تتقدم بخطوات واسعة ليس في ميدان العلم فقط ، بل في ميادين الاجتماع والاقتصاد والسياسة أيضاً [1] .

---

(١) لايدي شاترجي : السياسة الاسبوعية سنة ١٩٣٠م ، عدد ٢٣٠ .
(٢) السياسة الاسبوعية ، عدد ١٦٣ سنة ١٩٢٩م.

المرأة في الصين :

إذا ولدت بنت في الصين القديمة ، وجب أن تضجع على الأرض دلالة على الذل والخضوع ،وتعطى من اللّبن لتلعب بها دلالة على ثقل الحمل الذي سـضطر يوماً ما إلى حمله ، ولا تفكر في شيء سوى طبخ الطعام ومعالجته وتخفيف كرب المعيشة عن والديها .

وهذه إشارة إلى الأوامر والنواهي التي سنت للمرأة الصينية ، منذ ثلاثة آلاف سنة لتسير بموجبها ، كما ورد من إشارات إلى المرأة في آداب الصينيين في قصيدة منذ ذلك الزمن المذكور أعلاه .

وجاء في كتاب آخر أحدث عهداً من القصيدة المشار إليها ، أي منذ ألفي سنة : إنه لا يجوز للرجال والنساء أن يجلسوا معاً ، ولا أن يتداولوا سرجاً واحداً ولا منشفة واحدة ولا مشطاً واحداً ولا شيئاً آخر غيرها ، لئلاّ تتلامس الأيدي . وإذا أرادت المرأة أن تناول الرجل شيئاً وجب أن تضعه في سلة وهو يأخذه منها ،وهكذا إذا رام هو أن يناولها شيئاً .

ولا يجوز لإخوة بنت مخطوبة أن يجلسوا على حصيرة واحدة معها ، ولا أن يأكلوا من القصعة التي تأكل منها ، وكان من الأمور المخالفة للآداب العمومية عندهم أن تقف المرأة في المركبة ، لأن الوقوف فيها من امتيازات الرجل . وكانت المرأة تجلس إلى يسار السائق .

وكانوا يقسمون حياة المرأة إلى ثلاثة أطوار ، يسمونها أطوار الطاعات الثلاث ، ففي الطاعة الأولى هو طور الشباب ، يتحتّم عليها أن تطيع أباها وأخاها الأكبر ، وفي طور الطاعة الثانية . وهو طور الزواج تلزم بطاعة زوجها ، وفي طور الطاعة الثالثة ، وهو طور الترمل تلزم بطاعة ابنها ، ويجب

عليها أن تقص شعرها متى بلغت الخامسة عشرة ، وأن تتزوج متى بلغت العشرين ، ووالداها يختاران لها زوجاً بمساعدة سمسار .

ومتى دخلت بيت زوجها وانتظمت في سلك أهله وسميت باسمه ، وجب أن تخدم والديه وتبذل من الغيرة في خدمتهما ، مثلما كانت تبذله في خدمة والديها .

ويجوز للرجل أن يطلق امرأته لسبب من سبعة أسباب ، وهي سوء تصرفها مع حميها وحماتها ، والعقم والزنى والحسد والإصابة بداء عياء والثرثرة والسرقة ، إلاّ إذا لم يكن لها منزل تأوي إليه ، أو كانت قد لبست الحداد مرتين كل مرة ثلاث سنوات على حمٍ أو حماة ، أو كان زوجها فقيراً فأصبح غنياً .

وكانت المرأة المتزوجة تسمى « فو » ومعناها خضوع ، دلالة خضوعها لزوجها ، ولكن منزلتها ارتفعت بعد ذلك بدليل ما ورد في كتاب نشر في القرن الأول بعد المسيح ، من أن المرأة المتزوجة تسمى « تشي » أي مساواة دلالة مساواتها لزوجها .

ومن أقدم الكتب الصينية المنوطة بالنساء ، كتاب ألفته امرأة في القرن الأول للمسيح وسمته « نصائح للنساء » ، ومن نصائحها لهن قولها : كن خاضعات ، محتشمات وقدّمن الغير على أنفسكن ، ولا تفخرن بما تصبن من النجاح ولا تعتذرن عن قصوركن ، واحتملن الإهانة واغضبن عن اللذم والشتم ، وكنّ دائماً كمن في خوف ورعدة ، والواجب على الزوجة أن تكون صدى زوجها ، واتبع له من ظله .

ولقوى المرأة أربعة مسالك تتصرف فيها ، وهي السلوك والكلام والمنظر والواجبات .

وقام عالم صيني في القرن السادس الميلادي ، فصنف كتاباً سماه « وصايا للعائلات » ، جاء فيه قوله : لتهتمّ الزوجة بطبخ الطعام وتدبير الشراب واللباس ، ولا تتعرض لشؤون الحكومة ولا لشؤون العائلة ، فإذا كانت حاذقة مطلعة على العادات القديمة والحديثة ، فلتساعد زوجها ولتسد نقصه ، ولتحذر أن تملأ الكون صياحاً عند الفجر كصياح الديك ، فإن ذلك يجر النكد والغمة .

وفي أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع للميلاد ، كانت خمس أخوات اشتهرن بالحذق والذكاء ، فحرمن الزواج على أنفسهن ، ووقفن عمرهن على الدرس والمطالعة ، فألفت كبراهن كتاباً موضوعه « أحاديث مع البنات » على نسق أحاديث كنفوشيوس ، فمما قالت : إذا مشيتِ فلا تلتفتي إلى الوراء ، وإذا تكلمت فلا تفغري فاك ، وإذا جلست فلا تهزي ركبتيك .

وفي الكتب الصينية من التصريح القبيح بالنساء ، مثال ذلك : إذا كانت المرأة فتية فهي إلهة ، وإذا شاخت مسخت قرداً .

ثلاثة أعشار جمال النساء ، جمال حقيقي ، والسبعة الأعشار الباقية في اللباس .

لا يُعد ناب الأفعى وحمة الزنبور شيئاً في جنب السم الذي في قلب المرأة .

صلاح المرأة مثل شجاعة الجبان .

قد ترقى المرأة إلى المناصب الرفيعة ، ولكنها لا تزال امرأة .

لا يجوز للنساء أن يتعرضن لشؤون الحكومة .

على أن في هذه الكتب إشارات كثيرة إلى فضل النساء وتقواهن ونكران أنفسهن ، ففيها ذكر ٤٠٠ امرأة اشتهرن بالصلاح ، وفيها ذكر ٧٧٥ امرأة اشتهرن بالبر باولادهن ، و ٤٧٥ امرأة اشتهرن بإنكار النفس وفعل الواجب ، وفيها ذكر ٦٠٠ امرأة فضلن الموت على العار . و ٣٠٠ امرأة حكيمة ، و ٥١٠ أكثرهن شاعرات [١] .

ويقول مانو : النساء باب جهنم . وأضاف بعضهم إلى ذلك : إن أجسامهن شيطانية ، ولذلك حسبت شهوة النساء شر الموبقات ، واعتبرت الطهارة مثل الحياة الأعلى ، فكانوا يصورون الشيطان في حسناء تزور الصوامع ، لإسقاط نساكها في الخطيئة [٢] .

وفي الصين وغيرها من بلدان العالم ، أدلة عديدة على تضحية النساء بحياتهن إكراماً للرجل المحبوب [٣] .

وقال كنفوشيوس ٥٥١ ـ ٤٧٩ قبل الميلاد : الرجل رئيس فعليه أن يأمر ، والمرأة تابعة فعليها الطاعة ، ومن المقتضي أن تكون أعمالهما مثل أعمال السماء والأرض ، متممة لبعضها تعاوناً على حفظ نظام الكون ، والمرأة في المجتمع مديونة لزوجها بكل ما هي عليه [٤] .

وقال كنفوشيوس Conficius : إن المرأة التي تفقد زوجها تصبح سيدة نفسها ، وعلى الفتاة أن تطيع أهلها كأخيها البكر الكبير ، وتكون سكنى

---

(١) مجلة المقتطف ٥٧/٣٠ ـ ٦٢ .
(٢) مجلة الاخاء ٣٢٢/٥ ، ٣٢٣ .
(٣) مجلة الحارس ١٩٣٠م / ٤١٨ ـ ٤١٩ .
(٤) جميل بيهم : المراة في التاريخ والشرائع ، ومن مصادر بحثه كتاب حالة المرأة .

الأرملة وإقامتها تحت إشراف ومراقبة الأكبر سناً من أولادها الذي يتمكن أن يحميها من الأخطار التي تتهددها بسبب ضعفها (١) .

وأجازت الشرائع الصينية تعدد الزوجات وإن حظرته من جهة أخرى ، فقد سمحت للرجل بالتسري بأربع زيادة على زوجته التي لا يسمح له بالاقتران بسواها ، فالسراري وإن كن لديهم بمنزلة الخدم ، غير أن أولادهن ينسبن للزوجة الشرعية ويساوون أولادها .

على أن شريعة ليكي سمحت للرجل بأن يجمع بين مئة وثلاثين امرأة ، واشتهر ملوك الصين القدماء بوفرة عدد الحريم ، فقد ذكروا أن الامبراطور « كن » آخر ملوك عائلة « يو » جمع في قصره نحو ثلاثين ألف امرأة .

وللرجل عندهم أن يطلق امرأته ، إلا في أحوال خاصة رحمة بها .

كما أن المرأة الصينية ، سواء أكانت متزوجة أو عذراء ، ولا سيما من الطبقة الممتازة تعيش في عزلة أبدية ، فالابنة منذ صباها تعزل حتى عن شقائقها .

والنساء عامة لا يخرجن من بيوتهن ولا يستقبلن رجلاً ، ولذلك كانت المنازل تقسم إلى حرم للنساء ودار للرجال منعاً للمخالطة ، وفضلاً عن ذلك فقد حرموا المرأة من ميراث زوجها وأبيها ، إلا ما يقدمه لها في حياته من قبيل الهبة حين زواجها .

---

(١) Louis Frank : L'éducation domestique des jeunes filles ; Edward Westermarck : L'origine et le développement des idées morales .

وحتى في نظام العقوبات ميزت شريعتهم الرجل عن المرأة ، فبعد أن قررت سيادة الرجل فقد عملت على تأييد ما قررته بفرض العقوبات على النساء اللاتي يؤذين أزواجهن ، ولا سيما الزانيات منهن ، في حين أنها لم تضع إزاء ذلك قيوداً كافية وعقوبات مغادلة بحق الرجل .

وكان نظام التسري عند الصينيين ، جعل بيع البنات بيعاً يشبه بيع الأنعام والحيوانات ، فكان طريقة مشاعة ، ولقد ساعد على رواج ذلك الفقر المدقع الذي عمل أيضاً على انتشار عادة وأد الأولاد ، ولا سيما البنات منهم عقب الولادة خشية الاملاق .

وتكاد المرأة لدى البوذيين أن تكون على حالة واحدة مع المرأة عند البراهمة ، إلاّ أن الديانة البوذية قد أشركت المرأة في أمر الآخرة ويوم الحشر المسمى « نيروانا » ، كما أنها سمحت في العالم الدنيوي للنساء أن يزاولن العبادات وأن ينخرطن في سلك الكهانة .

وقيل إن الطاعة غير مطلوبة ، في شرائع بوذا ، ويطلب من الأزواج الإخلاص لزوجاتهن واحترامهن وإعطاءهن الحلي والملابس المطلوبة .

وقد أمر بوذا النساء أن يكن عفيفات ، وأن يقمن بواجبهن المنزلي حق قيام ، وأن يكن مقتصدات وأن يظهرن كفاءة في كل ما يصنعن .

كما يعتقد بوذا أن حياة العزوبة هي الأفضل ، وقد جاء في أقواله بهذا الخصوص : إن الرجل العاقل من يتحاشى الحياة الزوجية كأنها جمرة مشتعلة .

وقال في مجال آخر : إن الحياة الزوجية ملأى بالمصاعب والشهوات ، فكيف الرجل الذي يعيش حياة زوجية أن يعيش حياة طاهرة رفيعة .

وعندما تألف سلك القديسين طلب سدهودانا والد بوذا ، إلى كل من ينضم إلى سلك القديسين أن يكون ذلك بموافقة أبيه وأمه ، ومن ذلك كان الأطفال ينتمون إلى الأم بقدر ما ينتمون إلى الأب في شريعة بوذا (١) .

وقيل : لم يكن حظ النساء في البوذية خيراً من حظهن في المانوية في الهند ، وقد كان من الممكن أن تسعفهن البوذية لولا سرعة تدهورها وفساد تعاليمها ، وربما كانت ضعتهن من أسباب سقوط البوذية ، فإن الامبراطور سوكا ، قد أمر سنة ٢٦٤ ق . م بثقافتهن توسلاً بذلك إلى تطهير البوذية ، على أن مسعى سوكا كان قصير الأمد ، سريع الزوال ، ولا يصلح العطار ما أفسد الدهر (٢) .

وقيل : ان ما جاء في حق المرأة في الديانة البوذية عبارة عن مقتطفات وأقوال وتعاليم بوذا ، أما أقواله بخصوص النساء فليست بالكثير ، وهو ينصح الرهبان الابتعاد عنهن . وأما الأفراد العاديون فقد طلب منهم احترام المرأة ، وقد ساوى بوذا بين الرجل والمرأة في الحقوق (٣) .

وذكر Westermarck : إن البوذيين كانوا ينظرون إلى النساء كأنهن شرك وحبائل صيد وخطراً جسيماً يتجسد في النساء لغواية الرجال في هذه الدنيا ، وان النساء لا يسمح لهن بأن يؤدين الصلاة في الهياكل (٤) .

وقيل : إن المرأة الصينية ملك للأب والأخ يزوجاها بدون مشورتها ، ولا يخبرانها عن اسم زوجها ؛ ويحجر الأغنياء على نسائهم في منازل خاصة بهن

(١) البلاغ الاسبوعي عدد ١٩ فبراير ١٩٣٠م.
(٢) الاخاء ٥ / ٣٢٢ — ٣٢٣ .
(٣) البلاغ الاسبوعي عدد ٩ فبراير ١٩٣٠م.
(٤) Westermarck : L'originc et le développement des idées morales .
وانظر :
Marie Gallaud : La vie de Bouddha et les docrines bouddhipues .

يخرجن منها بإذن وفي عربات مغلقة بإحكام ، أما نساء الفقراء فيخرجن سافرات ويقمن بالأعمال الشاقة، ويبدو لك ان الواحدة منهن أكبر سناً لما ينالها من التعب .

وتعدد الزوجات شائع في الصين ، ولكن الشرعية هي الأولى منهن ، والزوج مطلق التصرف فيهن .

والخطبة عندهم زواج نهائي ، وعقدة لا تحل ، وتعقد عادة قبل سن البلوغ ، ويحدد وقت الزواج بعد الخطبة ، وربما أجل سنوات ، ولا يمكن للمخطوبة أن تتزوج إذا مات زوجها بخلافه هو إذا ماتت .

وقيل : إن منزلة المرأة الصينية في بلادها أحط كثيراً من منزلة الرجل ويرى أهلوها في ولادتها شراً ، ومقامها كمقام الخدم ، فهي لا تأكل إلا على انفراد ، وتعيش في بيت والديها في تحجب واعتزال يعلمونها الخياطة وتحضير الطعام[1] .

وذكر **Lèon Adensour** : إن البنت في الصين كانت تباع وتشترى حتى القرن التاسع عشر الميلادي ، فكان يجب على الزوجة الصينية أن تتبع زوجها كالرقيقة ، بل تتجاوز ذلك فتكون رقيقة لأهل زوجها .

وإذا تكلمت الزوجة بحق أقاربه كلاماً سيئاً ، فللزوج الحق بقتلها ، أو يجلدها بالعصا كعقاب لها على ما اقترفت من ذنب .

وبالرغم من ذلك فإن **Lin-Hou** التي كانت عائشة في عصر الأساطير والأضاليل ، صارت الحاكمة الأولى في الصين ، والتي كانت معاصرة تقريباً لزوجة **Chilpéric** ، التي لم تكن في بدء حياتها سوى خادمة

(١) منيب السيد : المصور ١٩٢٦م ، عدد ٨١ .

بسيطة ، ومن ثم بسطت سلطانها ونفوذها بطريق الإغراء والتضليل وحبك المؤامرات ، وذلك لما تخلصت من سلطان الامبراطورة ونفوذها ، فاستولت على العرش وتربعت عليه أكثر من خمسين عاماً ، وذلك بحدة ذكائها وقوة نشاطها ، فكان أمثال هؤلاء النسوة الدعامة الأولى للنهضة النسائية الصينية الحاضرة [1] .

وأما النهضة النسائية الحاضرة في الصين ، فقد نشرت الباحثة الانكليزية اللادي دراموندهاي فقالت : كانت المرأة الصينية قبل نصف قرن (أي في سنة ١٨٦٩ م) سجينة المنزل ، فلم تكن تبارح خدرها إلاّ لظروف استثنائية محضة لحضور حفلة زفاف أو جناز أو لعيادة أحد أقاربها إن كان مريضاً .

وكانت تلازم منزل أبويها حتى يحين وقت زواجها من شخص لم تسبق لها رؤيته ، فكان حظها أسوأ من حظ أختها التركية في العصر السالف ومن نساء الشرق الأدنى .

وقد اتضح أن المرأة الصينية على جانب عظيم من الذكاء والنشاط ، وأنها ليست دون أخواتها نساء الشرق الأدنى ، وهي في مستواها ، ترجح على الرجل الصيني .

وقد ذكرت الآنسة «شيجيكوكاتاكا» الصحفية اليابانية : إن المرأة الصينية شرعت تتفوق على أختها اليابانية .

وقد درست مسألة المرأة في الصين من جميع الوجوه ودهشت عندما ألفيت أن الصين في القرن العشرين هي غيرها في القرون الماضية ، وأعجبت

---

(1) Léon Abensour : Histoire générale de féminisme des origines à nos jours .

كثيراً باتحاد النساء الصينيات ، إذ أخذ على عاتقه إرشاد الملايين من نساء الصين ورفعهن إلى المستوى اللائق بهن باذلاً كل جهد في هذا السبيل .

وهذه الجماعة النسائية على جانب عظيم من المعرفة والذكاء ، وأعضاؤها مشهورات بالصدق والأمانة والتضحية وقد شهدت لهن بذلك الأوربيات والأميركيات ، المتوطنات هناك ، ويساعد هذا الاتحاد النسائي رجال من كبراء الصين والبارزين فيها .

والذين يعتبرون الصين دولة لا قارة كما هي في الواقع ، لا يدركون قدر الهوة السحيقة التي تفصل الشمال عن الجنوب ، فثمة فرق عظيم بين سكان القطرين يشبه الفرق بين الألمان والإيطاليين مثلاً ، وبينهم بون شاسع في اللغة والنفسية والعادات ، وجنوب الصين هو مهد النهضة النسائية ، وإقليم كوانتونج على الخصوص هو المنبع الذي انبعثت منه ، أما شمال الصين فما يزال اليوم (سنة ١٩٢٩ م) بعيداً عن تلك النهضة ، وقد كان أكبر الفضل في هذه النهضة للمعلمات المستخدمات في أنواع المدارس ، ومن الصعب أن نحصي مدارس البنات في الصين ، ولكن وجدت في كانتون وحدها جامعة نسائية ، وعشر كليات ، وعشر مدارس نظامية وثلاثين مدرسة متوسطة ومائة مدرسة ابتدائية كلها خاصة بالبنات[1] .

ووصفت لادي بليك نساء الصين في الجزء الأخير من مجلة القرن التاسع عشر ، فقالت : إن سلطة المرأة الصينية (العصرية) على أولادها أعظم من سلطة الأوربية على أولادها ، فإذا مات زوج الصينية صارت هي ربة البيت ورئيسة العائلة كلها من غير منازع ، ولو تزوج أولادها .

---

(١) مجلة المصور سنة ١٩٢٩م ، عدد ٢٥٠ .

وإذا كان للزوج منصب يؤهله بعض الامتيازات فلزوجته أن تتمتع بكل الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها فتلبس الحلل الرسمية مثله وتتقلد قلادة مثل القلادة التي يتقلد بها ، وتؤمن على ختم منصبه .

ولا يباح للزوجة أن تختار زوجها ولا للزوج أن يختار زوجته ، بل الوالدون يزوجون أولادهم ، وأمر الزواج منوط بالوالدين والخاطبات ، وهن نساء حرفتهن السعي في تزويج الفتيان والفتيات .

وتعيش الكنة مع حماتها على تمام الوفاق والوئام ، لأنها تعلم أن السلطة لحماتها لا لها .

والتسري جائز في الصين ، ولكن الضرار ممنوع أي لا يكون للرجل إلا زوجة واحدة شرعية ، وإذا كان في سعة تزوج أيضاً بسرية أو أكثر ، لكن السراري يكن كالخدم في البيت ، ويحسب أولادهن للزوجة الشرعية ، فيحسبونها أمهم وينادون أمهم وسائر السراري : يا خالتي .

ولا بد للمرأة من أن يكون لها ولد يقوم بالاحترام الديني الواجب لها ولزوجها بعد وفاتهما .

ويحق له أن يطلق زوجته الأولى إذا كانت عاقراً أو زانية وغير طائعة لوالديه ، أو ثرثارة أو سراقة أو غيورة أو مجذومة ، ولكنه لا يستطيع تطليقها ، ولو كانت كذلك إذا حدت على والديه ثلاث سنوات أو إذا اغتنى بعد أن كان فقيراً لما تزوج بها ، أو إذا مات والداها فلا تستطيع الرجوع إليهما ، وإذا طلقها فأثبتت امرأً من الأمور المتقدمة ، اضطر أن يستردها ويعرض نفسه للعقاب أيضاً وإذا لم يكن للرجل من الأولاد إلا ابنة واحدة زوجها من شاب يصير ابناً له للقيام بالفرائض الدينية بعد وفاته ولحفظ بيته من الانقراض.

والصينيون شديدو الحب لأولادهم يهتمون بأمرهم قبل ولادتهم ، فلا تشهد الحامل مشهداً يؤلمها ، ولا تسمع كلاماً يغيظها .

وتربى البنت كأن الزواج هو الغاية العظمى التي يجب أن تؤهل لها [1] .

وقامت حركة بين النساء في الصين تدعو إلى منحهن الحقوق المدنية التي للرجال ،وكان أصل هذه الحركة الآنسة شو ، فإنها في عام ١٩٢٢ م ، اشتركت مع ثلاث من النساء وقدمن جميعهن عريضة للبرلمان الصيني موقعاً عليها من ٥٠٠ امرأة صينية أخرى ، وكان بالعريضة هذه الطلبات الآتية :

١ — فتح المدارس لتربية النساء .

٢ — تعميم حقوق التصويت ومنح النساء جميع الحقوق الدستورية .

٣ — مراجعة القوانين الخاصة بعلاقة الزوج بالزوجة والأم والابن من حيث حقوق الملك والوراثة ، وأن يكون الغرض من ذلك تعميم المساواة بين الرجل والمرأة .

٤ — إيجاد نظام للزواج تكون فيه حقوق المرأة مثل حقوق الرجل .

٥ — منع البغاء الرسمي واستعباد البنات وخرق القدمين ، وأجرتهن مساوية لأجرة الرجال ما دمن يشتغلن مثلهم .

٦ — سن قانون لحماية العاملات بحيث يكون ، ويجب أن يكون للمرأة الحق في أجرة كاملة مدة انقطاعها عن العمل للوضع [2] .

---

(١) مجلة المقتطف ٤١/٥٨٨-٥٩١ .
(٢) مجلة المراة المصرية سنة ١٩٢٥م/١٠ .

ومن ثَمَّ تأسست سنة ١٩٢٦ م ، جمعية نسائية في الصين ، ضمت إليها عدداً لا يحصى من نساء الصين للمطالبة بحقوق المرأة في سلك الجيش كالرجل ، وأن تصير قائدة حاكمة للمواقع العسكرية [1] .

المرأة في بلاد التيبت :

المرأة في بلاد التيبت ، سيدة البيت والحاكمة الآمرة فيه ، المصروف بيدها وإدارة الشؤون المنزلية وغير المنزليّة بيدها ، والإشراف على كل ما يتعلق بالحياة ، موكل إليها وهي فوق ذلك كله صاحبة الأمر على زوجها ولا مرد لإرادتها .

وإن الفتاة هي الّتي تختار زوجها من بين الشبان حتّى إذا ما وقع اختيارها على واحد منهم ، أرسلت تطلبه من أمه لا من أبيه ، واتخذته زوجاً لها ، وأرغمته أن يقسم لها يمين الطاعة والإخلاص .

والمرأة التيبتية تتزوج بأكثر من رجل ، ولا يخلو منزل هناك من أربعة أو خمسة رجال جميعهم أزواج ربة البيت ، والرجل الذي يخون زوجته يعاقَب على خيانته أشد عقاب .

أما المرأة فلا يحق لواحد من أزواجها أن يحاسبها على سلوكها أو أن يراقب سيرتها وعلاقتها مع الرجال الآخرين ، إذ أن القوانين المدنية والدينية لا تعطيه هذا الحق الذي تعترف به للنساء دون الرجال ، ولذلك فالمولود الذي تضعه

---

(١) المصور سنة ١٩٢٦م ، عدد ٨٢ .

المرأة التيبيتية يسمى باسم أمه لا باسم أبيه ، لأنه لا يمكن معرفة الأب ما دام المولود من صنع آباء كثيرين .

والرجال وحدهم يحتّم عليهم القيام بجميع الأعمال اليدوية وغيرها في المنزل وفي خارجه ، وبينما المرأة تراقبهم وتقيم في بيتها تستقبل زائريها وتنظر في شؤون البلاد ، والرجال الوحيدون الذين تحترمهم النساء ، ولا يحق لهن محاسبتهم على أعمالهم ، هم رجال الدين الذين يطلق عليهم هناك اسم «لاما» وهؤلاء الرجال لا يتزوجون ، بل يظلون طول حياتهم رهباناً بعيدين عن معاشرة النساء .

والثورة العسكرية التي انفجرت أخيراً (١٩٣٠ م) في التيبت ترمي إلى إرغام النساء على الاعتراف بحقوق الرجال وإحلالهم المحل اللائق بهم بصفتهم مخلوقات بشرية كاملة كالنساء ، والنساء يعارضن في ذلك قائلات إن الآلهة قد خلقت الرجل ناقصاً في جميع أعماله وطول حياته يخضع للمرأة التي هي سيدة الكون .

وقد رفع الرجال عريضة إلى رجال الدين طالبين منهم النظر في أمرهم والتأثير في النساء من أجل الاعتراف بحقوقهم .

ويقول المدعو «آموكي» وهو زعيم الحركة ضد النساء ان اللاما — أي رجال الدين — يستقبلون النساء في أديرتهم دون الرجال وان مصلحتهم تقضي بأن تظل المرأة صاحبة الأمر والنهي في البلاد لكي يظلوا من جهتهم مسيطرين على الجميع رجالاً ونساء .

وقد انتهى الأمر بالرجال أخيراً إلى رفع شكواهم إلى حكومات الصين

والهند ، طالبين أن يتدخل أولو الأمر فيهما في المسألة ، ويساعدوهم على حل هذه المشكلة ورفع نير النساء عن أعناقهم [١] .

المرأة التترية التركية :

كانت المرأة التترية التركية قبل ظهور الإسلام في تلك البلاد متمتعة بالحرية المطلقة ، الأمر الذي كان لا بد منه لقوم رحل يسكنون الخيام ويتنقلون دائماً من جهة إلى أخرى . ويكونون في تنقلاتهم هذه مُعرَّضين في كل دقيقة لطوارق الحدثان المختلفة .

وكانت المرأة بينهم عضد الرجل القوي ورفيقته الأمينة تقاسمه السراء والضراء ، وبناء على ذلك كانت تتمتع بجميع حقوق الرجال .

قال أحمد آجيف : وإذا ألقينا اليوم نظرة على المرأة التترية التركية ، نراها بين سكان الحضر منهم أو المتمدنين مستعبدة استعباد الرقيق ومضغوطاً على حريتها ضغطاً شديداً ، بينما نراها متمتعة بالحرية بين أقوام التتر الرحل لا تعرف معنى لحجاب النساء ولا سجنهن [٢] .

المرأة الاسترالية :

تكونت استرالية بلداً وصارت لها أمة بعد أن كانت منذ قرن واحد مجرد مستعمرة من مستعمرات التاج البريطاني ، فطبيعي أن المرأة الاسترالية لم تحصل

---

(١) جريدة روز اليوسف ، عدد ١٥٤ سنة ١٩٣٠م.
(٢) احمد آجيف : حقوق المرأة في الاسلام .

على حقوقها المدنية والسياسية إلا تدريجياً . وهي لم تصل إلى حق الانتخاب إلاّ بعد الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨ م) .

نص قانون الانتخاب الصادر سنة ١٩٢٩ م على كل استرالي أو استرالية بلغ الحادية والعشرين من عمره أن يشترك في الانتخابات العامة . والانتخابات في استرالية إلزامية . وكذلك صار في استطاعة النساء أن يسعين لتقدمهن بأنفسهن ويمكن القول بأن المرأة الاسترالية تبدي اهتماماً جدياً بشؤون الدولة .

وأما من حيث القانون المدني . فإن الأب لا يزال يعتبر وحده صاحب التصرف في تربية أبنائه وأما قانون الملكية فقد تحسن لمصلحة الزوجة .

وتجاهد الحركة النسائية في استرالية ليكون للمرأة حق اختيار الجنسية مثل الرجل سواء بسواء . حيث كانت المرأة الاسترالية تفقد جنسيتها حين تتزوج من رجل ذي جنسية أخرى .

وأما التوظف والاستخدام فتوجد نظرياً مساواة تامة بين الرجل والمرأة في الأجور والمرتبات . ولكن الواقع أنه لم تصل امرأة الى أي مركز كبير حتى سنة ١٩٢٩ م بالرغم أن النساء شغلن مناصب القضاء والوظائف العامة [١] .

المرأة اليابانية :

على المرأة اليابانية في حياتها ثلاثة فروض من الطاعة . أولاها طاعتها لوالديها وهي ليست متزوجة . ثانياً طاعتها لبعلها ولكبار عائلتها وهي زوجة . ثالثاً طاعتها لنجلها وهي أرملة .

---

(١) بسي ريشبيت : البلاغ الاسبوعي، عدد ١٤ اغسطس سنة ١٩٢٩م.

وفي بلاد اليابان يعقد الزواج مبكراً ، فقد تتزوج الفتاة في السادسة عشرة أو السابعة عشرة من عمرها ، وإن مكثت عانساً حتى يتم العقد الثاني من حياتها اعتبرت عاثرة الحظ جداً .

ومتى عقد القران هجرت أقاربها وسعت في توثيق عرى مواصلة عائلة قرينها .

وإذا ترملت المرأة اليابانية أخذت للحداد أهبته ، فتحلق شعر رأسها وترتدي ثياباً أشد ما تكون كآبة [1] .

ذكر جميل بيهم : ان اليابان كمعظم الأمم القديمة تعتبر المرأة متاعاً من أمتعة الدنيا يتصرف بها الرجل كيف شاء ، حتى أن شريعتها أباحت له أن يبيع الزوجة أو الابنة ، وقد لبثت هذه الشريعة معمولاً بها إلى صدور نظام سنة ١٨٧٥ م الذي أكمل في سنة ١٨٩٦ م ، فقضى على هذه العادة .

وقد كان أيضاً من الحقوق إيجار الرجل أو الأرملة ابنتها للمحلات العمومية أو لأفراد مخصوصين لمدة معينة [2] .

وذكر وستر مارك : إن المرأة اليابانية قديماً ، هي على العموم في نظر شرائعهم وتقاليدهم ، ملكاً متنقلاً ، أكثر منـــه شخص ذو كيان إنساني ؛ فكانت المرأة في كل أدوار حياتها تحت سلطة أبيها وإطاعة أوامره العليا ؛ وعليها طاعة زوجها ولا تسيء لأي شخص وتحافظ على زوجها وعدم سخطه ورضاه وأن تُدخِل السرور والحبور إلى بيته ، وأن تقوم لخدمته كتقديم طعامه وغيره من مستلزمات حياته المنزلية ، كما يجب أن تمشي خلفه ولا تسير معه جنباً إلى جنب .

---

(١) مجلة النهضة النسائية عدد ٤ سنة ١٩٢٩م.
(٢) جميل بيهم : المرأة في التاريخ والشرائع .

وأن لايشيعها زوجها عند وفاتها ، بل يشيعها أولادها ويقومون بما يلزم من الطقوس والتقاليد اليابانية المعمول بها عند الوفاة .

ويستطيع الرجل الياباني أن يطلق امرأته ، وينحصر فيه فقط ، حتى سنة ١٨٧٣ م ، فقد شرعت شرائع جعلت المساواة في الطلاق من حق الزوج والزوجة .

وقصارى القول : فعلى الزوجة اليابانية أن تكون الخادمة الأولى في البيت، غير أن رأي المثقفين يدعمه بعض الرأي العام الياباني ، يطالبون بأن تعامل المرأة معاملة أكثر احتراماً وإنصافاً ، لأن الرابطة الزوجية مقدسة ولا سيما بولادة الأولاد (١) .

وبعد هذا الرقاد الطويل هبت بضع من النساء اليابانيات المثقفات والمتعلمات في مدارس الغرب للمطالبة بحقوقهن المهضومة ، وأخذن في بث روح النشاط في غيرهن ، فأمكنهن ذلك بواسطة المدارس ودور التعليم الكثيرة المفتوحة أبوابها لكل طالبة ، وأصبحت الفتيات المتعلمات يدركن أن لهن حقوقاً مهضومة وأن فيهن قوى لا تخونهن أبداً لم يكن يعرفنها من قبل .

وتألفت جمعيات نسائية عديدة في اليابان في الشهور الأخيرة من سنة ١٩٢٧ م ، وخصوصاً بعد حوادث الصين الدامية ، وأخذت هذه الجمعيات تعمل في سبيل إعلاء شأن المرأة في اليابان والمطالبة لها بالحقوق التي يتمتع بها الرجال .

---

(1) Edward Westermarck : L'origine et le développement des idées morales .

المرأة اليونانية :

المرأة القديمة في بلاد اليونان كانت تختلف عن غيرها من بلاد العالم ، إذ كان مقام المرأة فيها دون مقام الرجل بمراحل ، بل كان كثيرون من كتابهم وشعرائهم يهجون المرأة وينظرون إليها نظرة احتقار .

على أن المرأة تدرجت في أواخر عصور اليونان حتى بلغت أوج السلطة ، وأبطرتها النعمة على ما يظهر ، فأخذت تصخب وتستبد ، حتى بدأت أركان الدولة تتزعزع [١] .

كان وضع المرأة الاجتماعي في الزمن الغابر في بلاد اليونان ، ينحصر في السجن المنزلي وأعماله ، وكانت المرأة الفاضلة اليونانية ، هي التي كانت تتمتع بمواهب جيدة لترتيب وتنظيم شؤون المنزل ، والإطاعة التامة لزوجها ، والشيء الرئيسي الذي يزين أخلاق المرأة هو الصمت وعدم الجدل معه .

ذكر Westermarck : إن المرأة اليونانية في الزمن التاريخي لدى اليونانيين القدامى ، فقد كانوا لا يضعون حداً لجلب سرورهم والرضاء عنها ، إلا إذا كانت أماً يحق أولادها .

وكانت لديهم فكرة على العموم بأن المرأة هي أكثر فساداً بالطبع من الرجل ، وأكثر جلباً للكدر وعدم السرور وممارسة الطعن في الناس وغيبتهم ، كما تتمتع بالطيش والخفة [٢] .

---

(١) السياسة الاسبوعية عدد ١٦٩ ، سنة ١٩٢٩م.

(٢) Westermarck : L'origine et le développement des idées morales .

وكان اليونانيون لا يخولون المرأة أن تأخذ نصيبها من الأعمال الرئيسة والهامة ، حتى كانت عقودها وتصرفاتها في هذا الشأن أمام القانون غير نافذة وعديمة الجدوى .

وأما المرأة العاقرة في اسبارطة ، فيمكن تطليقها ، وأن يتخلى عنها زوجها لرجل آخر أصلح منه جنسياً (١) .

وأما فكرة فلاسفة اليونان الأقدمين ، فكان سقراط خصم للمساواة التامة بين الجنسين ، وهو يعلن ويطلب مساواتها الأدبية مع الرجل ، والمرأة عند سقراط هي الأم الصالحة في إدارة بيتها والتي تفرض سلطانها عليه فتعتني بالخدم وتربي النسل وتهز السرير لأطفالها وتغذيهم .

ويحسن بنا أن نورد ما جاء في جمهورية أفلاطون من أسئلة وأجوبة وحوار تتعلق بالمرأة نوردها فيما يلي :

سقراط — فإذا رمنا استخدام النساء في عمل الرجال وجب تهذيبهن كالرجال .

غلوكون — وجب .

سقراط — فيجب تهذيبهن في الفنين (تعلم الموسيقى والجمناستيك) كالرجال مع التدريب العسكري ومعاملتهن معاملة الرجال .

سقراط — أفلا يجب أن نتفق في هل القوانين المطروحة للبحث ممكنة الإجراء أولاً ؟ونفسح مجالاً لكل واحد هازئاً أو جاداً للبحث في هذه المسألة :

---

(١) Paul Perrier : L'unité humaine.

هل تمكن الأنثى طبيعتها من مشاطرة الذكور أعمالهم . أو أنها غير كفؤ لشيء من أعمال الذكور أو أنها كفؤ لبعض الأعمال ، دون البعض الآخر ؟ وإذا كان الأمر كذلك ففي أي صف تضع الأعمال الحربية ؟ أليس ذلك أفضل بداءة نختارها ، وقد تكون أفضل نهاية ؟

س : فلنقل بالنيابة عن الخصم : لا لزوم يا سقراط ويا غلوكون لتقديم الآخرين شيئاً ضدكم لأنكم أنتم أنفسكم في بدء سعيكم في تأسيس الدولة سلمتم بأنه في الأعمال ، يجب أن يختص كل فرد من الناس بعمل واحد ، حسب استعداده الطبيعي ، أفيمكنك أن تنكر وجود فرق كبير بين طبيعة الذكر والأنثى ؟ من المؤكد أنه يوجد فرق ، أفليس من الحزم تخصيص كل جنس بنوع من العمل يتفق مع طبيعته ؟ دون شك ، فأنتم إذاً مخطئون ، وقد ناقضتم أنفسكم بتحتيمكم عملاً واحداً على الرجال والنساء مع اختلافهن في الاستعداد .

سقراط — فليس في الأعمال المتعلقة بإدارة الدولة أيها الصديق ما يختص بالمرأة كامرأة ، أو بالرجل كرجل ، ولكنها مواهب موزعة على أفراد الجنسين سواء بسواء ، فالمرأة باعتبار جبلتها صالحة لكل عمل كالرجل مع انها أضعف منه بوجه عام في الأعمال على كل حال .

سقراط — نرى إحداهن ميالة إلى الطب والأخرى خالية من ذلك الميل ، وإحداهن موسيقية الميل دون أختها .

سقراط — أو لا نقول أيضاً ان إحداهن مجهزة بصفات تؤهلها للرياضة والحرب وغيرها لا تميل إلى الحرب ولا ذوق لها في الألعاب الرياضية .

سقراط — أولا يمكن أن تمتلك إحداهن حب المعرفة وأختها كره المعرفة ؟ وأن تكون إحداهن حماسية دون أختها .

سقراط — وعليه فبعضهن صالحات لمنصة الحكم دون البعض الآخر . أوليست هذه هي الأوصاف التي اخترناها دليلاً على جدارة الرجال بذلك المنصب .

سقراط — فلا فرق إذاً بين طبائع الرجال وطبائع النساء باعتبار حكم الدولة إنما هو تفاوت بينهما في الدرجة قوة وضعفاً ، فنختار ربات الجدارة لمساكنة أربابها ومشاركتهم في الأحكام لأنهن أكفاء في الإدارة وهن نسيبات الرجال في الطباع .

سقراط — جيداً فإذا كانت المسألة كيف نؤهل المرأة للحكم ، أفلا نجعل تهذيبها خلاف تهذيب الرجل ، ولا سيما والفطرة التي تهذبها فيهما هي واحدة .

غلوكون — كلا بل يكون تهذيب الفريقين واحداً

سقراط — . . . فيجب أن تتولى أزواج حكامنا في تمرينات الجمناستيك لأنهن يستترن ببرد الفضيلة بدلاً من الثياب ويشاطرن الرجال الحرب والأعمال التي يشتمل عليها حكم الدولة دون غيرها من الأعمال على أننا نخصهن بأخف الواجبات بسبب ضعفهن الجنسي . . . (١) .

وكان أفلاطون يضع النساء في مرتبة الأطفال والخدم ، ويعلن أن النساء هن أرقى منزلة من الرجال .

ويلاحظ **Euripide** : إن النساء غير قادرات ، ولا هن أهل للعمل الصالح ، بل هن آلة لتحريك الشر وبث السوء في المجتمع .

---

(١) جمهورية افلاطون .

وحسب ما ورد في أناشيد Védiques : ان نفس المرأة صعبة لأن تتجه في الخط المستقيم لما يتطلبه من عقل ومنطق ، وان محاكمتها للأشياء والقضايا ضعيفة .

وقال أرسطو : ان المرأة الصالحة والكاملة هي التي تكون سيدة بيتها تديره خير إدارة ، كما أن لأمثال هؤلاء النسوة الصالحات في إدارة بيوتهن أن يراقبن سلوك أزواجهن ، كما أنه يجب عليهن بأن يكن أكثر إطاعة لهم ، ولا سيما إذا كن دخلن بيوتهم بطريق الرق أو الشراء .

ويقول Plutarque : يجب على الزوج أن يحكم امرأته بلطف وحسن خلق وبنفس طيبة تحكم الجسد لا كسيد أو مالك لإحدى أملاكه (١) .

وعُدّ ابتداء النهضة النسائية في اليونان ، حسب رأي Couvreu. A. (Mademoiselle) : أنها بدأت في سبارطة ، حيث كانت تربى الفتاة الاسبارطية كما هي في أثينة تربية شبيهة بتربية الفتيان تقريباً ، فكانت تمارس الرياضة البدنية ، كالجمناستيك والركض والقفز والمصارعة وقذف القرص والحربة الخ .. مما كان معروفاً في تلك العصور ، مما دعا لأن تكون تربية المرأة الإسبارطية فيها شيء من الترجل والرجولة ، أكثر مما هي عليه المرأة الأثينية ، فكانت الفتاة في اسبارطة تتصل منذ حداثتها بالفتيان ، مما جعلها بأن تتحلى بجملة من العواطف التي مازجتها ، فسارت جنباً إلى جنب مع عواطف ومشاعر الرجل ، ومن ثم اندفعت للخوض في معترك الشؤون العامة ، فكانت من النساء وطنيات ، حتى كان كثير من الرجال أو بعضهم يأخذون بآراء نسائهن ، بخلاف الأثينيين الذين كانوا يعيبون على الاسبارطيين ذلك ويقولون : إن حكومة اسبارطة إن هي إلا حكومة نساء .

(1) Edward Westermarck : L'origine et le développement des idées morales .

وبالعكس ، فكان يحظر على المرأة المتزوجة في أثينة أن تمارس الأعمال الخارجية ، أي خارج المنزل ، وبالرغم من هذا الحظر فقد استدل مما عثر عليه من الآثار كالتماثيل والتصاوير والرسوم المنقوشة على الأواني ان اليونانيات كن من ربات الزينة والنزهة في نطاق محدود ، فلا يخرجن من بيوتهن إلاّ نادراً.

من مراجعة الإلياذة التي هي مجموعة من شعر الحرب والفروسية ، والأوديسية التي هي مجموعة من شعر الرحالة والبحارة ، نجد في حرب **Troie** التي كان سبب اشتعال نارها امرأة جميلة اختطفت ، ولأجل استرجاعها وفك أسرها ، جهز جيش ، مما يدل على أنه كان للمرأة القديمة في الجماعة اليونانية قدر من الأهمية ، بالرغم من الظروف التي كانت تمر بها .

كما أن المرأة التي كانت تُسبى خلال الحرب وتُستعمل كأنها شيء من الأشياء الأخرى التي يتصرف بها ، فتنتقل من شخص إلى آخر ، ولذا فعندما تحل الهزيمة في جيش من المحاربين ، كانت النساء يبكين في الجيش المهزوم ويندبن أنفسهن لما سيحل بهن بعد موت أزواجهن ، فيصبحن ملكاً للجيش الغالب ، وغالباً ما تكون تلك الأسيرة امرأة شرعية لأحدهم .

وقد تحول تلك المرأة أحياناً إلى القيام بوظيفة خادمة حقيقية ، فتقوم بخدمة البيت وتذهب لتستقي الماء من نبعه .

وكانت توجد أسر حالتهن حسنة التنظيم ، حيث كانت المرأة تدير الأسرة بكاملها خير إدارة . وتقضي أوقاتها في داخل البيت ، فلا تخرج منه على الغالب وبكلمة أخرى فهي ملكة البيت ومديرته (١) .

---

(1) Couvreu, A. (Mademoiselle) : Histoire générale de féminisme des origines à nos jours .

وذكر محمد جميل بيهم : إن المرأة عند اليونان كانت قاصرة تحتاج إلى ولي في كل دور من أدوار حياتها ، وهو والدها إن كانت ابنة ، وزوجها إن كانت بعلة ، وولدها أو قريب لها إن كانت أرملة ، كما سيأتي في كلامنا عن كل دور من هذه الأدوار .

إن تربية البنات في العصر اليوناني كان من شأنها إنشاؤهن خادمات خاملات لا متنورات ، فلم يكن يوجد في أثينة مدارس لهن ، بل كانت فتيات الأغنياء يقتصرن على تلقن القراءة والكتابة في دورهم ، وأما الفقيرات والمتوسطات فكن يتلقين بعض معلومات دينية عن والداتهن الجاهلات في أثناء اهتمامهن بممارسة خدمة المنزل .

وبالإجمال فقد كانت الابنة في أثينة تكاد تكون متحجبة فلا تختلط بالذكور ، بل لا تجتمع بفتيات إلاّ في أثناء الاحتفالات الدينية الرسمية ، وكان وليها يبادر لتزويجها متى بلغت الخامسة عشر من عمرها ، تاركاً لبعلها إكمال تربيتها وفقاً لرغبته .

ولكن اسبارطة كانت من جهة التربية أوسع حرية من أثينة ، لأن البنات فيها كن ينشأن مثل نشأة الفتيان ، فيشاركنهم في مزاولة الألعاب الرياضية والرقص والموسيقى بالمعنى الواسع الذي كان اليونان يعنون بكلمة موسيقى .

وأما من حيث العلم فلم تختلف اسبارطة عن أثينة كما يفيد ذلك أريسطو حيث قال : « أقام الشارع في اسبارطة دور العلم العامة على أن ينشأ الرجال حسب استعدادهم في حين أن النساء يَبْقَيْنَ مهملات فيعشن بين ذلك الشعب الحربي في حياة السفه .

على أن اللاتي اختصصن بالتربية والتعليم بين النساء اليونانيات ، هن السراري المحظيات ، فقد كانوا يتعهدونهن بذلك أكثر من سواهن ، ذلك

لأن السراري يعبدون لملذات الرجال ، وأما بقية بنات البيوت ، فكان مصيرهن إلى الخدمة والتوليد وإدارة المنزل .

هذا وكانت سلطة الأولياء على البنات لا تحد ، فللولي أن يزوجها بدون استشارتها ، كما أن كل عقد معها لا يكون برضاه يعد لغواً ، بل كانت سلطة الأب أوسع من ذلك ، فله أن يدرج مصير ابنته في وصيته ، وعليها الطاعة بعد موته ، وإذا مات فلا ترث منه إن كان لها أخوة ، وإن لم يكن لها أخوة فإنها تصبح ذات علاقة بالإرث ، وإن كانت ليست بالوارثة فعلاً ، ذلك أنها تصير الزوجة للأكبر من ورثة والدها الأقربين ، والولد من هذا الزواج ينسب لجده ، وإليه ينتقل إرثها من أبيها وليس إليها .

ومن الغريب أن البنت ، ولو كانت متزوجة تترك في تلك الحال زوجها وأولادها ، وتصير إلى صاحب الحق من أقربائها ، إلا أن يكون زوجها الأول من أقربائها في الدرجة الثانية والثالثة .

وأما الزوجة ، فكان اليونان حريصين على رواج الزواج ، استكثاراً للنسل ولا سيما الذكور ، ولكن لم يكن الزواج مع ذلك من شأنه أن يوجد لديهم رابطة روحية بين الزوجين إلا أن يشاء الرجل ، لأن المرأة في زواجها كانت تكاد تندمج في جملة مقتنيات الرجل فيتصرف بها كيف شاء ، وهي مقيدة حتى قيل إنها لم تكن مفوضة بالانتقال من غرفة إلى أخرى من دون مشورته ، وهكذا فقلما كانت تتميز منزلتها عن جواريها ، بل ما كانت ميزتها إلا لكونها أم الأولاد ، القيمة الأمينة على الدار .

ولما كانت الزوجة في اعتبارهم من جملة المقتنيات ، كان التصرف فيها بينهم في بعض أزمنة تاريخهم أمراً غير منكر كما بينا ، ولحرصهم على كثرة الأولاد أطلقت حرية المرأة أيضاً في هذا الشأن ، فسمحت شريعة صولون للتي أصيب زوجها بمرض يعجزه عن النكاح أن تلجأ إلى سواه .

وربما بطلت فيما بعد تلك العادات المنافية للغيرة الطبيعية ، إذ هي لا تتلاءم مع ما وصل إلينا من تحفظ اليونان بالجنس اللطيف ، ومنعهم إياه عن الاختلاط بالجنس القوي ، ولو كان زئراً إلاّ بإذن الرجل ، ولا تنطبق على ما وصفوه من صرامة عقوبة الزانية فيما بعد .

ولكن مع ذلك لا ينكر ان الاقتران غير الشرعي لبث مرعياً في أثينة المتمدنة مدة مديدة ، وفي أثناء ذلك كان للرجل الحر حق الطلاق كما له التصرف فيما ملكت زوجته ، وأما هي المقيدة المتحجبة فلا تستطيع إجراء شيء إلا بإذنه ، بل لا تقدر أن تبيع وتشتّري لحسابها أكثر من خمسين ليتّراً من الشعير .

فلم يكن بالحقيقة سلطة للمرأة إلا بقدر ما يريد الرجل ، وكانت سلطة الرجل نافذة على امرأته حتّى بعد موته ، فكان له أن يدرج في وصيته انتقالها لمن يريد ، وعليها الإطاعة .

ولكن لم يلبث التمدن اليوناني أن كفل للمرأة بعض الإصلاح ، فسمح لها بالتملك والتصرف ، كما سمح لها بأن تطلب الطلاق وصار على الرجل إذا تصدى هو لطلاقها أن يعيد لها مهرها مع الفائدة .

ولم يكن للأم عند انيونان منزلة تغبط عليها بدليل ما قال تلماك لأمه الأرملة في فصل الأوديسية من الإلياذة : « عودي إلى دارك واهتمي بأعمالك ، بنسجك بمغزلك ، وأمري خدمك بالقيام بوظائفهم ، أما الكلام والأمر المطلق فهما من خصائص الرجال ، ومن حقوقي ، أنا صاحب البيت والرأس هنا ».

ولذلك فربما كانت عناية الرجل بنقل امرأته بعد موته إلى أحد أصحابه هي من قبيل الرحمة بها كيلا تقع تحت سلطة أهلها أو أهله ، حيث لا يكون للقلب تأثير في كبح العواطف القاسية فتتعذب .

كان اليونان يحذرون كثيراً من المرأة وينسبون إليها كل نقيصة عوراء حتى أنهم كانوا إذا أرادوا احتقار الرجل يدعونه امرأة ، كما تنص على ذلك الإلياذة .

وعلى الجملة ان المرأة على وجه عام كانت بنظرهم وفي مقدمتهم الفلاسفة مخلوقاً ناقصاً غير مستعد للحصول على فضيلة إلا بطريق الخضوع ،وإليك قول أريسطو «كلمة الرجل ليست كلمة المرأة ، فالطبيعة عينت الكل من المرأة والرقيق منزلته .

فاليونان ولا سيما أهل أثينة كانوا من الأمم التي اعتبرت المرأة متاعاً من أمتعة الدنيا التي وجدت لبحبوحة الرجل ، ولذلك كان عندهم بون شاسع بين الجنس القوي والجنس اللطيف في الحقوق .

ولكن تاريخ اليونان لم يخل مع ذلك من نسوة كان لهن مقام خاص في الأدب والعلم مثل صافو من أهل القرن السادس والسابع قبل الميلاد التي اشتهرت بالشعر واللطف ، ومثل الكاهنة أنيتا من أهل القرن الثالث قبل الميلاد التي اشتهرت بالطب والشعر ، وعلى حسب تقدير الباحث الفرنسي **Pélage** فقد بلغ عدد اليونانيات الفيلسوفات ٦٥ امرأة وقد أورد أسماءهن [١] .

---

(١) محمد جميل بيهم : المراة في التاريخ والشرائع ، ومن مصادر بحثه :
Shamann : Antiquité Greque , Aristote de république , H. Marion : Psychologie de la femme .
القضية النسائية، حالة المراة ، التاريخ الاخلاقي للنساء، والمراة فيالتاريخ.

المرأة الرومانية :

كانت الفتاة الرومانية في الأزمنة القديمة ، تحت سلطة الأب ، ثم تنتقل تلك السلطة للزوج عليها ، مما جعل المرأة الرومانية محرومة من حقوق المساواة مع الرجل ، مع العلم أن ذلك لم يمنعها بأن تكون معاملتها سيئة ، بل على العكس من ذلك فكان لها على العموم مركز محترم في الأسرة .

وقد لاحظ Bryce من العسير أن نشك بأن السلطة الواسعة التي خولها القانون الروماني للزوج ، أخذت تتلاشى وتختفي ضمن حدود ضيقة ، ليس فقط من حيث العاطفة ، بل أيضاً بواسطة الرأي العام المنتبه بأن الزواج أي هو إلاّ شركة صغيرة بين الرجل والمرأة .

ومن ثم أخذ سلطان الزوج وقيوده يتلاشى شيئاً فشيئاً ، حتى أصبح في عهد الامبراطورية شكلاً من الزواج الذي لا يخول الزوج أي سلطة على امرأته (١) .

ثم كان للمرأة الرومانية مقام رفيع في الهيئة الاجتماعية ، فكان زوجها يكرمها وأولادها وعبيدها يحترمونها ، وكانت الحاكمة المطلقة في بيتها ، وكانت تقدم الذبائح مثل زوجها في العبادات وتشاركه في الاهتمام بالأملاك .

كانت امرأة أغسطس قيصر شريكة له في آرائه ، وامرأة كلوديوس متسلطة عليه ، وكان أنطونيوس يلقب زوجته « أم السلطنة والشعب » ،

---

(١) Edward Westermarck : L'origine et le développement des idées morales .

والناس على دين ملوكهم ، فلم يكن إكرام المرأة في بيوت الخاصة والعامة أقل من إكرامها في قصور الملوك والعظماء .

وكانت للنساء جمعيات أدبية ، من ذلك جمعية حفظ الحشمة ، وجمعية الأمهات ونحو ذلك من الجمعيات التي طال عهدها إلى آخر السلطنة الرومانية .

ولم يكن للنساء صوت في انتخاب الحكام للمجالس البلدية ، ولكن كان لهن حق في تسمية من يردن انتخابه ، فكن يكتبن أسماء الذين يخترنهم ليكونوا حكاماً ويعلقنها على ألواح الإعلانات العمومية على جدران الشوارع .

وكن يُمنعن من دخول بعض الهياكل ، ولكن كانت هياكل أخرى خاصة بهن ، وكن كثيرات التقوى والورع حسنات السيرة والسريرة ، ولذلك أقبلن على الأديان الشرقية التي دخلت رومة من مصر والشام ، ثم أقبلن على الدين المسيحي واشتهرن بالتقوى والعبادة (١) .

وقد بدأت المرأة الرومانية بعد عام ٢٠٩ غالباً ، تتبوأ كثيراً من المراكز التي تعد من الدرجة الأولى في الأهمية ، مثل **Julia Domna** ، فقد ولدت في Enèse بسورية فكانت ابنة إله الشمس ، كما ظهرت على مسرح الحياة ولمع نجمها **Julia Moesa , Juli Soemias, Julia Manoea** .

فهذه الأميرات الأربع السوريات كن على جانب عظيم من الفطنة والذكاء والثقافة والطموح إلى المناصب الرفيعة ، فمارسن نشاطاً عظيماً في الأمور العامة ، مما جعل المرأة تحتل مكاناً رفيعاً في المجتمع الروماني ، من حيث الثروة المادية والحرية في النفوذ والسلطة الزوجية (٢) .

---

(١) مجلة المقتطف ٢٠/٨٥٨ .
(٢) Eugène Albertini : L'Empire romain .

وقد شكا بعضهم من ازدياد سلطان المرأة الرومانية فقال كاتو : لو أننا نحن الرومان احتفظنا بسلطة الرجل منذ أقدم الأزمنة ، ولم نسلم قيادنا للنساء لكانت بلادنا أرقى مما هي الآن [١] .

ونقل محمد فريد وجدي عن دائرة معارف القرن التاسع عشر قولها : كانت النساء عند الرومانيين محبات للعمل ، مثل محبة الرجال له ، وكن يشتغلن في بيوتهن ، أما الأزواج والآباء ، فكانوا يقتحمون غمرات الحروب ، وكان أهم أعمال النساء بعد تدبير المنزل الغزل وشغل الصوف ، وكن مغاليات في الحجاب لدرجة أن القابلة (الداية) كانت لا تخرج من دارها إلاّ مخفورة ووجهها ملثم باعتناء زائد ، وعليها رداء طويل يلامس الكعبين ، وفوق ذلك عباءة لا تسمح برؤية شكل قوامها [٢] .

وكان يوجد لدى الرومانيين شبه محكمة لمراقبة سيرة النساء وسلوكهن فهي تغاير تشكيلها ما عند اليونانيين حيث كان تشكيكها من القضاة لمراقبة سيرة النساء ، وسلوكهن ، بخلاف الرومانيين كان يسد مسد القضاة الخصوصيين عند اليونانيين ، فقد كان الزوج يجمع أقارب المرأة ويحكم عليها أمامهم ، فهذه المحكمة كانت حافظة في الجمهورية ، وهذه العادات نفسها كانت أيضاً حافظة للمحكمة ، ثم أن الحكم لم يكن يختص بمخالفة الشرائع ، ولكنه كان يتناول مخالفة العادات ، ومن المعلوم أن الحكم في مخالفة العادات يستلزم وجودها . . . فالمحكمة العائلية عند الرومانيين كانت تتعلق بالسيرة العمومية ، ولكن جريمة الزنا كان يباح لأي كان أن يشكوها فضلاً عن إجراء توبيخ المحكمة العائلية عليها . وذلك إما لأن الجمهورية كانت تحسب ان هذه الجريمة المخالفة للعادات أمراً يمس الحكومة ، وإما لأن فساد سيرة المرأة يوجب الشبهة

---

(١) السياسة الاسبوعية ١٩٢٩م ، عدد ١٦٩ .
(٢) محمد فريد وجدي : المراة المسلمة .

في سيرة الرجل . وإما لأنهم كانوا يخافون ان الرجال المصونين يؤثرون إخفاء تلك الجريمة على المعاقبة والتغاضي عنها على الانتقام فيها . . .

ثم أنه لما صارت الحكومة ملكية مقيدة تغيرت العادات وبطلت إباحة الشكوى وصار يخشى أن الرجل اللئيم إذا اغتاظ من احتقار إمرأة له وحنق من تمنعها وإبائها ، تربص السوء لها واخترع لها مكيدة ، ولذلك فإن شريعة « جوليا » قضت بأنه لا يسوغ اتهام المرأة بالزنا إلاّ بعد إتهام زوجها بأنه رضي بفسقها ووافقها عليه فخففت بذلك تلك الشكوى . بل امتنعت جملة ، غير أن « سيكس كوينت » كأنه أراد أن يعيد تلك الإباحة ، ولكن لو تأملنا قليلاً رأينا أنها في الملكية المقيدة أفسد عنها في سائر الملكيات .

وإن النساء بمقتضى نظام الرومانيين كانت تجري عليهن الوصاية المستمرة ، ما لم يكن تحت سلطة الزوج ، وكانت هذه الوصاية تعطى للأقربين من الذكور وكن فيما يظهر يتضايقن منها، فهذه الوصاية كانت جيدة للجمهورية خلافاً للملكية المقيدة ، فإنها لم تكن لازمة لها البتة .

وأن شريعة جوليا قضت بعقاب الزانية ، غير أن هذا الحكم مع ما سن بعده من الأحكام ، كان دليلاً على فساد العادات لا على طهارتها .

وان النهج السياسي الذي كان متبعاً بالنسبة إلى النساء قد تغير جملة في الملكية المقيدة ، ولم يعد المقصود تقرير طهارة العادات فيهن . ولكن لإجراء العقاب على ما يرتكبنه من الجروم ، فلم توضع قوانين جديدة للمعاقبة على الجروم بعدم إجراء العقاب في مخالفة العادات التي لم تكن عندهم جرماً .

ثم ان تجاوز حدود العادات واختراق حرمتها ألزم الامبراطوريين لسن شرائع يوقفون بها الفسق والفجور عند حد ما ، غير أنه لم يكن يخطر لهم البتة

أن يصلحوا العادات عموماً ، فإن الأمور التي ذكرها المؤرخون تثبت ذلك أكثر مما يمكن إثبات ضده بمقتضى تلك الشرائع .

نعم ان المؤرخين قد ذكروا ما صدر في أيام ملك أغسطس وملك تيبر من الأحكام القاسية على بعض النساء الرومانيات بسبب فسقهن ، إلا أنهم بينوا لنا شأن هذين الملكين في ذلك ، فعلمنا غرضهما من تلك الأحكام ، فإنهما افتكرا أول كل شيء أن يعاقب الفاسقين من أهلها ، وما أجريا العقاب البتة على مخالفة العادات ، ولكن على جريمة كانا ابتدعاها فيما يتعلق بالديانة ، أو بحقوق الملك متذرعين بذلك لحفظ وقارهم أو الأخذ بثأرهم من مرتكب تلك الجريمة ، ومن أجل ذلك هاج الكتّاب الرومانيون من هاته المظلمة .

إن العقاب بمقتضى شريعة جوليا كان خفيفاً فأراد الامبراطورون أن يزيدوه فيما كانوا يصدرونه من الأحكام ، فكان ذلك موضوعاً لكلام المؤرخين فيه باللوم والتنديد ، فإنهم لم يبحثوا إذا كانت النساء مستحقات للعقاب ، وإنما كان بحثهم فيما إذا كان قد حصل الخروج عن حد الشريعة لأجل معاقبتهن .

إن من أكبر مظالم الملك تيبر ، تجاوزه حد الشرائع القديمة ، فإنه لما كان يريد أن يعاقب امرأة رومانية بما هو أشد من المنصوص عليه في شريعة جوليا ، كان يعود في ذلك إلى المحكمة العائلية .

وهذه الأحكام بالنسبة للنساء لم تكن تتخذ إلا في حق اللواتي كن من عائلات السنيات ، لا من عائلة الشعب ، إذ كان المقصود وجود سبيل لتهمة الكبراء وما كان أوسع سبيلاً في ذلك من فساد النساء وسوء سيرتهن .

وإن الجهاز ينبغي أن يكون عظيماً في الملكيات المقيدة حتى يستطيع

الأزواج أن يصونوا مكانتهم ويحفظوا ترفهم وينبغي أن يكون معدوماً من الملكيات المطلقة حيث أن النساء فيها مستعبدات .

ومن حيث أن النساء بمقتضى حالتهن مائلات كل الميل إلى الزواج . فلا فائدة فيما تبيحه لهن الشريعة من المنافع من أموال الزوج ، بل يكون ذلك مضراً في الجمهورية ، لأن ثروتهن الخصوصية مجلبة للترف ، وأما في الملكيات المطلقة فتكون منافع الزواج فيها للنساء في مادة معيشتهن [1] .

وذكر بعضهم : لما كان الرومانيون يقدسون سلطة الفرد ، فقد منحوا الأب الذي هو كاهن البيت السلطة المطلقة على عائلته الى حد أنه كان إذا شاء طلق امرأته وطرد أولاده أو باعهم أو زوجهم مرغمين أو استولى على مقتنياتهم وثمرة أعمالهم .

ولاعتبارهم البنات ملك أبيهن ، فكان على الولي واجب تزويجهن منذ حداثة سنهن من غير أن يكون لهن رأي بنصيبهن ومستقبلهن ، وإذا أعطى وعداً بإحداهن فكان مسؤولاً بوفاء وعده .

ولم يكن للأب أن يزوج ابنته بالرغم عنها فحسب ، بل كان له أيضاً فيما اذا لم يكن اعترف حين العقد بالتخلي عن سلطته لأبوية ، حق له أن ينقض ما أبرمه من عقد الزواج ، وأن يسحب ابنته من دار زوجها الذي يحبها ومن بين اولادها ، وقد بقي ذلك إلى حكم أنطون العادل .

وكان في رومة جملة انواع من عقود الزواج تعترف بها الشريعة :

١ — الزواج الفخم وهو زواج الأشراف .

---

(١) مونتسكيو : اصول النواميس والشرائع .

٢ ـ زواج المبايعة وهو زواج العامة .

٣ ـ زواج الفقيرات الذي ينفذ شرعاً بعد عام من العقد . ففي الزواج الفخم تنتقل السلطة من الأب إلى الزوج ، وبهذا الزواج كن للمرأة إزاء ما عليها أن ترث من زوجها خلافاً للأنواع الأخرى من العقود .

أما الطلاق فلم يكن مرعياً في رومة قبل هذا التاريخ ، بيد أنه لم يلبث أن انتشر فيما بعد على شروط أساسها ضرورة عقد مجلس يعلن به الطلاق مثل المجلس الذي أعلن به الزواج .

ثم إن الفكرة العامة في رومة بالعصر الحديدي ، كانت تنكر على الأرملة زواجها ثانية ، وفاء لرجلها الأول ، ولكن تلك العادة ما لبثت أن تلاشت فيما بعد ، وبالنظر لامتهان الرومان المرأة واعتبارها مخلوقة للدار ، فلم يهتموا بتعليم وتثقيف بناتهم ، وإنما كانوا يدربونهن في بيوتهم على الخدمة والغزل والنسج .

ولكن مع كل ذلك فالمرأة الرومانية بالعصر الحديدي ، وإن كانت على شاكلة المرأة اليونانية في وضاعة المكانة العائلية والاجتماعية ، إلا أنها كانت أوفر حرية منها .

وأما المرأة الرومانية في العصر الذهبي ، فلما صارت رومة قاعدة لدولة كبيرة ، تبدل نظر أهلها إلى المرأة ، وتبدلت منزلتها عندهم ، فمن الاستعباد المحض أفلتت إلى الانطلاق المطلق ، وعندها مثلت الفتيات أدوار الرجال باستعباد الأزواج .

وبتأثير الرخاء والفساد والعبودية للجمال والاستسلام إلى العواطف استوى

على عرش كل قلب روماني . امرأة فأمسى الرجال رعية النساء وما أوفر رعية ملكات القلوب بين الرومان المسترسلين في الملذات .

ولبث حال النساء يتحسن في الشريعة الرومانية تبعاً لتحسنه في نظر الرجال ، حتى ان بلد الامبرطور « ديوكلتين ٢٨٤ — ٣٠٥ م » لم يبق أثر من وصاية الآباء والأزواج الشديدة ، كما أن الزواج صار من شأنه أن يؤيد استقلال المرأة الغنية ، واستمر ذلك إلى أن كاد المشترعون في حكم « يوستنيان ٥٢٧ — ٥٦٥ م » أن يضعوها على مستوى المساواة التامة مع الرجل في الحقوق .

وقد صارت للنساء منزلة حسنة في الهيئة الاجتماعية ، فقد قال جمس رونالدسن : إنهن أبدين في عهد الامبراطورية لا سيما في آسية الصغرى نشاطاً عاماً وحظين بالاحترام التام ، وأنهن كن ينتخبن لأعلى المناصب ، وقد بلغت كثيرات منهن أرفع المراتب الدينية في آسية وهي ربما أسمى كل علامات الشرف .

وان تساوي الزوجين بالحرية والإطلاق بالإضافة إلى أسباب أخر قبل استعداد النساء ، لذلك جعل الزواج ضعيف الرابطة مختلاً .

وروي عن القس جروم : ان امرأة رومانية تزوجت في المرة الرابعة والعشرين رجلاً كان تزوج من قبل ثلاثة وعشرين امرأة .

وأمسى الطلاق يقع لأقل مناسبة لأول ملل بين الزوجين ، وراجت الفحشاء رواجاً شديداً عندهم . قال بلوت : إن المحظيات كن كثيرات في رومة مثل الذباب في فصل الصيف ، وشاعت المصاحبة بين الجنسين إلى أن أدرجت في قوانينهم وخصص لها فيها فصول حتى صارت كأنها شرعية .

وتسرب الفساد لنساء القاصرة أيضاً حتى جاهرن به ، ولم تكن قوة المرأة

الرومانية في طلب العلم ، بل كانت قوتها في سلطان الجمال والدلال ، ونفوذها على قلوب استعبدتها الشهوات ، فالعلم في العصر الروماني الذهبي لم يشمل النساء بصورة جدية أكثر من عصرهم الحديدي . وإلى عهد الامبراطور أوغست قبيل المسيح ، لم يكن يوجد لديهم مدارس عامة للبنات ، ثم أن هذه المدارس وإن وجدت من بعد ، وعنيت بنشر العلم بين الجنس اللطيف ، إلاّ أنها كانت عقيمة في التربية والتعليم وفضلاً عن ذلك فإن الميول العامة كانت منصرفة نحو الرقص والموسيقى [١] .

وقال آخرون : لما علا منار التمدن في رومية ، منحتهن الشرائع منزلة سامية ، وفي جملتها حقوق التملك ، ودخلت سواميا مجلس الشيوخ — السنات— وأعطت صوتها في أمر تعديل الدستور على أن سواميا كانت أم الأمبراطور ، ومع ذلك فإنه حالما دخلت « السنات » سن قانون يحظر عليهن اقتفاء أثرها ، فكن محتقرات في أرقى الأقطار تمدناً ، ولزمن جانب الخضوع ، وتحولت فروسيتهن إلى الاشتغال بالولد ، وإلى احترام الزوج والأخ ، وكان أعظم امتيازاتهن على قول ثوسيديدس : أن لا يذكرهن الرجال بشر ولا بخير ، فكن عديمات الأهمية ، وانحصر الإرث في الذكور ، لذلك كان اليهودي يشكر ربه لأنه لم يخلقه « اميمياً ولا عبداً ولا امرأة » [٢] .

وذكر Paul Perrier : إن الزوجة الرومانية الشرعية كانت في رومة كالقهرمانة ، فكانت ذات إجلال واعتبار لدى المجتمع الروماني ، الذي ظل يقدس الزواج والعفاف ، حيث كان ركناً من أركان الحياة الاجتماعية فيه .

---

(١) جميل بيهم : المرأة في التاريخ والشرائع ، ومن مصادر بحثه : مجلة المباحث ، حالة المرأة ، التاريخ الاخلاقي للمرأة .
(٢) مجلة الاخاء ٣٢٢/٥ ، ٣٢٣ .

فإن قصص Virginie et de Lucrèce تبين لنا في وضوح ما هو ثمن العفاف وعفة النساء ، غير ان الحالة الشرعية للمرأة الرومانية ظلت أدنى في المساواة من الرجل ، فكان الأب يتصرف بابنته حسب رغبته وهواه ، فكانت الفتاة الرومانية لا تترك بيت أبيها إلاّ من أجل أن تنتقل من سلطان الأب إلى سلطان الزوج ، وهو مطلق اليدين في تسريحها وتطليقها .

ثم مع مرور الزمن ، فقد تبدلت تلك العادات القديمة ، حيث خسر الزواج قيمته المقدسة ، فكثُر الطلاق وتضاعف في أواخر عهود الجمهورية وفي مطلع الامبراطورية ، فقد طلق **Ciceron Terentia** عن امرأته لصديقه **Hortensius** .

كما أن سلطة الآباء التي كانت نافذة من قبل ، فقد أخذت تضعف وتصبح غير مطلقة تقريباً ، وذلك من صالح الأبناء ، ولا سيما النساء اللاتي دبت فيهن روح الاستقلال والانطلاق والتحرر ، مما سبب الحيرة والارتباك للمشترعين ورجال الأخلاق والفضيلة .

فأخذت العادات والأخلاق تنهزم أمام حرية النساء التي يكن يحملن بها ، ويتجاسرن للمطالبة بها من قبل ، وأصبحت كلمة الحرية والمساواة أصلاً من أصول الفلسفة الاجتماعية لمدة قرن من الزمن (1) .

وإن العائلة الرومانية حسب رأي **Couvreur , A . (Mademoiselle)** تنحصر غالباً في سلطة الأب ، ومن ثم في سلطة الزوج الذي تخوله الحقوق المكتسبة في رومية في غابر الأزمنة ، منها أن المرأة لا تملك شيئاً من الصداق الذي تدفعه للزوج ، ولا تحتفظ به ، بل الذي يملكه هو الزوج فقط . كما للزوج الحق بأن يطلق امرأته فيما إذا خانت الحياة الزوجية ، غير أنه يحظر عليه أن يطلقها بسبب العقم .

---

(1) **Paul Perrier : L'unité humaine.**

وحسب رأي Couvreur, A. كان الطلاق في القرون الأولى في رومة نادراً جداً ، حيث كان يعقد زواج الأشراف أمام الكهنة بحضور الشهود ، ولا يمكن فسخه إلاّ باحتفال ديني .

ولكن بمرور الزمن وتفكك الروابط العائلية ، حيث تلاشت تقريباً ، مما دعا أن يتضاعف الطلاق ، ولا سيما في السنين الأخيرة من حكم الجمهورية

وأما حالة المرأة الرومانية بالنظر لنص القانون وحماية الأخلاق من التدهور والانحطاط ، فالبرغم من كل ذلك فقد أخذت تجتمع في المجتمعات العامة مع الرجال ، وتقوم بقسم من أعمال زوجها ، بالرغم من أنّ القوانين الرومانية لم تخولها حق العمل في الشؤون العامة ، مما سبب قيام ثورتين عظيمتين في رومية (١) .

المرأة في اليهودية :

لم تشذ شريعة إسرائيل عن مناهج سائر الشرائع القديمة من اعتبار المرأة متاعاً للرجل من أمتعة الدنيا وتابعاً ، إلاّ أنها وضعت بعض الإصلاحات في ذلك مثلما فعلت في قضية التنزيه والتوحيد بالألوهية .

وبالنظر لما كانت عليه تلك الأمة من الحالة الحيوية والفتح ، قامت شريعتها على ما يقتضي لتلك الحالة من الخضوع التام لصاحب السيطرة والحرص على إكثار النسل والاعتماد على الجنس القوي ، وأما المرأة ممثلة الجنس اللطيف ،

---

(١) Couvreur, A. (Mademoiselle) : La femme aux différentes époques de l'histoire .

فكانت بمثابة شيء من الأشياء تباع وتسى ويتزوج بها وتطلق وتكاد تنتقل بالإرث ، ولا إرادة مرعية لها .

أجل بلغ من شريعة إسرائيل انها تحول سلطة الأفراد إلى حد أنها حثت الآباء أن يؤجروا أبناءهم لميعاد ،ويبيعوا بناتهم القاصرات بيع الرقيق حتى إذا أعجبت ابن الشاري جاز أن يتخذها سرية .

ولكن موسى عليه السلام نظر بعين الرحمة الى الأقارب من العبرانيين فقال : « إذا بيع لك أخوك العبراني ، أو أختك العبرانية وخدمك ست سنين ، ففي السنة السابعة تطلقه حراً من عندك » وفوق ذلك فقد أوصى بأن يزود المعتوق ، وأما إذا رفض التحرر فتخرز أذنه ويصير عبداً .

وبعد فإن حرص شريعة موسى على توفير النسل ، كان شديداً مثل حرص شريعتي مانو وكنفوشيوس حتّى قضت بأنه « إذا سكن أخوة معاً ومات واحد منهم ، وليس له ابن فلا تصير امرأة الميت إلى خارج ، لرجل أجنبي ، أخو زوجها يدخل ويتخذها لنفسه زوجة ويقوم لها بواجب أخي الزوج ، والبكر الذي تلده يقوم باسم أخيه الميت لئلا يمحى اسمه من إسرائيل » وإذا لم يرض الأخ أن يتزوج منها تشكوه إلى الشيوخ ، وإذا أصر تتقدم إليه أمامهم وتخلع نعله من رجله وتبصق في وجهه وتصرخ وتقول : هكذا يفعل بالرجل الذي لا يبني بيت أخيه ، فيدعى اسمه في إسرائيل بيت مخلوع النعل .

وكانت المرأة عندهم غير طاهرة بالفطرة ، فالتي تلد ذكراً تبقى سبعة أيام غير طاهرة ، ثم تقضي لاستكمال طهارتها ثلاثة وثلاثين يوماً منذ الولادة ، ويحظر عليها الدخول إلى قلب المعبد مدة أربعين يوماً ، وأما التي تلد أنثى فيلزمها ضعف المدة .

وتكاد تعتبر المرأة في وقت الحيض امرأة نجسة عندهم ، ومَنْ يمسها

أو يمس مقعدها يكون غير نقي إلى المساء ، ولاتطهر إلاّ بالماء البارد ، ولا يقربها زوجها إلاّ بشهادة من رأتها تغتسل .

وإن كانت الشريعة الاسرائيلية تأمر بتكريم الأم أسوة بالأب ، ولكن على توالي الأيام صار للوالدة المقام الثانوي ، وبات فخرها لمجرد كونها أم الأولاد .

وأما المرأة في الهيئة الاجتماعية فليس لها عند اليهود منزلة أيضاً ، فهي شخص منحص عن مستوى الإنسانية سّي تتمثل في الرجل وحده ، كما أنها غير طاهرة ، ولذلك فإنها فضلاً عن حرمانها من الإرث بوجود الذكر لا تقبل بتاتاً في الوظائف الدينية ، ولا تقبل شهادتها ، بل لا يعتد بنذرها وقسمها ، سواء كانت بنتاً أو زوجة ، إلاّ أن يثبت ذلك أبوها أو زوجها بسكوته .

وإن شريعة إسرائيل وإن كانت تحط من مقام المرأة جرياً على سنة الكون وقتئذ ، غير أنها مع ذلك تعتبر شريعة اصلاح ؛ إن تلك الشريعة ، وإن لم تشرك المرأة في وظائف خدمة الدين ، إلاّ أنها أشركتها في وجوب الإيمان وفي الواجبات والمكافآت ، بل أن موسى عليه السلام يعترف لها بحق هو عند الأمم من أكبر المواهب الدنيوية والأخروية وهي موهبة النبوة .

فقد جاء في التلمود : أكرموا نساءكم لأنهن منبع حقيقي للبركات ، وكذلك أحبوهن كما تحبون أنفسكم وأكرموهن على أنفسكم لأنهن يقررن السلام في مساكنكم » .

وجاء أيضاً في هذا الشأن : فليحذر الرجل من مس عواطف زوجته ، لأن قلبها حساس لأقل مسيس وعيناها تسكبان بسهولة عبرات التأثر وكذا وإن أردتم إيراد ملاحظة لنسائكم أو تذكيراً بواجب فخاطبوهن بلطف

وسكوت ، راعوا شعورهن الرقيق وتقدموا إلى عواطفهن ، فهذا هو السبيل الأكيد لاستمالتهن .

وأما الطلاق فإن اليهودية لم تمنعه ، إلاّ أن أنبياء إسرائيل ما انفكوا عن إظهار مضاره ، كما أنه سمح للضرورة للمرأة أن تلجأ لطلبه .

وذهب بعض علماء إسرائيل القدامى بأن في تعليم المرأة خروجاً بها عن الدين ، غير أنه قرر جمهور منهم وجوب تعليمها العلوم الدينية ، واشتهر في تاريخهم نفر من الجنس اللطيف في ذلك منهن : جلكا ، وبروريه ، وزوجةماير .

كما أن بقية النساء لم يكن محرومات من المداخلة بشؤون الأمة ، ومقام الشورى ، كلا بل هن اللائي كن يغنين في خلاص الشعب بعد اجتياز البحر الأحمر ، وهن اللائي أعلن انتصارات جدعون وداود . وما أحرى من مريم أخت موسى ودبورة ، ويوديث ، وأستير أن يعددن بمصاف العظيمات من النسوة .

وصفوة القول : إن شريعة موسى وإن جعلت طبقة النساء دون الرجال في الرتب الإنسانية ، ولكنها حوت نوعاً من الأحكام والوصايا بشأن المرأة (١) .

قال صَمُوئيل لِشَاوُل . . . : فالآن اذهب واضرب عماليق وحرِّموا كل ما له ولا تعف عنهم ، بل اقتل رجلاً وامرأة ، طفلاً ورضيعاً ، بقراً

---

(١) جميل بيهم : المرأة في التاريخ والشرائع ، ومن مصادر بحثه : التوراة سفر التثنية اصحاح ٢٤ ، ٢٥ ، ٧ ، ١٧ ، ٥ ، ٢٧ ، وسفر العدد اصحاح ٣٠ ، ٢١ ، ٢٧ . حالة المرأة ، المرأة المسلمة ، القضية النسائية ، المرأة في التاريخ والشرائع .

وغنماً ، جملاً وحماراً ، فاستحضر شاول الشعب وعدّه في طلايم مئتي ألف راجل وعشرة آلاف رجل من يَهُوذا [1] .

وذكر Westermarck [1]ان المرأة الإهودية التي تكون ربة دار كانت على جانب من الاحترام والاعتبار وعلا مقامها على عموم النساء المتزوجات في جميع البلاد الأخرى من الشرق .

غير أننا لا نعلم على الضبط والتحقيق ، مدى سلطة الزوج على الزوجة لدى العبرانيين ، حيث كان يمكن للعبري أن يطلق امرأته بخلاف المرأة فإنها لا تستطيع أن تنفصل عن زوجها وتفسخ عقد الزواج إلاّ في حالات خاصة ، منها إذا شذ وأطلق لنفسه العنان ولم يتقيد بما يفرضه عليه الزواج من حرمة للحياة الزوجية ، أو كان الزوج عنيناً لا يستطيع القيام بالعلاقة التناسلية ، فيمهل في هذه الحالة مدة لا تتجاوز عشر سنوات ، أو إذا أصابه مرض عضال لا يمكن شفاؤه ، وإذا كان الزوج يغادر بلده دائماً ويترك زوجته فيه .

وقد أمر التلمود الزوج بأن يحب امرأته كحبه لنفسه ، وأن يعتبرها أكثر من نفسه ، مع المراقبة لها في سير أعمالها وتصرفاتها ، وأن لا يتركها تستقل بحكم نفسها [2] .

وذكر بعضهم : ان المرأة الاسرائيلية تتحسن أحوالها بعد زواجها بعض الشيء فهي تتمتع بشيء من الحرية ، ولها سلطة لا يتصور أن تكون لامرأة مشتراة كسلعة أو كعبد رق .

---

(١) الكتاب المقدس ـ العهد القديم ـ صموئيل .

(٢) Edward Westermarck : L'origine et le développement des idées morales .

فالمرأة العبرانية لم تكن قط محجوراً عليها ، بل كان في استطاعتها أن تباشر أعمالاً خاصة في خارج أسرتها ، وأن تكون لها مشاركة في الحياةالعمومية.

ولا شك في أن أمر (دبوره) ، وكانت زوجة لفيدوت متولية قضاء بني إسرائيل في ذلك الزمان ، ولدينا شواهد أخرى تثبت لنا أن النساء لم يكن محظوراً عليهن المشاركة في بعض الشؤون الاجتماعية ، فزوجة تقوع تناقشت مع الملك داود ، وامرأة إبل بيت مكةأخذت على نفسها إنقاذ مدينتها المحاصرة كما أن النساء خرجن بعد انتصار داود لملاقاة الملك شاول ووجهن إليه تهانئهن السخرية ، وامرأة شونم وجدت في نفسها غنى عن زوجها وطالبت الملك برد ملك لها ، وأبيجائيل تعهدت بهبة في مقابل الإبقاء على ثروة بيتها .

هذا كله يدلنا على ما كان للمرأة المتزوجة في ذلك العهد من الاثرة والاستقلال على أن من هؤلاء النسوة من أصبحن ملكات ، وحفظن التيجان على رؤوسهن حيناً من الزمن .

ومهما يكن من الأمر فلا يسوغ لنا أن نستنتج من هذه الشواهد كلها ان المرأة المتزوجة كانت متمتعةبحرية لا تقف عند حد،فإن الواقع لميدلنا لسوء طالع المرأة على شيء من ذلك ، فلقد كان الزوج السيد المطلق على زوجته ، وكان واجباً عليها أن تطيعه طاعة عمياء ، وكان له وحده حق الطلاق ، كما أن قانون الغيرة كان في مصلحته من كل وجه ، كان في إمكانه أن يستوثق من احترام زوجته من غير أن يخشى غائلة سعيه ، فإذا أثبت احترامها احتملت الجور ، وإذا تبينت براءتها فلا خلاف عليه ، ولا هو يحزن لأنه لا سبيل إلى اتهامه بأنه تعمد الإضرار بها ، ولايوجد قانون من هذا النوع في مصلحة الجنس الضعيف [1] .

---

(١) جان امل ريك : مركز المراة في قانون حمورابي والقانون الموسوي .

المرأة في النصرانية :

قدم القديس بولس إلى تلاميذه وأتباعه ، نصائح عملية حدد بها وظائف وأعمال كل من المرأة والرجل ، فمن رسالته إلى أهل كُوكُوسّي : أيتها النساء اخضعن لرجالكن كما يليق في الرب ، أيها الرجال أحبوا نساءكم ولا تكونوا قساة عليهن (١) .

وقال في رسالة إلى ثيمُوثاوس : أكرم الأرامل اللواتي هن بالحقيقة أرامل (٢) ، ولكن إن كانت أرملة لها أولاد أو حفدة ، فليتعلموا أولاً أن يوقروا أهل بيتهم ويوفوا والديهم المكافأة . لأن هذا صالح ومقبول أمام الله ، ولكن التي هي بالحقيقة أرملة وحيدة ، فقد ألقت رجاءها على الله ، وهي تواظب الطلبات والصلوات ليلاً ونهاراً ، وأما المتنعة فقد ماتت وهي حية فأوصي بهذا لكي يكن بلا لوم ، وإن كان أحد لا يعتني بخاصته ، ولا سيما أهل بيته فقد أنكر الإيمان وهو شرف غير المؤمنين ليُكتبْ أرملة إن لم يكن عمرها أقل من ستين سنة امرأة رجل واحد مشهوداً لها في أعمالها صالحة إن تكن قد ربت الأولاد ، أضافت الغرباء ، غسلت أرجل القديسين ، ساعدت المتضايقين ، اتبعت كل عمل صالح ، أما الأرامل الحَدَثات فارفضهن لأنهن متى بطرن على المسيح يردن أن يتزوجن ، ولهن دينونة لأنهن رفضن الإيمان الأول ، ومع ذلك أيضاً يتعلمن أن يكن بطالات يطفن البيوت ، ولسن بطالات فقط ، بل مِهذارات أيضاً وفضوليات يتكلمن بما لا يجب ، فأريد أن الحدثات يتزوجن ويلدن ويدبرن البيوت ولا يعطين علة للمُقاوم من أجل الشتم ، فإن بعضهن قد انحرفن وراء الشيطان إن كان لمؤمن أو مؤمنة

---

(١) رسالة بولس الرسول الى أهل كوكوسي ــ الاصحاح الثالث .
(٢) رسالة بولس الرسول الاولى الى تيموثاوس ــ الاصحاح الخامس.

أرامل ، فليس عدهن ولا يثقل على الكنيسة لكي تساعد هي اللواتي هن بالحقيقة أرامل [1] .

ووجه القديس بولس إلى أهل كورنثوس الرسالة الآتية : ولكن أريد أن تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح وأما رأس المرأة فهو الرجل ورأس المسيح هو الله . . . فإن الرجل لا ينبغي أن يغطي رأسه لكونه صورة الله ومجده (في الصلاة) ، وأما المرأة فهي مجد الرجل لأن الرجل ليس من المرأة بل المرأة من الرجل. ولأن الرجل لم يخلق من أجل المرأة ، بل المرأة من أجل الرجل ، لهذا ينبغي للمرأة أن يكون لها سلطان على رأسها من أجل الملائكة . غير أن الرجل ليس دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل في الرب لأنه كما أن المرأة هي من الرجل هكذا الرجل أيضاً هو من المرأة ولكن جميع الأشياء هي من الله [2] .

وأما ما جاء بشأن الراهبات فيشترط في معرفة الراهبات عدا ولايته بتقليد خاص من الأسقف لسماع اعترافهن أن يكون متفرداً بالفطنة متساوياً بالتقوى ذا علم خاص [1] .

رجاء في حق الراهبات ما يأتي : أولا – ديورة الراهبات لا تقام ولا تبنى إلاّ بإذن الأسقف ويلزمه الاهتمام بإقامتها في مكان أمين جداً حيث لا يخشى عليها من الملل الغريبة وغيرهم ، والأولى انها تكون بين القرى المسكونة من بني ملتنا فقط . وليكن عدد الراهبات في الديورة مقدار معاشهم من مداخيل

---

(١) رسالة بولس الرسول الى تيموثاوس ـ الاصحاح الخامس .
(٢) رسالة بولس الرسول الاولى الى اهل كورنتوس ـ الاصحاح الحادي عشر .
(٣) بولس الياس الدبس : مرشد المستفصحين لنوال الدرجات المقدسة .

الدير ومن تعب يدهم ومن صدقات المؤمنين المعتادة ، ولا يسكن الدير إلاّ خمس عشر راهبة ناذرة ، وأقله عشر راهبات .

وتدبير الراهبات يختص بأسقف المكان وهو يدبرهن على يد راهب بالروحيات والجسدنيات ، ولكن هذا الراهب المتوكل عليهن لا يسمع اعترافهن ، بل يهتم في أمورهن وفي أب الاعتراف ويدبر أرزاق الدير الزمنية مع الرئيسة والوكيلة .

وتدبير دراهم الدير يختص بالرئيسة وراهبة أخرى معينة ...

ولا أحد من الأهل والأقارب أو غيرهم يلزم بنتاً بكراً أو امرأة في الرهبنة غصباً ، أو يتحايل عليها بنوع ما لترهب وتنذر ، فمن فعل ذلك إكليريكياً كان أو راهباً أو علمانياً فيسقط تحت الحرم . . .

ولا تقبل في الدير بكراً أو امرأة بغير إذن الأسقف ورضى أكثر الراهبات ، ولا تنذر إلاّ بعد كمال السنة السادسة عشر من عمرها وبعد السنة في التجربة ولبس الثوب الرهباني إلى آخره من الشروط .

ولا تنتخب الرئيسة إلاّ بعد بلوغها أربعين سنة بعد ما عاشت عيشة حميدة ثمان سنين بعد نذرها إن أمكن .

ويعتني الأسقف أن تعترف الراهبات أقله في كل شهر مرتين [1] . . .

ونصح Saint Jérôme وهو من أشهر آباء الكنيسة اللاتينية ،

---

(١) المجمع اللبناني طبع سنة ١٧٨٨م.

النساء بالاشتغال في تهيئة الصوف لنسجه والعمل في المغازل وكل ما يتعلق في هذا النوع من الأعمال [1] .

وذكر Wrsmer Berlière أن أديرة النساء كانت في القرنين الثالث عشر والرابع عشر للميلاد ، تتقبل النساء فيها القرابين والنذور ، غير أن تلك الأديرة على العموم كانت خاضعة لرئيس الدير .

وقد شوهد في Bèze ان رجلاً وهب نفسه إلى الدير مع امرأته وولديه لأجل الخدمة فيه .

كما وهب زوجان أنفسهما وأملاكهما سنة ١٢٣٢ م إلى دير Wallone .

وكان كثير من الرجال مع نسائهم يقدمون أنفسهم لبعض الأديرة للخدمةفيه.

قال Rossignol : كان كثير من الفتيات يقدمن أنفسهن وأملاكهن إلى الدير ، ابتغاء الخدمة فيه والأجر والثواب من الله تعالى [2] .

وذكر Westermarck ان الكنيسة قد حسنت حالة المرأة المتزوجة،غير أنها من جهة أخرى كانت مسؤولة عن الحرية الشخصية والملكية ، حيث كن يتعذبن حتى وقت ليس ببعيد عن عصرنا الحاضر .

إن النصرانية قد فرضت على الزوج أن يحب امرأته كما يحب نفسه ، وأن يرفع من مقام الجنس الضعيف وأوجبت على المرأة أن تكون تحت رعاية الرجل .

---

(١) Louis Frank : L'éducation domestique des jeunes filles.

(٢) Wrsmer Berlière : La famille dans les monastères bénédictins de moyen àge .

وبهذا كان الزوج رئيساً للمرأة كما كان المسيح رئيساً للكنيسة ، ويجب أن تكون النسوة خاضعات لأزواجهن في جميع الأمور .

ثم تساءل وستر مارك فقال : هل أدت النصرانية ، فلم تمس عظمة الرجل أو تحد من سلطانه ، بل تركت المرأة تخضع لزوجها .

ثم أخذت النصرانية تتطور تطوراً جديداً ، حيث انتشرت في الامبراطورية الرومانية ، فأثرت أولاً في الطبقة الشعبية شيئاً فشيئاً ، فكان مستواها أكثر تقدماً ورقياً من ذي قبل .

ثم تساءل وستر مارك فقال : هل أتت النصرانية بشأن المرأة بشيء جديد فأجاب فقال : قبل أن نجيب على ذلك يجب علينا أن نلاحظ بصورة عامة ، ان النصرانية الأصيلة هي ديانة محافظة جداً وأصولها كانت تغاير وتخالف أصول الجماعات القديمة قبل انتشارها في تلك الربوع ، فنجد النساء يؤدين دوراً خاصاً ولا سيما اللاتي لم يكن مرتبطات برباط عائلي كالأرامل والعذارى[1] .

وقال وستر مارك في محل آخر من كتابه : إنه جرى حوار في مجمع Mâcon حوالى أواخر القرن السادس عشر ، فنهض أحد المطارنة وأثار قضية المرأة لمعرفة هل هي حقيقة كائن بشري ، وقد اختلفوا في أمرها ، غير أن معظم أعضاء هذا المجمع أقر واعترف بأنه بالرغم من جميع عيوبها ، فإن المرأة عضوة من النوع البشري .

ومع ذلك فإن بعض آباء الكنيسة قالوا ان الأنوثة تملك ذلك الحق بأن تكون عضوة في المجتمع البشري فقط في العالم الدنيوي ، وأما في القيامة فإن عموم النساء يظهرن بشكل كائنات بدون جنس .

---

(١) Edward Westermarck : L'origine et le développement des idées morales .

وإن تقدم الحضارة البشرية قد أثرت تأثيراً كان في صالح المرأة ووسعت الهوة التي تفصل بين الجنسين وظلت تحافظ وتدعم مزايا الرجل في التقدم الحضاري ، وظلت النصرانية وجميع نصوصها الكنسية التي انتشرت في العالم وهي تحول دون تقدم الجنس النسائي ، مع الأخذ بعين الاعتبار انها أوجبت عليه أن يتحلى بالطهارة والعفاف [١] .

وقال Paul Perrier : من المستحيل أن نشرح ونفصل دور المرأة في النصرانية ، نعم فإنها رفعت مقام المرأة ، وحسنت حالها ، فقد حرمت التعدي على عفافها ، وحالت دون هجمات الرجل الجنسية عليها ، وأعلنت المساواة الواجبة بين الزوج والزوجة .

وعلى الخصوص ، فقد منحتها مركزاً رفيعاً في الكنيسة ، هو أرفع شيء وأثمنه من الفضائل النسائية ؛ ألا وهو المحافظة على عفافها وطهارتها ، فمنحتها امتيازاً ، وأمرت بالحنان والعطف عليها ، مما لم يكن معروفاً في الديانات التي سبقتها ، التي جعلت من جنس المرأة سبباً للشر المستطير ، وكراهيتها واحتقارها من قبل معتنقي تلك الديانات [٢] .

وقال بعضهم عن المرأة في الكنيسة المسيحية : كانت تعاليم المسيحية الأساسية عكس روح التعاليم المعاصرة ، ومن نصوصها : ان ليس يهودي ويوناني ، عبد وحر ، ذكر وأنثى ، بل الكل في الرب ، هنا تجد السيدة ديانة ترعى كرامتها ، وقد أسندت الكنيسة إليهن في أول عهدها ، فكن مبشرات ومدبرات وشماسات ، وشاركن الرجال في حمل الاضطهاد ، وفي الاستشهاد وكن دعامة الكنيسة الأولى .

---

(١) Edward Westermarck : L'origine et le développement des idées morales .

(٢) Paul Perrier : L'unité humaine ,I.

على أنهن بعدئذ خسرن سطوتهن ، ولا سيما في الكنائس الشرقية ، إذ نشأ منهن في الغرب شهيرات من سيهو الشاعرة إلى إليصابات ملكة انكلترة وظهرت في التاريخ شخصيات بارزة منهن كاترين الروسية ، وجان دارك الفرنسية وماري تريزا الألمانية وفلورنس نيتنغال الانكليزية ، ونجد لهن مركزاً عالياً في روايات اليونان.وفي روايات شكسبير مما يدل على ان الزمان لم يستأهل قابليتهن للإرتقاء ، وكن من حين إلى حين يطبعن الزمان بطابعهن ، هذا ما كان منهن في الغرب ، أما في الشرق فكان كما ترى [1] .

وجاء في مجلة المصور : ان الكنيسة الانكليزية كانت محافظة قبل اليوم (١٩٢٧ م) على التقاليد القاضية بأن تقسم المرأة عند الزواج بأن تكون مطيعة لزوجها . لكن زعيمات الحركة النسائية في انكلترة قمن بحملة على هذه العادة القديمة وطلبن إلغاءها .

وقد اجتمع أخيراً المطارنة الانجيليكانيون وقرروا ان للزوجة الحرية التامة في أن تقسم الطاعة لزوجها أم لا حسبما تريد ، أما الزوج ففي استطاعته أيضاً أن يطلب القسم أو أن يتنازل عنه.وإذا طلبه ورفضت الزوجة أن تقسم فيصبح له الخيار إما في الإذعان لإرادتها وإما في العدول عن الزواج [2] .

وقال علي افندي : كان الآباء (آباء الكنيسة) يكتبون وصاياهم محذرين من مضار النساء وسوأتهن وشرورهن . ولقد وصف ترتليان ذلك الشعور العام في كتاب وصف فيه المرأة بأنها باب الشيطان التي أغرت آدم على الأكل من الشجرة المحرمة فاعتدى بذلك على القانون المقدس ، وأنها مفسدة لتمثال الله وهو الرجل .

---

(١) مجلة الاخاء ٣٢٢/٥ — ٣٢٣ .
(٢) المصور عدد ١٢٦ سنة ١٩٢٧م.

وقال كريستم الذي يعتبر قديساً طاهر الروح ، إن الرجل حاول أن يجد الطيبة في نفس المرأة فلم يجد شيئاً من ذلك فأدرك حكمة أقوال الآباء في بناتهم .

وقال لكي : إن المرأة شر لا بد منه ، وعقم طبيعي ومصيبة مرغوب فيها وضرر لا مندوحة عنه ومرض دائم .

ولقد حرمت الكنيسة الأرثوذكسية المرأة من القيام بالواجبات الدينية إلا التافهة منها .

وكانت المرأة محرومة في الهيئة الاجتماعية كل الحرمان ، ولا يسمح لها مطلقاً أن تظهر للجمهور أو تحضر المآدب والحفلات .

هكذا كان مركز المرأة في المسيحية . . . على أنه في العصر الذي أعقب ذلك الزمان أعني في تلك الفترة التي مرت بين سقوط الدولة الغربية ونهوض الهيئة الاجتماعية المدنية في أوربة ، فأصلحت الأديرة من شأن المرأة ، وكان لعصر مخصوص حيث كان ازدراء شأن امرأة أمراً عادياً ، يجري كل يوم ، وكانت الأخلاق في الدرك الأسفل من الانحطاط [1] .

وقال جميل بيهم : ان نظر مؤسسي المسيحية إلى المرأة، كما أنه تطور بتطور الأزمان ، فإنه مرتبط بأصله ، اليهودية من جهة ، وبالرومان من جهة ثانية ، لكن النصرانية مع ذلك لم تخل من إصلاح في حال المرأة ، كما أصلحتها اليهودية من قبل ، والإسلام من بعد ، لأن لكل جديد ميزات حسب سنة النشوء والارتقاء ، والجهتان أي اليهودية والرومانية كانتا تنزلان المرأة منزلة وضيعة في الهيئة الاجتماعية .

---

(١) علي الهندي : مركز المراة في الاسلام .

وإن تصريحات رؤساء الدين المسيحي أيدت منزلة المرأة انها مما خلق لأجل الرجل . . .

وبينا ترى وصايا الرسل للجنسين يأمرون النساء بالخضوع كما للرب ، او كما تخضع الكنيسة للمسيح تراهم يحضون الرجال على المحبة وحسن المعاملة لهن .

هذا وكما أن المسيحية لم تساو الجنسين في الهيئة الاجتماعية ، فإنها أبت مساواتها في التشكيلات الإكليريكية أيضاً ، حتى أنها لم تسمح لها أبداً بالتداخل في إدارة الطقوس الدينية ولا بالكلام في الكنيسة .

وهكذا فإن المسيحية جاءت على ما جرت عليه المدنيات السابقة من تقرير سيادة الرجل وتثبيت وصايته على المرأة معتبرة إياها قاصرة ، ولا بدع أن تهمل المسيحية المرأة لما تأسست عليه من الزهد بالدنيا إلى حد أنها حسنت العزوبة والفقر خلافاً لسائر الأديان .

على أن الديانة المسيحية وإن لم تقض بمساواة الجنسين فإنها لم تهمل جانب الإصلاح . وفضلاً عن جريانها مجرى شريعة موسى بإشراكها المرأة مع الرجل في موضوع الحياة الأخرى ، منحتها المساواة الروحية .

أما الطلاق فقد جاء صريحاً منعه في جواب المسيح للفريسيين على سؤالهم ، مع أن الطلاق طبيعي لا يجب أن يمنع ، إذ ليست العقود الزوجية إلا من قبيل سائر العقود التي وضعت للمصلحة الاجتماعية ، يجب حلها متى صار دوامها سبباً للشقاء بدل الراحة ، ولكن لما صار الطلاق عند اليهود أمراً عادياً يحدث في معظم الأوقات رغبة من الرجل في التلذذ أو لسوء خلقه أو لجهله ، وليس لدفع الضرر أصبح منعه وقتئذ من جملة ما حفظ حقوق المرأة إلا أن المسيحية لم تلبث إلا أن إجازته على شروط ، ثم صرح به التمدن الحديث .

وأما تعدد الزوجات فلم يتعرض له المسيح ، ولكن كان من الطبيعي ملاشاته عاجلاً لدى قوم بلغ منهم الزهد بالدنيا مبلغ تفضيل العزوبة على الزواج كما يستفاد من قول بولس .

وأما الحجاب فكان الخمار فقط ، غير أن النصرانية جرت مجرى غيرها في التحظير من التبرج والزينة .

وأسوة ببقية الأديان والمدنيات القديمة لم تغفل المسيحية عن التوصية بالأمهات تبعاً لليهود خاصة .

ولم تقتصر أيضاً في توصية الزوجين كل بالآخر والتسوية بينهما في الحقوق المتعلقة بالجسد .

وأما المرأة في نظر الكنيسة فقد تبدلت الحال عما كانت في النصرانية في زمنها الأول . قالت مدام دفريل : فالكنيسة الناسية ، من ثم كلام المسيح الذي قاله : «لم يعد يوجد سيد ولا رقيق ولا رجل ولا امرأة ولا يهودي ولا وثني ، وإنما كلكم إخوان » نسيت أيضاً أن ترفع شأن المرأة ، إن آباء الكنيسة نهضوا ضد الفساد الجامع الفاشي في كل مكان ، ولكنهم إذ لم يتجاسروا على التعرض للرجل صاحب السلطة ، فقد تحولوا للتحامل على المرأة ، حتى صارت في نظرهم حيوان اللذات فحوّلوا إليها الكره العام وبغضاً بها علموا التقشف عن الملذات التذكارات النفسية يلقون على المرأة حمل الرذيلة متوهمين بأنه ملتصق بها من الفطرة ، وبذلك صارت المرأة بعين الكنيسة شريكة الشيطان غير طاهرة ، مضيعة الإنسانية ، أما الرجل فوحده خلق على صورة الله ، وعلى المرأة بالإجمال أن تكون تابعة له ، بل عبدته ، وقد توسع لديها هذا المبدأ حتى أنها في مجمع ماكون سنة ٥٨١ م جرى بحث فيما إذا كان للمرأة نفس ، وعما إذا كانت تعتبر من جملة البشرية .

وحباً في كرامة أعضاء هذا المجمع فلنبادر إلى التصريح بأنه بعد جدال طويل وعنيف كان الجواب إيجابياً ولكن بأكثرية قليلة .

فكم كانت القساوة على النساء شيئاً عادياً في القرون الأولى للمسيح ، يشهد على ذلك القديس أوغسطين في اعترافاته ، فلما أتى بعض صديقات أمه القديسة « مونيك » يشكون إليها ضرب أزواجهن لهن ، فبدلاً من أن ترق لهن وجدت ذلك أمراً طبيعياً ، وحكمت عليهن بأنهن استحققن هذا التأديب بردهن في وجه بعولتهن أو لقلة احترامهن لهم .

هذا وجاء بعض الفلاسفة الذين وصموا المرأة بأنها نكبة أنحس من الأفعى ، فسموها منبع الشر وأصل الخطيئة وحجر القبر وباب جهنم ومآل التعاسة .

وإن « ترتوللين » صرخ قائلاً : أيتها المرأة يجب عليك دائماً أن تكوني مغطاة بالحداد والفوانيس لا تظهرين للأبصار إلاّ بمظهر الخاطئة الحزينة الغارقة في الدموع .

وأما المرأة في خدمة الدين فكما كان للرجال أثر في خدمة المسيح ودينه ، فقد كان للنساء مثل ذلك فناصرنه وأيدنه مثلما فعلن من بعد مع نبينا محمد(ص) ذلك لأن الجنس اللطيف لرقة شعوره أقرب إلى التصديق وأوفر اندفاعاً ومفاداة في سبيل الاعتقاد .

أجل إن النساء تداخلن في حياة المسيح في أعماله وأسفاره ، ولازمن صحبته ، فأذكر ما جاء في الأنجيل حيث ذكر الأخذ به للصلب .

وفي مقدمة أولئك النسوة اللاتي خدمن المسيح ، وتبعنه مريم المجدلية ويونا ومريم أم يعقوب .

ثم شكل الجنس اللطيف بعد المسيح طبقة خاصة بين تلامذته ، واشتركن في بعض الوظائف ، فكن يعمدن ويتنبأن وينشرن الإنجيل ، واختار كثير منهن العزوبة ، كما أن بولس أشار إلى تيموتاوس عن جملة نساء ساعدنه في الخدمة الإلهية ، وإن كتابه الشهير للرومان أرسله مع الشماسة « فيبا » وفيه يتكلم عنها كأخت تستحق الإكرام .

ثم لما جاء عصر الاستشهاد في سبيل الدين ظهرت حمية أولئك اللاتي كن يحسبن ضعيفات في موقف الشهادة بالمحاكم ، وقفن مواقف عظيمة للدفاع عن الدين .

وفضلاً عن ذلك فإن المرأة كافحت في قتل الرذائل ، فقد عمّ الفساد في العالم . حتّى لم تعد الكتابات لتؤثر في ردع الناس وزجرهم حتّى قام أمثال ميتيلار ،وبولا ،وفابيا ، ومرسللا ،فكن أحسن قدوة للنساء في حسن السيرة[1].

وقال جميل بيهم في محل آخر : لما كانت النصرانية في مقدمة الأديان دعاية للزهد ، صار من الطبيعي تنفير رجال الدين فيها من النساء باعتبارهن رياحين حياة الدنيا ، وقد شرعوا في بث هذه الكراهية لهن حتّى صارت عقيدة راسخة في أنفسهم .

وقد ازدادت الحملة على النساء في عصر انتشار الرهبانية ، وصاروا يطلقون عليها من النعوت الفاسدة أشدها ، من ذلك قولهم : « هي شيطان

---

(١) جميل بيهم : المراة في التاريخ والشرائع ، ومن مصادر بحثه : رسالة بولس الى كرنثوس ، ورسالته الى تيموثاوس ، ورسالته الى افسس ، ورسالة بطرس الاولى ورسالة بولس الى غلاطية ، وانجيل مرقس ، ورسالة بولس الى تيموتاوس ، وانجيل لوقا ، التاريخ الاخلاقي للنساء ، القضية النسائية .

أو مشعل الشيطان ، أو باب جهنم » وقولهم : « منظرها شر وصوتها أشد شراً ولمسها يروع .وقولهم : « خلقت المرأة أكره مرارة من الموت ، وهي كالشبكة ، قلبها فخ ويداها قيود .

وبالنظر لنفوذ رجال الدين في ذلك العصر ، تأصلت في نفوس الناس التهم التي روجوها ضد المرأة ، وصار أهل تلك القرون المظلمة يعتبرون الجنس اللطيف فاسداً بالفطرة .

وكان أشد النساء عبودية أهل القرى والأرياف فإنهن ما كن رقيقات بعولتهن فقط ، بل كن عبدات أيضاً لسادة رجالاتهن أصحاب الأرضين وذوي الإقطاعات .

ويصور لنا حال تلك العبودية القديس أوغسطانيوس من أهل القرن الخامس في تأليفه المسمى بالاعترافات حيث قال عن أمه : وكانت تطيع من يزوجونه بها طاعة عمياء ، وإذا ما زارها نسوة كان أزواجهن أقل قسوة من رجلها ، ومع ذلك فلم يضنوا على نسائهن بضربات لا تزال آثارها بادية على وجوههن ، كانت تقول لهن الذنب ذنبكن فاجتنبنه ، فإن الخادمات لا يسوغ لهن أن يقاومن سادتهن ، وما كنتن لترتكبن هذا الخطأ لو يعيد أزواجكن على مسامعكن ما دُوّن في عقود نكاحكن ، فأنتن تعرفن انه عقد عبودية سجلتنه على أنفسكن .

وكان العلم مهملاً في القرون المظلمة ومحظوراً ليس على النساء فقط ، بل على غير رجال الدين أيضاً ، فلا غرابة إذاً ان حظروا على النساء الدرس والتعلم .

وإن حياة الزهد والتقشف فشت حينئذ إلى حد أنها لم توفر القصور الكبرى ،

فإن الملكات والأميرات وكبريات النساء عامة ، كن قلما يعترن بنسق الحياة عن الراهبات ، وكانت أيامهن تتوزع ما بين الصلوات والأشغال اليدوية .

ثم فتح للمرأة مجال فسيح لإنشاء الأديرة النسائية ، ففي الدير صارت تجد المرأة النشيطة المقام السامي الشريف ، كما تلقى الساذجة الملجأ الأمين ، وفي الدير شرعت تترقى مواهب النساء ، كما أنها تخلصت فيه من ربقة استعباد الرجل ونالت استقلالها .

وقد أحرزت المرأة الغربية بواسطة تلك الأديرة منزلة حسنة في العلوم إلى حد أن قال بعضهم بأنها سبقت الرجال ، وأنشأ روسلر مقابلة بين المتعلمين من الجنسين في تلك الأثناء إثباتاً لهذا القول .

على أن هذه الرهبنات لم تبق على عزلتها الأولى عن الهيئة الاجتماعية ، بل لم تلبث أن تدخلت بشؤون القوم عامة ولا تستثنى منها السياسة لذلك صار مقام رئيسة الدير مرغوباً فيه فانتخب له كثيرات من الأميرات بنات الأسر المالكة ، مثل الأخوات ليدلنبرغ ، وغاندرشم ، ومتيلدا أوف ليدلنبرغ الألمانيات وغيرهن من رئيسات الأديرة ، ثم ما لبثت أن أضاعت الأديرة فائدتها المقصودة ، ولا سيما في القرن الرابع عشر [1] .

---

(١) جميل بيهم : المرأة في التمدن الحديث ، ومن مصادر بحثه : القضية النسائية ، H, Mario : Psichologie de la femme ; L. Gouvé : Histoire morale de la femme .

المرأة في الإسلام :

جاء الإسلام فمزق حجب الفوارق بين النساء ، كما مزقها بين الرجال ، فلم يكن بين المرأة والمرأة إلاّ الخير تتقدم به ، أو العمل الصالح تسبق إليه .

جاء الإسلام بتحريم وأد البنات «وإذا بشر أحد بالأنثى ظل وجههمسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون ». « وإذا المؤودة سئلت بأي ذنب قتلت » .

ومنع الإسلام إرث نكاح النساء : « يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً » .

وأمر الإسلام بمعاشرة الزوجات بالمعروف « وعاشروهن بالمعروف » «وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهنقنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً » ؛ ثم وبخهم على هذا الأخذ « أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً » [1] .

وأوصى النبي (ص) بالمرأة خيراً ، فقال :«استوصوا بالنساء ، فإن المرأة خلقت من ضلع وإن عوج ما في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيراً » [2] .

وجعل الإسلام المرأة راعية على بيت زوجها ، فقال النبي (ص) : كلكم راعٍ وكلكم مسؤول ، فالإمام راعٍ ، وهو مسؤول ، والمرأة راعية على بيت زوجها ، وهي مسؤولة ، والعبد راعٍ على مال سيده وهو راعٍ ؛ وكلكم مسؤول [3] .

---

(١) القرآن الكريم .
(٢) اخرجه البخاري والترمذي .
(٣) اخرجه البخاري .

وجعل القرآن الرجال قوامين على النساء ، قال الله تعالى : « الرجال قوامون على النساء ، بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله» .

وقال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتل الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى » .

أما شهادة النساء فقال الله تعالى : « فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى » .

وأما مركز المرأة في الإسلام بكونها أماً فذو مكانة قصوى « ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن » « ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً » .

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الصحيحة التي جاءت بحق المرأة المسلمة التي تعني من شانها وتوصي بها خيراً وتبين واجباتها وحقوقها في مختلف أنواع الحياة العامة والخاصة .

غيّر الإسلام مفاهيم بعض العرب الذين كانوا يرون البنت حملاً فادحاً لفرط ما يشفق من وصمة الذل ووسم العار إذا وهنت نفسها ، أو ذهبت السباء بها ، فكان بين أن يستبقيها على كره لها ومضض منها وترقب لموتها ، أو يفزع إلى الحفر فيقذفها في جوفها ويهيل التراب عليها .

تغيرت مفاهيم هؤلاء العرب بفضل الإسلام ، فقد حدثوا أن عمرو بن العاص دخل على معاوية بن أبي سفيان ، وعنده بنت له يلاعبها ، فقال له : ابتذها عنك يا أمير المؤمنين ، فوالله إنهن يلدن الأعداء ويقربن البعداء ويؤدين

الضغائن . فقال معاوية : لا تقل ، فما ندب الموتى ، ولا تفقد المرضى ، ولا أعان على الحزن مثلهن [1] .

وكان لمعن بن أوس ، وهو من سادات مُزينة ، ومن رؤوس الشعراء ، ثمان بنات ، ويقول : ما أحب أن يكون لي بهن رجال [2] .

ولقد مني بعض العرب في جاهليتهم باتقاد الغيرة حتّى جاوزوا بها طورها ، وحتّى قادت فريقاً منهم إلى قذف زوجته في عرضها ، فوقعوا خصومتهم واحتكموا في أعراضهم إلى فريق الكهـــان والكواهن ، فقطعها الإسلام إلاّ أن تكون على علم وبينة ، وجعل عقوبة قاذف المحصنات ثمانين جلدة ، ولا تقبل له شهادة أبداً ، وهو عند الله من الفاسقين .

ولذلك تحامى المسلمون مواطن الظن ومداحض التهم ، حتّى عدوا الاعتساف في الغيرة سمة من الحمق صاحبها أن يسوّد أو يطاع ، وذم كثير من المسلمين التورط في الغيرة وتوكيد الريب والظنون بالمرأة .

وحرم الإسلام على المسلم أن يسبي مسلمة ، مهما عصفت بالقوم عواصف الفتن وفرقتهم شعب الأهواء ، فأزال بذلك أشد مواطن الردع والفزع في حياة المرأة العربية ، فأصبحت ناعمة في دارها ، آمنة في تربها مبتهجة بين لداتها وعشيرتها ، بعد أن كان القاهر يستبيح حمى المقهور ويستلق نساءه حواسر الرؤوس ، بين ذل الغربة وعار السبأ .

ومن حسنات الإسلام على المرأة المسلمة،فبعد أن كانت النساء لا يؤول لهن من ميراث الرجال شيء ، اختص النساء بنصيب مما ترك الرجل ، فذلك

---

(١) عبد الله عفيفي : المراة العربية في جاهليتها واسلامها ١٨/٢ ، ١٩ .
(٢) عبد الله عفيفي : المراة العربية في جاهليتها واسلامها ١٨/٢ ، ١٩ .

قوله تعالى : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قلّ منه أو كثر نصيباً مفروضاً » .

وقد ضرب النبي (ص) المثل الأعلى في معاملة المرأة ، فكان يقول : خيركم خيركم لأهله ، أنا خيركم لأهلي [1] .

كما حث النبي (ص) على حسن تبعل المرأة لزوجها ، وطلب مرضاته وإتباعها موافقته ، كما أمر الرجل على أن يكون أتم ما يكون من الرحمة والرفق ، وأن لا يشق عليهن ولا يكلفهن فوق ما تحتمل نفوسهن .

وأما المرأة المسلمة في الحياة العامة ، فعلاوة على تدبير المنزل والشؤون الخاصة بها ، فكانت تسير مع الرجل جنباً لجنب في ساحات الوغى وتحت ظلال السيوف تروي ظمأه وتأسو جرحه وتجبر كسره وترقأ دمه وتثير حميته وتهيج حفيظته ، وربما غشيت حر القتال ، واصطلت جمرة الحرب ، وصالت بين الصفوف ، فكان لها مواطن صادقات ومواقع صالحات .

ومن أركان الدعوة الإسلامية وترسيخ أقدامها ، قبل أن تبزغ إلى الوجود ، وبعد أن بدأت تظهر في سر وخفاء ، خديجة بنت خُويلد ، فقد ولدت في بيت مجد وسؤدد ورئاسة ، فنشأت على التخلق بالأخلاق الحميدة واتصفت بالحزم والعقل والعفة ، حتى دعاها قومها في الجاهلية الطاهرة ، وكانت خديجة تاجرة ذات مال تستأجر الرجال في مالها وتدفع لهم المال مضاربة فيكون عيرها كعامة عير قريش .

ولما بعث النبي (ص) كانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدق محمداً (ص) فيما جاء به عن ربه وآزره على أمره ، فكان (ص) لا يسمع

---

(١) عبد الله عفيفي : المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها ١٨/٢ ، ١٩ .

من المشركين شيئاً يكرهه من رد عليه وتكذيب له إلاّ فرّج الله عنه بخديجة التي كانت تثبته على دعوته وتخفف عنه وتهون عليه ما يلقى من قومه .

وتوفيت خديجة أم المؤمنين ساعد رسول الله (ص) الأيمن في بث دعوة الإسلام ونشر تعاليمه سنة ٣ قبل الهجرة بمكة ولها من العمر ٦٥ سنة .

وقد طويت صحف السير والسنن والتاريخ على كثير من فضليات النساء خرجن برفقة رسول الله (ص) إلى غزواته ليداوين المرضى ويأسون الجرحى ويسقين الماء .

وكانت عائشة أم المؤمنين غزيرة العلم بحيث أن عروة كان يقول : ما رأيت أحداً من الناس أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال ولا بحرام ولا بشعر ولا بحديث العرب والنسب من عائشة .وكانت مشيخة أصحاب محمد (ص) الأكابر يسألونها عن الفرائض .

وقد جمع أبو منصور عبد المحسن محمد بن بن علي البغدادي جزءاً فيه استدراك عائشة على الصحابة .

وقد شهد ويلكي بما للمرأة المسلمة الأولى من حرية واستقلال ، فقال : كل من طالع الأحاديث الإسلامية يعلم أنها متضافرة في الدلالة على استقلال الامرأة وتمتعها بتمام الحرية في أول الإسلام ، وأن المرأة لعبت دوراً مهماً في المجتمع الإسلامي لأول عهده ، فقد عرف بعضهن أنهن ساعدن النبي أكثر من مرة [1] .

---

(١) ويلكي : الامومة عند العرب .

وأما مركز المرأة في العصور الإسلامية ، فيختلف باختلاف مجتمعها الذي عاشت فيه والعوامل الخارجية ، ومن ثمّ العوامل الداخلية التي عملت فيه بسبب الاتصالات الاجتماعية والخلقية والاقتصادية والسياسية ، الخ . . . مما جعلتها تنشأ وتتأصل فيها ، وتصبح بمرور الزمن والتطور أصلاً من أصول حياة المجتمع وتصير من عاداته وأخلاقه وصفاته [1] .

---

(1) انظر تفاصيل ذلك في كتاب المرأة في عالمي العرب والاسلام لعمر رضا كحالة .

المحتوى

ان مؤسسة الرسالة اذ تقدم لقرائها الكرام مختلف الدراسات الفكرية والعلمية ، ما كان منها من ذخائر التراث او من انتاج قرائح المفكرين المعاصرين ، فانها تهدف الى الاسهام في عملية الارتقاء الفكري والخلقي .

واذا كان فيما تقدمه المؤسسة من دراسات، ما يخالف بعض الاجتهادات احياناً، فأن المقصود هو اغناء الفكر بتقديم مختلف وجهات النظر التي يقدمها مفكرون لا يشك من يعرفهم في انهم مخلصون ويبذلون الجهد الصادق في اصابة الحق ، وان كان ذلك لا يعني ان كلا منهم يصيب الحق في كل ما يكتب ، فالعصمة في العلم للأنبياء وحدهم .

وبديهي ان ما تنشره المؤسسة من اجتهادات لا يلزمها ، ولا تعبر الا عن رأي كاتبيها ، وان تكن هذه الاراء لا تتخطى حدود الاجتهاد المأمون ان شاء الله .

الناشر



تطلب جميع منشوراتنا من
الشركة المتحدة للتوزيع
بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ص.ب: ٧٤٦٠ - برقياً: بيوشران